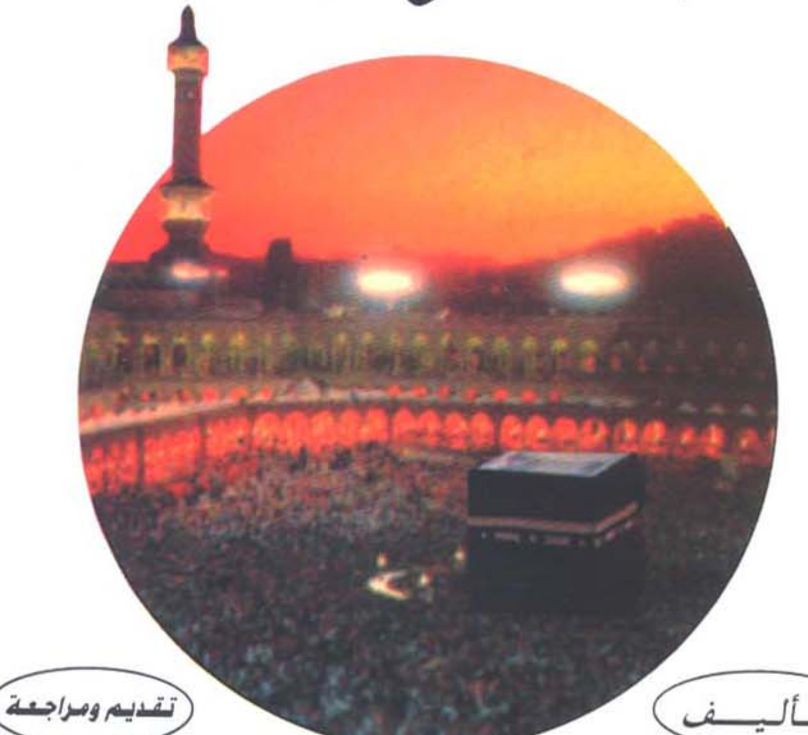


أتعرف أنك في الحرمين الشريفين؟



تأليف

أبو طلحة محمد يونس عبدالستار

المدينة المنورة - زادها الله شرفا

تليفون : ٨٣٦٨٣٨٢ - ٨٣٨٠٥٢٧

تقديم ومراجعة

الدكتور/ هاشم محمد علي مهدي

مدير عام المنظمات الدولية

برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

ح محمد يونس عبد الستار ، ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عبدالستار ، محمد يونس
«أعرفت أنك في الحرمين الشريفين » المدينة المنورة
٢٧٠ ص ؛ ٢٥ × ١٧ .
ردمك : ٦ - ٤٩ - ٧٠٠ - ٩٩٦٠
(١) - المسجد الحرام (٢) - المسجد النبوي أ - العنوان
ديوي ٥١٥,١ ١٨/١٦٢٠

رقم الإيداع : ١٨/١٦٢٠
ردمك : ٨ - ٥١ - ٧٠٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

رجب سنة ١٤١٨هـ
مطابع الرشيد - المدينة المنورة
تليفون : ٨٣٦٨٣٨٢
فاكس : ٨٣٨٣٤٢٦



تقديم ومراجعة
فضيلة الشيخ الدكتور / هاشم محمد علي مهدي
حفظه الله تعالى

مدير عام المنظمات الدولية حالياً ومدير عام شئون الدعوة سابقاً
برابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اقتدى بهم من التابعين إلى يوم الدين .

أما بعد: فإن الشيخ /أبو طلحة محمد يونس بن عبدالستار الأستاذ الأديب اللبيب ، ساكن مدينة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، والمصنف للعديد من التأليفات ، منها المطبوع ومنها المكتوب ، طلب مني أن أراجع وأكتب له تقريظاً لكتابه تحت الطبع :

«أعَرَفْتَ أنَّك في الحرمين الشريفين ؟» .

لقدْ طالعت هذا الكتاب ، وأرتوت نفسي من معينه بلذيذ الشراب ، ورغم أنه ليس أول التصانيف في هذا الباب إذ سبقته مؤلفات في هذا الموضوع نشرت في أزمنة مختلفة ، منها الحديث ومنها القديم ، ولا داعي لذكرها ، لأن المطلوب هنا التعريف بأهمية موضوع الكتاب الذي بين يدي القاريء .

● **إن الحرمين الشريفين** عينان في رأس كل مؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فالبعيد النائي عنهما ينظر إليهما بعيني قلبه ، ويتطلع إليهما في شوق وحرقة متلازمين ، أما القريب الجاور لهما فإنه يتلذذ بمشاهدتهما ويمعن النظر فيهما حتى يخترقا منه القلب والعقل ، فتمتلىء

جميع جوانحه حباً وطمأنينة ، ويسكن الفؤاد إليهما فلا يطيق فراقاً .

لقد قال الله تعالى في المسجد الحرام : ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ المائدة : ٩٧ . وقال تعالى في مسجد قباء - أول مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند وصوله المدينة ، وهو دون المسجد النبوي الشريف في المكانة حيث تشد إليه الرحال - : ﴿لمسجد أسس على التقوىٰ من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهّروا والله يحب المتطهّرين﴾ التوبة : ١٠٨ .

إن كلا البلدين يجب أن يشد إليهما المؤمن رحاله لقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجدَ : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ومسجد الأقصى» متفق عليه . صحيح مسلم رقم ٥١١-٥١٢ ، كي يقوم فيهما للعبادة ، وليتوب إلى الله ، ويتطهرمن ذنوبه ، ويشعر بالطمأنينة ولذة القرب ناقشا صورتهما على القلب والبصر ، وإن كان المؤلف لم يتعرض لذكر المسجد الأقصى في هذا الكتاب ، فإنه بمثابة الأنف في وجه كل مؤمن يشم به رائحة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ورائحة المعراج ، ورائحة أرض الميعاد نسأل الله أن يحرره من أيدي الغاصبين إنه سميع مجيب .

نعم إن القادم إلى الحرم المكي يكتسى حلة الخصوصية الخاصة بأهله ، والتي خلعها عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال لسيدناعتاب بن أسيد رضي الله عنه حين ولاه إمارة مكة «أتدري على من وليتك ؟ وليتك على أهل الله وخاصته» ، فإن الآتي إلى مكة للعبادة الخالصة ستكون له هذه الأهلية وهذه الخصوصية .- إن شاء الله تعالي - .

أما المدينة فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «لو لا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناسِ وادياً ، وسلكت الأنصار وادياً - أو شعباً - لسلكتُ وادي الأنصار ، أو شعبَ الأنصار» . رواه البخاري .

إذاً فالآتي إلى المدينة من المسلمين المؤمنين يكون أنصارياً ، ومعنى الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبه كما أحب الأنصار ، ويشمله دعاؤه صلى الله عليه واله وسلم له ، كما دعا صلى الله عليه وآله وسلم للأنصار ولأبنائهم ولأحفادهم ولنسائهم ولأتباعهم فقال : «اللهم اغفر

للأنصار، ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» متفق عليه واللفظ لمسلم رقم : ١٧٢
وزاد الترمذي رقم : ٣٨٩٨ : «ولنساء الأنصار» ، كما كان يدعو صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون أتباعهم منهم كما ذكره البخاري في باب أتباع الأنصار .
وكذلك يحققه قوله تعالى : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ النساء : ٦٤ :
وأيضاً ينال هذا القادم إلى المدينة المنورة شيئاً من محبة هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، التي هي علامة الإيمان وتمامه وكماله بل ومأرزه أيضاً ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ، كما تأرز الحية إلى جُحرها» . متفق عليه .
ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» .رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .
وقال الحافظ في الفتح ٤/٩٣-٩٤ : وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويشمل ذلك جميع الأزمنة اهـ .

● **فإذا كان الله قد وعد أهل الإيمان** من المكيين بأنه لا تصيبهم مجاعاً ، (قال ابن عباس رضي الله عنهما : وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال : ﴿رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات﴾ البقرة : ١٢٦ . ذكره القرطبي) . وقال تعالى : ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً يُجبىٰ إليه ثمرات كل شيء﴾ القصص : ٥٧ ، وتفضل عليهم - أي أهل مكة - بالأمن والرخص ، وأطعمهم بعد جوع فقال : ﴿أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ سورة قريش : ٤ .

● **فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم** قددعا للقادم إلى المدينة ولساكنها بالخير فقال : «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» ، متفق عليه .
ودعا للمدينة وأهلها بضعفي ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها فقال عليه الصلاة والسلام : «إن إبراهيم حرّم مكة ، ودعا لأهلها ، وإني حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة ، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلَي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة» لفظ مسلم رقم ٤٥٤ .

وكذلك أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الإيمان يأرز إلى المدينة . فلا يحلو ويهنأ العيش فيها إلا لمؤمن ، فقد ورد في الحديث الشريف : « ... رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، لا يبقى منافق ولا منافقة ، إلا خرج إليه ... » رواه أحمد والطبراني .

وكذلك ورد في الحديث عن سكان مكة أنها كالكير ينفي خبث الحديد ، والتوعد بالعذاب الشديد الأليم فقد قال تعالى : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب إليم﴾ الحج : ٢٥ .

● فإن مكة والمدينة بلدتان طاهرتان مقدستان ، وكم أراد بعض العابثين النيل من قدسيتهما عبر التاريخ ولكن الله قد قيض لهما من يذب عنهما ، وفي الوقت الحاضر فإن الحكومة السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ تتشرف بخدمتهما وتحول بشكل صارم وشديد دون أن يصل إلى هاتين المدينتين أيّ مكروه – بفضل منه ونعمة – فجزاها الله خير الجزاء .

ولقد شهدت مكة المكرمة والمدينة المنورة في عهد الحكومة السعودية نمواً مضطرداً وتوسعاً عمرانياً وتسهيلات عديدة لسكانهما والوافدين إليهما من حجاج وعمار وزوار ، ويجب أن ننوه ونذّكر هنا بسعة الحرم المكي الذي يتسع لاثنين مليون مصلى ، وكذلك الحرم المدني الذي يتسع لنصف مليون مصلى تقريباً .

● إني أريد أن أختم كلامي بالتعريف بمحبة المسلمين لهذين الحرمين وأهلهما من واقع تجربة حصلت لي ، فعندما سافرت إلى مدغشقر وعرف الناس أني مكي المولد والمنشأ ، فلم يتركوني أرتاح في الفندق ، فالجميع دعاني إلى بيته لتناول الأفطار والغداء والعشاء كل يوم طيلة إقامتي في بلدهم ولم يقبلوا لي عذراً ، فلما سألتهم لماذا هذا الاهتمام بشخصي المتواضع الذي لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ؟ فكانت الإجابة مفاجأة لم أكن أتصورها : إننا نرى فيك مكة والمدينة ، إننا نرى أهلهما من المهاجرين والأنصار في الأحلام من الشوق ، وها أنت واحد من أهل تلك البلاد بين ظهرانينا ، وفي عالم يقظتنا ، ألا تمنحنا الفرصة لنشم فيك رائحة مكة والمدينة ؟ ونروى الأرواح والأنفس من عبق عبيرهما الطيب وشذاهما الفواح ؟

فسبحان من زين قلوب المؤمنين وملئها بحب الحرمين وأهلهما ، ألا ! وهو

دعاء أبينا إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها ، فاستجاب الله دعاءه وهو قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ (أي تحنّ إليهم ، وتحن إلى زيارة البيت ، قال ابن عباس : لو قال أفئدة الناس ، لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارىٰ والمجوس ، ولكن قال : ﴿من الناس﴾ فهم المسلمون .) مابين القوسين من تفسير القرطبي .رحمه الله تعالى .

● وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا لأهل المدينة وللمدينة بأن تهوي القلوب إليها كما دعا بتحبيبها بمثل حب مكة أو أشد .

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نظر نحو اليمن فقال : «اللهم أقبل بقلوبهم» ونظر إلى الشام فقال : «اللهم أقبل بقلوبهم» ونظر نحو العراق فقال مثل ذلك ، ونظر نحو كل أفق فقال مثل ذلك ...» الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد رقم ٤٨٢ وأحمد في مسنده ٣ / ٣٤٢ وذكره صاحب مجمع الزوايد ٣ / ٣٠٤ .

ودعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم في تحبيب المدينة معروف قد ذكره البخاري ومسلم رقم (٤٨٠) عن عائشة رضي الله عنها وفيه : (... اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصحِّحها لنا ، وبارك لنا في صاعها ومدِّها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة» .

وقد استجاب الله تعالى دعاءه صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وأهلها ، كما استجاب دعاء الخليل ﷺ في مكة وأهلها ، تهوى القلوب إليهما وتحن إلى زيارتهما ، وهذا كما تراه حتى في زماننا ، فإن كل مسلم ومسلمة وكلٍ مؤمن ومؤمنة يهوي قلبه مشاهدة المدينتين المباركتين ، ويتحرق كبده شوقاً لرؤيتهما ولو مرة في حياته ، وهذا ما تجده في موسم الحج والعمرة والإجازات فلا يخلوان في أي يوم من زائر : الحاضر والباد ، والله أعلم .

● فإن الحرمين تحفتان فريدتان على هذه الأرض الفانية وقبسان يضيئان من شمس الخلود بنور مبين لأهل التقوى الذين يعرفون مكانة هذين الحرمين فهم أهل المحبة والوصل، فالبعيد النائي عنهما بائح بحبه لهما ، والقريب المجاور فيهما كاتم لحبه كما قال الشاعر :

Muslim World League
Secretariat General
Makkah al-Mukarramah



رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة – مكة المكرمة

أهــل الهــوى قسمـــان : قسـم — منهموا كتموا وقسم بالمحبة باحوا
فالكاتمون لسرهم شربوا الهـــوى — ممزوجـــة فكفتهـــم الأمـداح
والبـائحـــون بسرهم شربوا الهنـا — صـرفاً فهزهم الغـرام فباحـــوا
فتشبهـــوا إن لـــم تكونوا مثلهـم — فــإن التشبه بالكـرام فــلاح

أعزائي القراء ممن يصل إليهم هذا الكتاب ، أحبوا مكة وعظموها ، وتأدبوا في مشاعرها ، فإن الكعبة بأحجارها تشفع للطائفين بها وتدخل الجنة معهم ، وأحبوا طيبة ومعاهدها ، فهذا أُحُد الجبل الذي يحب رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يحبـه ، وكـان ثمـرة هذا الحب أن يدخل هذا الجبل الجنة بصخـاره وأحجـاره . وليكن تخليص بيت المقدس وتحريره هاجسا في ضمـائركم ولا يغادر أفكاركم لأنه قبلتكم الأولى .

هـذا ، وقرأت الكتاب فوجدته نعم الكتاب إذ هو حقـاً يحرض قارئـــه على الإستفـادة بفضائل الحرمين وعلى إتمام الحج والعمرة لله ، لذا فإني أرغّب في اقتنـاء هذا الكتـاب – لسـاكني الحرمين الشـريفين والزائرين من الحجـاج والمعتمرين خاصة ولغيرهم من الناس عامة – وقراءته للإنتفاع به ، فإنه نافع بإذن الله ، لما حواه من سنن وآثار كمصابيح دجا تضيء للمؤمن طريقه إلى الله تنال به الدرجات العلا وتلك غاية أرباب النهى ، وفق الله لي وله ولهم ذلك إنه قدير وبالإجابة جدير .

وصل اللهم وسلم على سيد الثقلين وإمام الحرمين وعلى آله وصحبه وكل من نطق بالشـهـادتين ، وأدم اللـهـم نعـمـة الأمن والإيمان على هاتين البلدتين واحفظهما من كل سوء يارب المشرقين والمغربين عدد ما مر بالحدثين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د/ هاشم محمد علي مهدي
مدير عام المنظمات الدولية

١٤١٦/٢/١٢هـ

برابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد: فإن السيرة النبوية وسِيَرَ الصحابة من أقوى مصادرالقوة الإيمانية وأسناها وأعلاها وأولاها وأحلاها ، التي لا تزال هذه الأمة تقتبس منها شُعلةُ الإيمان وتشعل بها مجامر القلوب التي يُسرع انطفاؤها وخمودها في العواصف المادية ، والتي إذا خمدت وانطفأت فقدت هذه الأمة قوتها الإيمانية وتأثيرها وأصبحت جثة هامدة تحملها الحياة على أكتافها ، وضاقت عليها الأرض بما رحبت ، فلا طمأنينة لها ، ولا انشراح لصدرها ، بل يصبح صدر كل واحد منها ضيقاً حرجاً لفقدان قوته الإيمانية - التي أصلها ثابت وفرعها في السماء - وإن تنعم ظاهره ، ولبس ما شاء وأكل ما شاء ، وسكن حيث شاء ، فإن قلبه إن لم يخلص إلي الإيمان القوي اليقيني فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبة يتردد ، ألاَ والقلب قرية إذا خربت وفسدت فأنَّى لها العمران - إلا أن يشاء الله - .

والتاريخ شاهد بأن دعوة الإسلام لما جاءت إلى أهالي الحرمين السابقين من الأنصار والمهاجرين - رضي الله عنهم - فآمنوا بها حق الإيمان وصدَّقوها وزيَّنوا بها قلوبهم ، وما كان قولهم إذا دُعوا إلى الله ورسوله

صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن قالوا : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ﴾ آل عمران : ١٩٣ .

● وقالوا من قرارة قلوبهم : ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يُدخلنا ربُّنا مع القوم الصالحين ﴾ المائدة : ٨٤ .

● ووضعوا أيديهم في يد النبي ﷺ وكانت ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ آنذاك ، فهان عليهم نفيسهم ونفوسُهم وأموالهم وأولادهم وعشيرتهم حتى شهدت بذلك الأعداء **(والفضل ما شهدتْ به الأعداء)** ، وتحمَّلوا الشدائد في سبيل الدعوة إلى الله ، وأفضى يقينها إلى قلوبهم . وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب ، والحب لله والرسول ﷺ والرحمة على المؤمنين والشدة على أعداء الدين الكافرين وشهد بذلك رب العالمين قائلا : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ الفتح : ٢٩ ، وآثروا الآخرة على الدنيا وزخارفها ، ونسوا في نشر الإسلام لذاتهم وهجروا راحاتهم وغادروا أوطانهم .

وكان أهل الحرمين الشريفين السابقين أسبق السابقين في كل العبادات . لا توجد خصلة من خصال الدين إلا وهم أئمة فيها ، بل هم المنشئون العامرون لطرق الدين ، والسبق في العبادة جهة تفضيل وتعظيم ، وسماهم الله تعالى بالسابقين الأولين ، وبالأنصار والمهاجرين ، وبالمؤمنين المفلحين الصادقين ، فقد استجابوا لله وللرسول ﷺ في السراء والضراء وقدَّموا النفس والنفيس بدون أي تردد وتحقيق ونعم ما قيل : **(والجود بالنفس أقصىٰ غاية الجود)** .

واختار لهم الهدف العظيمَ ، ربُّ العرش العظيم ، وأخبرهم قائلا : ﴿ الله ورسوله أحق أن يرضُوه إن كانوا مؤمنين ﴾ التوبة : ٢٦ ، ثم قال : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ التوبة : ٢٧ . فلبوا والله مخاطبين لأنفسهم :

طوّفي يا نفس كي أقصد فردا صمدا	لستُ أبغي غير ربي أحدا
فهو أُنسي وجليسي ودعي الناس	أن تجدي من دونه ملتحدا

● إي والله ! قد صدقوا في كل ما دعاهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم إليه ، وصاروا بين يدي الله ورسوله ﷺ كالميت في يد الغسال . يقلبهم كيف يشاء ويرميهم حيث يشاء ، ويقدِّمهم حيث يريد ، فما كان جوابهم إلا أن قالوا : سمعنا

وأطعنا وقلوبهم وجلة ، وكان حالهم : لا يعصون الله ما أمرهم ، ولا يعصون رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما أمرهم كذلك ، وكانوا يفعلون ما يؤمرون وهم يخافون ألاَّ يتقبَّل منهم ، الله أكبر ! وصدق الله العظيم : ﴿ والذين يُؤتون ما أتوا وّقلوبُهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ المؤمنون : ٦٠ .

● هذا كان هدف أهل الحرمين الشريفين السابقين الذي أختاره الله لهم ولكم من بعدهم ، فقد صدقوا في هدفهم وفازوا بالفوز العظيم ، أى برضوان الله المبين وبالجنة التي عرضها السموات السبع والأرضين كما بيَّن ذلك ربُّ العالمين قائلا :

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ التوبة : ١٠٠ .

● اعلم يا ساكن الحرم ! أن للحرمين فضائل ومزايا ، وفي الحقيقة ما هي إلا نعم وبشائر لأهلهما خاصة وللمسلمين عامة إن استقاموا على أمر الله ، كما سأذكرها في الصحائف الآتية إن شاء الله .

وينبغي أن تعلم أن من سنة الله سبحانه أنه يذكِّر عباده النعمِ التي أنعم الله بها عليهم من نعم الدنيا والآخرة ، وذلك تشجيعاً لهم وترغيبا في الأعمال الصالحة ليكون هؤلاء من الفائزين يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وإن للحرمين الشريفين حقا وديناً في عنق كل مسلم ، وعليه وفاءه ، ولا بد أن يكون أهلهما أكثر وفاءاً بحقوقهما من غيرهم ، لأن لأهلهما من البشائر والمزايا والنعم ما لا تتوفر لغيرهم من المسلمين في بلادهم .

فالمدينة النبوية ومثلها مكة المكرمة : مأرز للإيمان ومكان عبادة وتجارة مع الله ، قبل أن يكونا مكان تجارة مع الناس .

● قال بعض السلف كم من رجل بخراسان ، وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به . كما في إحياء علوم الدين وشرحه (٤ / ٢٨٠) اهـ

وذكر القرطبي في تفسيره الجزء (٨ / ٦٠ - ٦١) حيث قال : «إن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان وفي مثله تنشد الصوفية :

يقولون لي دار الأحبة قد دنت ... وأنت كئيب إنَّ ذا لعجيب

فقلت : وما تغني ديار قريبة إذا لم يكن بين القلوب قريب
فكم من بعيد الدار نال مراده وآخر جار الجنب مات كئيب

● هذا ونقدم إلي ساكني الحرمين الشريفين هذا المؤلَّف ، وذلك تشجيعاً لأهلهما الحاضرين على إحياء سنن آبائهم الغابرين رضي الله عنهم أكثر فأكثر ، رجاء أن ينفعني الله به وإخواني أهل الحرمين لنكون أحب الناس إلى الله كما أن هاتين البقعتين المباركتين أحب بقاع الأرض إلى الله .

● فهل لنا نصيب في إحياء سنن آبائنا الأولين ؟ قبل أن نبيت مع الموتى فنجاور جيراناً لم ير مثلهم حتى نلقى آباءنا في سوق « الجنة الفردوس» ونتبوأً منها حيث نشاء ، ونشرب مع المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من لبن لم يتغير طعمه ، وما ذلك على الله بعزيز .

وقد قال الله تعالى : ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق ... ﴾ البقرة : ١٣٧ ، الخطاب لمحمد ﷺ وأمته ﷺ . قاله القرطبي رحمه الله تعالى .... ولله در القائل :

إذا لم تطب في طيبة عند طيب
تطيب بها الدنيا فأين تطيب؟

● أخي في الله ! نظراً إلى حِكم التكرار وثمراتها أذكر بعض الآيات والأحاديث مرتين أو ثلاثة وذلك لأهميتها وغربتها وعظمة شأنها لتكون أوقع في النفس . ولأن بعض الناس لا يقرؤون الكتاب بالإستيعاب بل يقرؤونه من مواضع مختلفة ، فهذا القارىء إذا لم يستفد من هذا المقام عسى أن يصادفه الموضوع نفسه المكرر في مقام آخر فينتفع به .

واعلم أن الكتاب يحتوي على ثلاثة أبواب : الباب الأول «في إيمان أهل الحرمين السابقين رضي الله عنهم» وفيه فصول شتى ، ففي بداية هذا الباب كلام هام جدا لسكان الحرمين مما يجب أن يكون عليه أهلهما لأنهم قدوة لغيرهم من المسلمين في دينهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وأحوالهم وسائر تصرفاتهم .

● كما أذكر في هذا الباب بعض القصص والروايات العجيبة ما يتعلق بقوة

إيمان هؤلاء وحقيقة كماله وصلابتهم فيه ، وثناء الله تعالي عليهم في ذلك .

● وهناك مبحث نفيس وفصل فريد في بابه حول «واجب أهل الحرمين نحو الدعوة الإسلاميه» ليتك تقرأ .

وهكذا أوردت في هذا الباب فصلا خاصا بـ«تجار الحرمين وواجبهم نحو الواردين إليهما» وهذا مبحث ينطق عما فيه من الفرائد والفوائد للتجار وأهل التراب من كانوا وحيث كانوا ، فمن قرأه يجد قسطاً من الزهد المطلوب من سيد الزاهدين صلوات الله وسلامه عليه إن شاء الله تعالي .

● والباب الثاني «في البشائر لمنسوبي الحرمين الشريفين من الساكنين والواردين فيهما ومكانة الحرمين الشريفين عند المسلمين» .

أذكر فيه بعض فضائل الحرمين والبشائر لأهلهما ومقتضاها ، والتي فيها دلالة لأهلهما في اكتساب الخيرات خاصة ولغيرهما من الناس عامة ، وذلك إرشاداً لهم وتحريضاً على إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر فأكثر ، لأن الحصول على هذه الأعمال الصالحة والوصول إليها والعمل بها في هذه الأماكن المقدسة أسهل وأوفر لأهلهما من الواردين إليهما .

فلما ثبت الحشر والحساب ، والإنسان يعلم : أن الله تعالى هو المحاسب ، وجب على العاقل أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش في الحساب ، لأنه هو التاجر في طريق الآخروبضاعته عمره ، وربحه صرف عمره في الطاعات والعبادات ، وخسرانه صرفه في المعاصي والسيئات ، ونفسه شريكه في هذه التجارة ، وهي إن كانت تصلح للخير والشر ، لكنها أميل إلى المعاصي والشهوات ، فلا بد له من مراقبتها ومحاسبتها ، وفق الله الجميع لمحاسبة النفس ومراقبتها ، والإستعداد للآخرة .

● وكذلك أذكر في هذا الباب فصلا خاصا يتعلق بجمادات الحرمين الشريفين وحبها وإطاعتها وشوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك تنبيهاً وتذكيراً لهذا الكائن البشري وانصرافه وبُعده عن امتثاله بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنشغاله بملذات الدنيا وشهواتها الفانية ، هذا مع فضل الله على الإنسان بنعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى . . فعسى أن يرجع القارىء إلى مولاه بعد قراءته بطلب صادق وقلب خاشع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

● **والباب الثالث** : باب هام جدا للحجاج والمعتمرين فمن قرأه قبل أداء فريضة الحج يجد فيه قسطاً من أسرار الحج وأنواره ما لم يحصل له قبل ذلك إن شاء الله .

نذكر فيه كيفية الحج وأسراره الفريدة ، وما يتعلق من واجبهم نحو الحرمين الشريفين ليستفيدوا من زيارتهما حق الإستفادة ، وتكون حجتهم وعمرتهم مثل ما أمرهم الله تعالى قائلا : (وأتموا الحج والعمرة لله) البقرة : ١٩٦ .

وفقني الله وإياكم للأعمال الصالحة آمين . اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين ، وكثر الأنين ، وبكىٰ علينا الحبيب ، ويئس منا الطبيب ، اللهم ارحمنا إذا وارانا التراب ، وودّعنا الأحباب ، وفارقنا النعيم ، وانقطع النسيم ، اللهم ارحمنا إذ نُسي اسمنا ، وبلي جسمنا ، واندرس قبرنا ، وانطوى ذكرنا ، اللهم ارحمنا يوم تبلىٰ السرائر ، وتبدىٰ الضمائر ، وتنشر الدواوين ، وتحشر الموازين ، اللهم يا حي يا رحمن يا رحيم برحمتك نستعين . آمين يا رب العالمين وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

أبو طلحة محمد يونس عبدالستار
المدينة المنورة (زادها الله شرفاً)

الباب الأول

في «إيمان أهل الحرمين السابقين رضي الله عنهم»

وفيه ستة فصول وهي :

الفصل الأول : «هام جدا لسكان الحرمين الشريفين »

الفصل الثاني : «إيمان أهل الحرمين السابقين رضي الله عنهم وثناء الله تعالى عليهم في ذلك

الفصل الثالث : «قصص أهل الإيمان السابقين من أهل الحرمين في ثباتهم على الإيمان وحقيقته وقوته وكماله»

الفصل الرابع : «واجب أهل الحرمين نحو الدعوة الإسلامية»

الفصل الخامس : «إنعام الباري على من نصر دينه في الدنيا»

الفصل السادس : «تجار الحرمين وواجبهم نحو الحجاج والمعتمرين»

الفصـــل الأول

هــام جـدا لسكان الحـرمين الـشـريفين

● و اعلمـوا يا ساكني الحـرمين الشـريفـين أن مما يجب أن يكون عليـه ساكنوالمدينة ومثل ذلك أهل مكة أن يكونوا قدوةً لغيرهم من المسلمين الآخرين في دينهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وأحوالهم وآدابهم . . . . ، وسائر تصرفاتهم ، كيف وهم يجاورون صاحبَ الشريعة - على صاحبها الصلاة والتحية - ويشاهدون ليل نهار المآثر والدلائل على قيام الإسلام في أيامه الأولى ، وأينما ساروا يرون ما يذكّرهم بدين الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، ومثل هذا له تأثير كثير لمن كان له قلب .

● والمسلمون في جميع أقطار الأرض يُكنُّون لأهل المدينة - وكذلك أهل مكة - من المودَّة والاحترام والمحبة . . . الشيءَ الذي يصعب حصرُه أو التحدث عنه ، وعندما يرون واحداً منهم يعاملونه معاملة خاصة ، لذا يلزمه أن يتقي الله تعالى ، ويقدِّر هذه المسئولية العظيمة . فيكون صورةً حقيقيةً عن ساكن الحرمين الشريفين ، وإلاّ أعطى صورة معكوسة ، والعياذ بالله من ذلك . من «فضائل المدينة» لملا خاطر .

● فيا سلالة الأكرمين ! إن آباءكم وأجدادكم أول قوم عرفتهم السماء قبل الأرض ، وأول قوم وُضع لهم القبول في الأرض بعدما وُضع لهم القبول في ملائكة السموات السبع ، وأول المخاطبين بهذا النور المبين القرآن الكريم والقيام به .

وقد قال تعالى : ﴿ وإنه ذكر لك ولقومك ﴾ الزخرف : ٤٤ ، قال ابن كثير في تفسيرهذه الآية ٤ / ١٢٩ .

«ومعناه : أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم ، فهُم أفهم الناس له ، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه ، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم» اهـ .

● وهــذا سيدنـا معاويـة رضي الله عنه يحــرِّض العرب على ذلك ويقول :
« . . . **والله يا معشر العرب !** لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيـركـم من الناس أحرى أن لا يـقوم بــه» رواه أحمد وأبو داود كما في التفسير لابن كثير ١ / ٣٩١ .

● فيا حفدة المهاجرين والأنصار! ويا أبناء مصابيح الهدى ! قد أعطاكم الله دار الإيمان ومنبعه ومفتاحه من حيث المأوى والمسكن ، وتعيشون تحت ظل هذه البلاد المباركة التي هي سراج الدين ومنطلق العقيدة الراسخة ، يحكم فيها بالكتاب والسنة ، ويقام فيها حدود الله ، ولا يوجد هذا الشيءِ على وجه الأرض في هذا الزمان إلا في هذه البلاد المباركة ، زاد الله ولاة أمورها حرصاً على ذلك ، آمين .

● ويا أهل الحرمين الشريفين ! هذه جزيرتكم جزيرة العرب ، وقد يئست الشياطين أن تُعبد ببلادكم هذه كما بشَّر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلا : «إن الشيطان قد أيسَ أن يُعبد بأرضكم هذه ، ولكن قد رضي منكم بما تحقِرون» . رواه أحمد في مسنده ٢ / ٣٦٨ ، وكشف الأستار ٣ / ٣٢٢ .

● وفي رواية : «إن الشياطين قد يئست أن تُعبد ببلدي هذا - يعني المدينة - وبجزيرة العرب ، ولكن التحريش بينهم» كما في كشف الأستار ٢ / ٥٠ ، والحديث حسن والله أعلم .

وفي رواية لمسلم رقم الحديث : ٣٧٠ : عن النبي ﷺ قال : «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريبا كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها» .

قوله ﷺ : «بين المسجدين» أى مسجدى مكة والمدينة قاله النووي .

وقال النبي ﷺ : «إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها ، وليعقلنَّ الدين من الحجاز مَعقل الأرويَّة من رأسِ الجبل ، إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء : وهم الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي» رواه الترمذي رقم الحديث : ٢٧٦٥ . وقال : هذا حديث حسن .

قوله : «معقل الأروية من رأس الجبل» الأُروية بضم الهمزة وتكسر وتشد الياء : الأنثى من المعز الجبلي . والمعقل مصدر بمعنى العقل ويجوز أن يكون اسم مكان ، أى كاتخاذ الأروية من رأس الجبل حصناً دون واعل ، لأنها أقدر من الذكر على التمكن من الجبال الوعرة . والمعنى : أن الدين في آخر الزمان عند ظهور الفتن واستيلاء الكفرة والظلمة على بلاد أهل الإسلام يعود إلى الحجاز ـ مكة والمدينة وما حولها من البلاد ـ كما بدأ منه . من «تحفة الأحوذي بشرح الترمذي» ٧ / ٣١٩- ٣٢٠ .

● فكونوا من الغرباء يا أهل الحجاز ! واصلحوا ما أفسد الناس من بعد نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم من سننه ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها كما هو من شعار آبائكم الأولين من أهالي الحرمين الشريفين لأن أرضكم هذه صالحة لغرس الخيرات فيها من أول يوم ، ليست بسبخة ولا قيعان ، والمواقع موجودة ومتوفرة في هذا الميدان لإحياء سنن النبي ﷺ . و قال الشاعر ونعم ما قال :

إذا لم تطب في طيبة عند طيب
تطيب بها الدنيا فأين تطيب ؟

● وفي مثل هؤلاء المسلمين قال شاعر الشرق السيد محمد إقبال ما ترجمته :
إن «إقبال» لم ييئس من حرثه ولا من أرضه الخربة ، لأن تربتها صالحة للنباتات الزاهرة المثمرة إلا أنها ينقصها السقي .

ومراد الشاعر والله أعلم : أنه لم ييئس من إخوانه المسلمين مهما ابتعدوا عن الدين ، لأنهم تنقصهم الدعوة الصالحة ، والإيمان موجود في قلوبهم - والحمد لله - وإذا سقي بالدعوة والموعظة الحسنة لأنبتت شجرة عجيبة يندر مثلها في العالم ، وهي شجرة إيمانية أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها اهـ

● ولسنا نقول : ليست فيكم رغبة في طاعة الحق وأعمال البر ، بل نشكر الله سبحانه بأنكم مسلمون مؤمنون ، وقلوبكم مضيئة بشُعلة الإيمان (والحمد لله) ومثلكم كمثل المصباح الذي مليء بالزيت ، ويوجد فيه الفتيلة والمواد التي تحتاج إلى تنويره ، ولكن انخفضت الفتيلة قليلاً وتلبدت بالغبار ، وهذه الفتيلة تحتاج إلى أن ترفعوها قليلاً وتنظفوها ، فعندما ترفع الفتيلة تنبعث الأنوار ويضيء كل شيء حولها فترون بها الصراط المستقيم .

● أحبابي أهل الحرمين الشريفين ! قوموا قليلا وتشجعوا ثم صمموا على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقروا من أعماق القلوب بأننا نعيش الحياة الباقية على درب الدين الحنيف ونموت على ذلك عملا بقوله تعالى : ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ الأنعام : ١٦٢ .

● وأهم شيء نؤكد عليكم فيه يا إخوتي ! أن تتذكروا أنكم سكان هذه البلاد المباركة وهما سيدتا البلدان ، فلتكن سيرتكم سيدة السير ونموذجاً يُحتذى فيما يرضى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

فمن أعرض عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وإتباع شرعه فالله سبحانه

يحذِّره ويقول : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ محمد : ٣٨ ، ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره سبحانه . قاله ابن كثير رحمه الله .

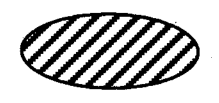
فعلينا جميعا أن نكون مثل هؤلاء السامعين المطيعين لأوامره سبحانه قبل أن ينزل فينا هذا الأمر الشديد ، نعوذ بالله من ذلك .

وقال تعالى : ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴾ إبراهيم : ١٩- ٢٠ ، أى بعزيز ولا ممتنع ، بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم . قاله ابن كثير .

والله سبحانه يخاطب المؤمنين خاصة ويخبرهم عن قدرته العظيمة ، أنه من تولّى عن نصرة دينه ، وإقامة شريعته ، فإن الله سيستبدل به من هو خير لها منه ، وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ المائدة : ٥٤ . قاله ابن كثير . رحمه الله .

● و يقول تعالى معرضا بأهل مكة (خاصة) في قوله : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ القصص : ٥٨ : أى طغتْ وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم الله به عليهم من أرزاق كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان – إلى قوله – فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ تلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ﴾ أى دثرت ديارهم فلا ترى إلا مساكنهم ، وقوله تعالى : ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ أى رجعت خرابا ليس فيها أحد ... اهـ . ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ٣ / ٣٩٦

نسأل الله لنا ولكم العافية والمعافاة إنه سميع مجيب



الفصل الثاني

إيمان أهل الحرمين السابقين وثناء الله عليهم في ذلك

● **ياحفدة قوم عرفتهم السماء قبل الأرض** اعلموا أن ربكم ورب آباءكم جعل إيمان أولئك - أهل مكة وأهل المدينة - مثالا وميزانا للآخرين إلى يوم الدين ، ورغبهم في مثل هذا الإيمان السنيّ قائلا : ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق ...﴾ البقرة ١٣٧ .

قال القرطبي في تفسيره : ١ / ٩٦ : «الخطاب لمحمد - ﷺ - وأمته ، والمعنى : فإن آمنوا مثل إيمانكم ، وصدّقوا مثل تصديقكم فقد اهتدوا اهـ .

● **قال أبو طلحة :** لو لم تكن في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم - أهالي مكة والمدينة - إلا هذه الخصلة الإيمانية التي بيّنها سبحانه ، ورغب غيرهم في اختيارها والإقتداء بها ، لكفى بهم شرفا وفضلا ورضا لرب العالمين . وقد قال تعالى :﴿ومن أصدقُ من الله حديثا﴾ النساء : ٨٧ .

وكذلك يحذّر الله الناس قائلا : ﴿ومن يشاقّق الرسولَ من بعد ما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونُصله جهنم وساءت مصيرا﴾ النساء : ١١٥ .

اعلم يقينا أن الله تعالى ذكر في هذه الآية قوله : ﴿سبيل المؤمنين﴾ مكان سبيل الله ، ففي ذلك إشارة إلى أن سبيل المؤمنين هو بعينه سبيل الله سبحانه .

● فإذاً لا يعتبر أيّ إيمان إلا كإيمان أولئك المؤمنين السابقين ، ومن رد إيمانهم قائلا : ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ فهو السفيه دون سواه ، وهو (الجاهل الضعيف الرأى ، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ، وقد تولّى الله سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها فقال : ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ ضلالتهم وجهلهم ، وذلك أردى لهم وأبلغ في العمي والبعد عن الهدى) مابين القوسين ذكره ابن كثير .

والآية بكاملها :﴿ (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمَنَ النَّاسُ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلَمون﴾ البقرة : ١٣ .

● وكيف لا يُقتدى بإيمان أهل الحرمين السابقين رضي الله عنهم، وقد امتحن الله قلوبهم للتقوى ، وشهد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ، وحبب إليهم الإيمان ، وزيَّنه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وشهد لهم بالرشد والهداية بالتأكيد فضلا منه ونعمة فقال : ﴿ إن الذين يغُضُّون أصواتَهم عند رسول الله أولئك الذين امتحنَ اللهُ قلوبَهم للتَّقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم ﴾ الحجرات : ٣

ويذكّرهم الله تعالى نعمة الإيمان وتزيينه في قلوبهم قائلا : ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثيرٍ من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفرَ والفسوقَ والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾الحجرات : ٧-٨ .

● قال أبو طلحة : فلما امتحن الله قلوب المهاجرين والأنصار للتقوى (أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا) مابين القوسين من التفسير لابن كثير .

● ولما أخبر الله سبحانه بأن ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ . الحجرات : ٣ .

● ولما حبب الله إليهم الإيمان بنفسه ، وزينه في قلوبهم بنفسه ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان بنفسه (وهي الذنوب الكبائر ، والعصيان : وهي المعاصي ، وهذا تدريج لكمال النعمة - وقال في شأنهم : ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ أي المتصفون بهذه الصفة هم الرشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم) مابين القوسين ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى .

● ولما قارب الله بين قلوبهم ، وأيد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بنصره وبالمؤمنين ، وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله منها .

● ولما أظهر الله إيمان هولاء وصبرهم ، وجلدهم . وثبتهم على الحق ، ورزقهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وميزهم بالهجرة والجهاد في سبيله ، وزين في قلوبهم الإيمان ، وميزهم الخبيث من الطيب ، وألف بين قلوبهم ، وأنقذهم من النار ، وأعدَّ لهم مغفرة وأجراً عظيماً ، وأعلن برضاه من فوق سبع سموات قائلا : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾التوبة : ١٠٠ ، وقد قال تعالى : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ التوبة : ٧٢ .

● فكيف لا يثبتهم الله على الإيمان حق الثبات وقد رضي الله عنهم ، وتولى الله جواب هؤلاء في معرض كلام الجهلاء والسفهاء .

● **وكيف** لا يصف رب هؤلاء إيمانهم قائلا من فوق سبع سموات :
﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ الأنفال : ٤ .

● **وكيف** لا يكون إيمانهم مثالا وميزانا لإيمان الآخرين من كانوا وحيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها .

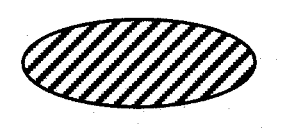
● **فمن ذا الذي** يضل من هداهم الله ؟ ويزحزح هذه الشجرة الإيمانية التي غرسها الله تعالى في قلوب أحبائه من أهل الحرمين السابقين وغيرهم من المؤمنين المكرمين ، والتي﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ إبراهيم : ٢٤-٢٥ .

● **كلا ، ثم كلا** لن يقدر على ذلك أحد من العالمين ، ألا ! فمن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادي له ، وهو يعلم حيث يجعل إيمانه ويزينه ، فلا يعطي الإيمان إلا من يستحق ، ولا يمنعه إلا من يستحق ، وهو يعلم قلوب عباده السليمة من المفسدة العقيمة .

● **وقد شهد الله** سبحانه لهؤلاء - أهل مكة والمدينة السا بقين - وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات ، وأثنى عليهم في مواطن كثيرة قائلا :

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا . . . ﴾ الفتح : ١٨ .

وقال تعالى : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ الأنفال : ٤
وقال تعالى : ﴿ أولئك هم الفائزون ﴾ التوبة : ٢٠
وقال تعالى : ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ التوبة : ٨٨
وقال تعالى : ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ الحجرات : ٧
وقال تعالى : ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ الحجرات : ١٥
وقال تعالى : ﴿ أولئك الذين يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا ﴾ القصص : ٥٤
وقال تعالى : ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ الحجرات : ٣
والآيات في ذلك كثيرة تركناها للإختصار .



الفصل الثالث

قصص أهل الحرمين في ثباتهم علي الإيمان وحقيقته وقوته وكماله رضي الله عنهم

كما ذكرنا في الصفحات السابقة أن الله سبحانه جعل إيمان أهل مكة والمدينة السابقين مثالا وميزانا للآخرين إلي يوم الدين ، ورغبهم في مثل هذا الإيمان السني ، وفي ذلك لهم شرف ليس بعده شرف .

● أتدري كيف نالوا هذا الشرف المبين والفوز العظيم ؟

● ينبغي أن تعلم : أنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدَّلوه ، فألزمهم الله كلمة التقوى وهي : لا إله إلا الله محمد رسول الله وما يتعلق بها من الإخلاص والإيمانيات ، وكانوا أحق بها من غيرهم ، لأن الله تعالى اختارهم لدينه الإسلام أحب الأديان إليه سبحانه ، وأكرم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أصحاباً مثل هؤلاء فصاروا نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء .

● فاضطهدوا لأجل إعلاء كلمة الله على رمضة الحجارة ، وصلوا على حجرة النار ، وطعنوا بالرماح ، ورشقوا بالنبال ، وصلبوا على رؤوس النخل ، ولا حيلة لهم للدفاع عن أنفسهم إلا أن يفوضوا أمرهم إلى الله سبحانه ، وليس لهم دافع غير الله ، فسقطوا شهداء ، ولم يجدوا كفنا ولا قبرا ، وإن وجدوا الكفن لا يغني عن تكفينه لسائر جسده ، إن غطوا رأسه انكشفت قدماه ، فيدفن أحدهم وتذرف عينا أعظم الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - دموعاً تأثراً وشفقة على أحوالهم اليائسة ، وهؤلاء الكرام وأئمتنا من بعدهم لم يذوقوا طعم ثمار دعوتهم في الدنيا ، فقد التحقوا بالرفيق الأعلى قبل أن يدركوها ، وقد مضت على تلك الحالة ثلاث عشرة سنة حتى فتح الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم خيبر ومكة ، فأينعت الثمار ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأما الذين انتقلوا إلى الدار الآخرة ولم

يذوقوا طعم الحكومة المسلمة ، ولم يشهدوا شوكة الإسلام .

● أما الذين عاشوا كراماً ، وأكلوا من ثمارها الناضجة وكانوا يخافون على انتقاص أجورهم لاحتمال تفريطهم في أكل الثمار فيقال : ﴿ اذهبتُم طيبّاتكم في حياتكُم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ الأحقاف : ٢٠

● **اعلم يا أخي ! لقد كان الإيمان أثبت وأقوى في قلوب** أهل الحرمين السابقين حتى شهد بذلك النبي ﷺ كما ذكره ابن جرير عن أبي إسحاق السبيعي قال : لما نزلت ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ... ﴾ النساء : ٦٦ :

● قال رجل - وفي رواية لابن أبي حاتم - قال أناس من أصحاب النبي ﷺ : لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : «إن من أمتي لرجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي» . ذكره ابن كثير ١/٥٢٣ .

وذكر القرطبي في تفسيره : ٥/ ١٧٤ : قال مالك : القائل ذلك أبوبكر الصديق رضي الله عنه وذكر النقاش أنه عمر رضي الله عنه . وذكر عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : لو كُتب علينا ذلك لبدأت بنفسي وأهلي وبيتي .

وذكر أبو الليث السمرقندي : أن القائل منهم عمار بن ياسر وابن مسعود وثابت ابن قيس ، قالوا : لو أن الله أمرنا أن نقتل أنفسنا أو نخرج من ديارنا لفعلنا ؛ فقال النبي ﷺ : «الإيمان أثبت في قلوب الرجال من الجبال الرواسي» .

و﴿ لو ﴾ حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، فأخبر الله سبحانه أنه لم يكتب ذلك علينا رفقا بنا لئلا تظهر معصيتنا . فكم من أمر قصّرنا عنه مع خفته فكيف بهذا الأمر مع ثقله ! لكن أمَا والله لقد ترك المهاجرون مساكنهم خاوية وخرجوا يطلبون بها عيشة راضية . اهـ من القرطبي .

● فإليك بعض هذه القصص التي تدل على ماقاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إيمان أصحابه ، بأنه أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي :

قصة عبدالله بن حذافة السهمي في ثباته على الإيمان

● ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٢ / ٥٨٩ وكذا ذكره صاحب «كنز العمال» ٧ / ٦٢ : عن ابن عساكر أنه أسرته الروم ، فجاءوا به إلى مَلكهم ، فقال له : تنصّر وأنا أشركك في مُلكي ، وأزوّجك ابنتي ، فقال له : لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلتُ . فقال : إذا أقتلك ، فقال : أنت وذاك ، قال : فأمر به فصلب ، وأمر بالرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه ، وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ، ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بقدر ... من نحاس فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين ، فألقاه وهو ينظر ، فإذا هو عظام تلوح ، وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يلقي فيها ، فرفع في البكرة ليلقي فيها فبكى ، فطمع فيه ودعاه ، فقال : إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة ، تلقي في هذه القدر الساعة في الله ، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله .

وفي بعض الروايات : أنه سجّنه ومنع منه الطعام والشراب أياماً ، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ، ثم استدعاه فقال : ما منعك أن تأكل ؟ فقال : أما إنه قد حل لي ، ولكن لم أكن لأشمتك بي - أي لا أحب أن تفرح بمصيبتي - فقال له الملك : فقبّل رأسي ، وأنا أطلقك ، فقال : وتطلق معي جميع أساري المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حق على كل مسلم أن يقبّل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ ، فقام فقبّل رأسه . ينظر الإصابة أيضا : ٤ / ٦٢ .

قصة أبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار

● وذكر ابن تيمة رحمه الله في الفتاوى الكبرى ١١ / ٢٧٩ وقال : وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار ، فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة ، وهي ترمي بالخشب من مدها ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : تفقدون من متاعكم شيئا حتى أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ، فقال اتبعني ، فتبعه ، فوجدها قد تعلّقت بشيء فأخذها .

وطلبه الأسود العنسي لما ادّعى النبوة فقال له : أتشهد أنّي رسول الله ؟ قال : ما

أسمع . قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقي فيها ، فوجدوه قائما يصلي فيها ، وقد صارت عليه برداً وسلاماً .

وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام . اهـ .

شجاعة أبي ذر في إعلان إسلامه وثباته عليه

● أخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية ١ / ١٥٨ من طريق ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أقمت مع رسول الله ﷺ بمكة فعلمني الإسلام ، وقرأت من القرآن شيئا ، فقلت : يارسول الله ! إني أريد أن أظهر ديني ، فقال رسول الله ﷺ : «إني أخاف عليك أن تقتل ، قلت : لا بد منه وإن قتلت ، قال : فسكت عني ، فجئت - وقريش حلقاً يتحدثون في المسجد - فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

فانتقضت الحلق فقاموا ، فضربوني حتى تركوني كأنّي نُصُب أحمر ، وكانوا يرون أنهم قد قتلوني ، فأفقتُ فجئت إلى رسول الله ﷺ ، فرأى ما بي من الحال ، فقال لي : «ألم أنهك ؟ فقلت : يارسول الله ! كانت حاجة في نفسي فقضيتُها . فأقمتُ مع رسول الله ﷺ ، فقال : الحق بقومك ، فإذا بلغك ظهوري فأتني .

«النصب» : الحجر الذي كان المشركون يذبحون عليه ذبائحهم التي يهدونها للأصنام ، والمراد هنا : أنهم ضربوه حتى أدْمَوه فصار كالنصب المحمّر بدم الذبائح (النهاية) .

وأخرجه الحاكم ٣ / ٣٣٨ وأبو نعيم في الحلية ١ / ١٥٩ عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال : أتيتُ مكة ، فمال عليَّ أهل الوادي بكل مَدرَة وعظم ، فخررت مغشيا عليّ ، فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر .

إحراق المشركين عمار بن ياسر بالنار

● وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال : «أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» . قال الهيثمي ٩ / ٢٩٣ : رجال الطبراني رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبدالعزيز وهو ثقة اهـ .

وعند الحاكم في الكُنى وابن عساكر عن عثمان رضي الله عنه قال : بينما أنا أمشي مع رسول ﷺ بالبطحاء إذ بعمار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن

الإسلام . فقال عمار : يارسول الله ! الدهر هكذا ! فقال - ﷺ - : «صبرا يا آل ياسر . اللهم ! اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت . وأخرجه أيضا أحمد والبيهقي والبغوي والعقيلي وابن مندة وأبونعيم وغيرهم بمعناه كما في الكنز ٧ / ٧٢ .

وأخرج ابن سعد في الطبقات (ج٣ ق ١ ص١٧٧) عن عمرو بن ميمون قال : أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار ، قال : فكان رسول الله ﷺ يمر به ، ويمر يده على رأسه فيقول : «يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام ؛ تقتلك الفئة الباغية» . اهـ

وفي الإصابة ٣ / ٦٤٧ : وطعن أبوجهل سميّة في قُبلها فماتت ، ومات ياسر في العذاب ، ورمي عبدالله فسقط اهـ .

وعند أحمد عن مجاهد قال : أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد أمّ عمار سميّة ، طعنها أبو جهل بحربة في قبلها . وكذا في البداية ٣ / ٥٩ .

قول عمر في إيمان عثمان وكماله رضي الله عنهما

● أخرج ابن عساكر عن أبي بحرية الكندي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ذات يوم ، فإذا هو بمجلس فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : معكم رجل لو قسم إيمانه بين جند من الأجناد لوسعهم - يريد عثمان بن عفان - ذكره في منتخب كنز العمال لعلي المتقي ٥ / ٨ .

وذكر المقدسي في «الرقة والبكاء» ص ٩٠ : قصة سيدنا عثمان رضي الله عنه في استجابة دعائه على من أراد به وبأهله السوء وهي :

مر أحد السلف يوما على رجل مقطوع اليدين ، مقطوع الرجلين ، أعمى ، وهو ينادي ! النار ! النار ! فسأله ما شأنك ؟ قال : أنا ممن اقتحم دار عثمان بن عفان ، فاعترضتْ امرأته فلطمتُها فدعا عليّ عثمان فقال : «قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك ناراً ، وتحققت فيه دعوة عثمان ولم يبقَ لي إلا النار اهـ .

وصدق الله العظيم في الحديث القدسي : «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» رواه البخاري في باب التواضع من كتاب الرقاق .

قوة إيمان سيدنا عمر رضي الله عنه

● وأخرج ابن أبي داود في البعث، وأبو الشيخ في السنة، والحاكم في الكنى والبيهقي في كتاب عذاب القبر والأصبهاني في الحجة وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ياعمر كيف أنت إذا كنتَ في أربع أذرع من الأرض في ذراعين؟ ورأيتَ منكراً ونكيراً؟» فقلت: يارسول الله! وما منكر ونكير؟ قال: «فتانا القبر يبحثان (يحفران) القبر بأنيابهما، ويطآن في أشعارهما، أصواتهما كالرعد القاصف - أي الشديد المهلك لشدة صوته - وأبصارهما كالبرق، معهما مرزبة - مطرقة - لو اجتمع عليهما أهل منى لم يطيقوا رفعها، هي أيسر عليهما من عصاي هذه - وبيد رسول الله ﷺ عصيّة يحركها - فامتحناك، فإن تعاييت - أي عجزت عن الجواب - أو تلويت ضرباك بها ضربة تصير بها رمادا»، قلت: يارسول الله! وأنا على حالي هذه؟ قال: «نعم» قال: إذا أكفيكهما. راجع «كنز العمال» ٨/ ١٢١ طبع الهندية.

● وزاد عبدالواحد المقدسي في كتابه «التبصير» فقال ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبياً لقد أخبرني جبريل أنهما يأتيانك فيسألانك فتقول أنت: الله ربي فمن ربكما؟ ومحمد نبي ومن نبيكما؟ والإسلام ديني فما دينكما؟ فيقولان: وا عجباه! ما ندري نحن أرسلنا إليك أم أنت أرسلت إلينا» كما في «الرياض النضرة» ٢/ ٣٤ وذكره صاحب «حياة الصحابة» ٣/ ٥١٨.

● وبمناسبة القبر ومنكر ونكير نذكر هنا بعض الأبيات الشعرية للتذكير وهي:

محمد! ما أعددتَّ للقبر والبلى	وللمَلَكَين الواقفَين على القبر
وأنت مصر لا تراجع توبة	ولا ترعوي عما يذم من الأمر
سيأتيك يوم لا تحاول دفعه	فقدم له زاداً إلى البعث والنشر

«كأني أنظر إلى عرش ربي»

● قاله الحارث بن مالك رضي الله عنه كما أخرج ابن عساكر عن أنس قال :

إن رسول الله ﷺ دخل المسجد ، والحارث بن مالك راقد ، فحركه برجله قال : «إرفع رأسك» فرفع رأسه فقال : بأبي أنت وأمي يارسول الله ! فقال النبي ﷺ : «كيف أصبحت ياحارث بن مالك ؟» قال : أصبحت يارسول الله مؤمناً حقاً ، قال : «إن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة ما تقول ؟» قال : عزفت عن الدنيا - أي منعتها وصرفتها - وأظمأت نهاري وأسهرت ليلي ، وكأني أنظر إلى عرش ربي ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة فيها يتزاورون ، وإلى أهل النار يتعاوون ، فقال له النبي ﷺ : «أنت امرؤ نوّر الله قلبك ، عرفت فالزم» .

وأخرج العسكري في الأمثال عن أنس نحوه إلا أنه سماه حارثة بن النعمان ، وفي روايته فقال النبي ﷺ : «أبصر فالزم» ثم قال : «عبد نوّر الله الإيمان في قلبه» ، فقال : يانبي الله ! أدع الله لي بالشهادة ، فدعا له ، قال : فنودي يوما : يا خيل الله اركبي ، فكان أول فارس ركب ، وأول فارس استشهد .

كما في منتخب الكنز ٥ / ١٦٠ وأخرجه البزار عن أنس قال الهيثمي ١ / ٥٧ : وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به . والطبراني عن الحارث بن مالك الأنصاري فذكر نحو حديث ابن عساكر اهـ .

وأن أنفه وأذنيه لمعلق في خيط

● وجرى مثل ذلك بل وأشد منه لسيدنا عبدالله بن جحش الأسدي رضي الله عنه ، وقد دعا يوم أحد ومعه سعد بن أبي وقاص وهو يسمع فقال : اللهم ارزقني غدا رجلا شديداً بأسه ، شديدا حرده ، أقاتله فيك حتى يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك قلتُ : هذا فيك وفي رسولك - ﷺ - فتقول : صدقتَ .

قال سعد رضي الله عنه : فكانت دعوة عبدالله خيرا من دعوتي ، فلقد رأيته آخر النهار وأن أنفه وأذنيه لمعلق في خيط .

● (... وقال الزبير : كان يقال له : المجدع في الله ، وكان سيفه انقطع يوم أحد

فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرجوناً فصار في يده سيفاً ، فكان يسمى العرجون ، قال : وقد بقي هذا السيف حتى بيع من بغا الكبير بمائتي دينار) .
ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤ / ٤٦ رقم الترجمة : ٤٥٧٤ .

فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه

● وجرى مثل ذلك مع أنس بن النضر رضي الله عنه كما ذكره البخاري في «كتاب الجهاد» (باب قول الله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ ومسلم في صحيحه «كتاب الإمارة» (باب ثبوت الجنة للشهيد) :
فعن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يارسول الله ! غبت عن أول قتال قاتلتَ به المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرينّ الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ ! الجنّة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعتُ يارسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا بضعاً وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، ومثّل به المشركون ، فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنانه . اهـ باختصار واللفظ للبخاري رحمه الله .

قال ﷺ لجابر : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟

● وجرى مثل ذلك مع عبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنه :
فعن جابر بن عبد الله قال : لما قتل أبي - وفي رواية : جيء بأبي يوم أحد قد مثل به حتى وضع بين يدي رسول الله ﷺ وقد سُجي ثوباً جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي وينهوني ، والنبي ﷺ لا ينهاني ، فجعلت عمتي فاطمة تبكي ، فقال النبي ﷺ : «تبكين أو لا تبكين مازالت الملائكة تُظله بأجنحتها حتى رفعتموه» . كما ذكره البخاري في صحيحه (كتاب الجنائز) «باب الدخول على الميت بعد الموت الخ) ومسلم في صحيحه رقم الحديث ١٢٩ - ١٣٠ :

● وفي سنن الترمذي رقم (٣٠١٠) وسنن ابن ماجه رقم (١٩٠) عن جابر بن عبدالله قال : لقيني رسول الله ﷺ فقال لي : «يا جابر مالي أراك منكسراً ؟»

قلت : يارسول الله استُشهد أبي ؛ قُتل يوم أحد ، وترك عيالا وديناً ، قال : «أفلا أبشّرك بما لقي الله به أباك ؟» قال : قلت : بلى يارسول الله ، قال : «ما كلّم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وأحيىٰ أباك فكلمه كفاحاً (من غير حجاب) فقال : يا عبدي ! تمنَّ عليّ أعطك ، قال : يارب تُحييني فأقتل فيك ثانية ، قال الرب عز وجل : إنه قد سبق مني : ﴿أنهم إليها لا يَرجعون﴾ قال : وأنزلت هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾ الآية . ورواه أحمد في مسنده أيضا ٣ / ٣٦١ .

فرآه ﷺ قد شُقَّ بطنُه وقد مُثِّل به رضي الله عنه

● وجرىٰ مثل ذلك مع أسد الله وأسد رسوله ﷺ فعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من رآى مقتَلَ حمزة ؟» فقال رجل : أعزك الله ، أنا رأيت مقتله ، فانطلق فوقف على حمزة ، فرآه قد شُق بطنه ، وقد مثل به ، فقال : يارسول الله قد مثل به ، فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه ، ووقف بين ظهراني القتلى ، وقال : «أنا شهيد على هؤلاء لفّوهم بدمائهم ، فإنه ليس مجروح يجرح في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يدمي ؛ لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك ، قدِّموا أكثرهم قرآنا ، واجعلوه في اللحد» . رواه الطبراني برجال الصحيح . راجع المعجم الكبير ١٩ / ٨٢-٨٣ . ومجمع الزوائد ٦ / ٩٩ .

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ١٣٢ حيث قال : روىٰ الدار قطني عن ابن عباس قال : لما انصرف المشركون عن قتلىٰ أُحد ، انصرف رسول الله ﷺ ، فرأى منظراً ساءه ، رأى حمزة قد شُق بطنه ، واصطُلم أنفقه ، وُجدعت أذناه ، فقال : «لو لا أن يحزن النساء ، أو تكون سنة بعدي ، لتركته حتىٰ يبعثه الله من بطون السباع والطير لأمثلنّ مكانه بسبعين رجلاً» ثم دعا ببردة وغطّى بها وجهه ، فخرجت رجلاه ، فغطّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وجعل على رجليه من الإذخر ، ثم قدّمه فكبر عليه عشراً ، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه ، حتى صلّى عليه سبعين صلاة ، وكان القتلى سبعين ، فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية : ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - إلى قوله - واصْبِر وما صبرُك إلا بالله﴾ النحل : ١٢٥ / ١٢٨ . فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولم يمثل بأحد . اهـ .

فلما رآه ﷺ متشحِّطا في دمه قال : «عند الله احتسبك»

● وجرى مثل ذلك مع مصعب بن عمير رضي الله عنه يوم أحد ، وقد ذكر القرطبي في تفسيره : ١٩ / ١٣٥ قصته وقال : ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ فمصعب بن عمير ، وقىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه . وهي السهام ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متشحِّطاً في دمه قال : «عندالله احتسبك» وقال لأصحابه : «لقد رأيته عليه بردان ما تعرف قيمتهما وإن شراك نعليه من ذهب» اهـ ما ذكره القرطبي .

قصة عجيبة لسرية بعثها رسول الله ﷺ وثباتهم على الإيمان حتى قُتِلوا في سبيل الله

● روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سريَّة عيناً وأمّر عليهم عاصمَ بن ثابت الأنصاري ، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة وهي بين عسفان ومكة ، ذُكروا لحيٍّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فنفروا إليهم قريبا من مائتي راجل كلهم رام ، فاقتصّوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمراً تزوّدوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب ، فاقتصوا آثارهم ، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدْفدْ وأحاط بهم القوم فقالوا لهم : أنزلوا فأعطونا أيديكم ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحداً ؛ فقال عاصم بن ثابت أمير السرية : أما والله لا أنزل اليوم في ذمة الكافر ، اللهم أخبر عنا نبيك - ﷺ - فرموا بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة ، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق ، وهم : خُبيب الأنصاري ، وابن الدثنة ، ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوطار قسيهم فأوثقوهم ، فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر ! والله لا أصحبكم ؛ إن لي في هؤلاء لأسوة - يريد القتلى - فجرّوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه ؛ فانطلقوا بخبيب وابن الدثنة حتى

باعوهما بمكة بعد وقعة بدر ، فابتاع خبيبا بنوا الحرث ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو الذي قتل الحرث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيراً ؛ فأخبر عبيد الله بن عياض : أن بنت الحرث أخبرته : أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحدُّ بها فأعارته ، فأخذ ابنٌ لي وأنا غافلة حتى أتاه ، قالت : فوجدته مُجلسه على فخذه والموسى بيده ، ففزعتُ فزعة عرفها خبيب في وجهي ؛ فقال : أتخشَيْن أن أقتله ؟ ما كنتُ لأفعل ذلك . قالت : والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ؛ والله لقد وجدته يوما يأكل قَطف عنب في يده ، وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمر ؛ وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله تعالى خبيباً ؛ فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحلِّ قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين ؛ فتركوه فركع ركعتين ثم قال : لو لا أن تظنوا أن ما بي جزع من الموت لزدت ؛ ثم قال : اللهم أحصِهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تُبق منهم أحداً ؛ ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أيِّ شِق كان لله مَصرَعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزّع

● فقتلوه بنوا الحرث ، وكان خبيب هو الذي سن الركعتين لكل امرىء مسلم قتل صبرا ؛ فاستجاب الله تعالى لعاصم يوم أصيب ؛ فأُخبر النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه خبرهم وما أصيبوا . وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حُدّثوا أنه قتل ليؤتوا بشييء منه يعرفونه ، وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر ؛ فبعث الله على عاصم مثل الظلة من الدَّبْر فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً .

● وقال ابن إسحاق في هذه القصة : وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شُهيد ، وقد كانت نذرت حين أصاب ابنيها بأُحُد : لئن قدرتُ على رأسه لتشربنَّ في قَحفه الخمر ، فمنعهم الدبر ، فلما حالت بينه وبينهم قالوا : دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فنأخذه ، فبعث الله تعالى الوادي فاحتمل عاصما فذهب ، وقد كان عاصم أعطى الله تعالى عهدا ألاّ يمسَّ مشركا ولا يمسَّه مشركٌ أبداً في حياته فمنعه الله تعالى بعد وفاته مما امتنع منه في حياته .

وعن عمرو بن أمية الضَّمري : وكان رسول الله ﷺ بعثه عيناً وحده فقال : جئت

إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته ، فوقع في الأرض ، ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ، ثم التفت فكأنما ابتلعته الأرض .

وفي رواية أخرى زيادة : فلم نذكر لخبيب رمّة حتى الساعة ؛ ذكره البيهقي . اهـ من «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١١ / ٢١-٢٢ .

● **روي عن بعضهم** قال : مررت على سالم مولى أبي حذيفة - رضي الله عنه - في القتلى ، وبه رمق ، فقلت له : أسقيك ماء ؟ فقال : جرّني إلى العدو قليلا ، واجعل الماء في الترس فإني صائم ، فإن عشتُ إلى الليل شربته . وصدق الله العظيم : ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ المؤمنون : ٦١ .

الله أكبر ! فـزتُ وربِّ الكعبة

● قال محمد بن جرير . . . حدثني أنس بن مالك في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين أرسلهم نبي الله ﷺ إلى أهل بئر معونة قال : لا أدري أربعين أو سبعين ، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفريٍ ، فخرجِ أولئك النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتوا غاراً مشرفا على الماء فقعدوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه أبو ملحان الأنصاري - : أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرج حتى أتى حول بيتهم ، فاختبأ أمام البيوت ثم قال : يا أهل بئر معونة ! إني رسولُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فآمنُوا بالله ورسوله - ﷺ - فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح ، فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال : فزت ورب الكعبة ، فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل . ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ١ /٤٢٧ .

عجبتُ من جرأتك على الله وحلم الله عنك

● هذه قصة سعيد بن جبير تدل على قوة إيمانه وكماله ، وكان الإيمان في قلبه أشد من الجبال الرواسي ، وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب .

هوسعيد بن جبير الأسدي الكوفي ، أحد أعلام التابعين ، سمع أبا مسعود وابن

عباس وابن عمر وابن الزبير وأنسا ، ومنه نفر ، قتله الحجاج بن يوسف في رمضان ، ويقال في شوال من السنة ، ويقال : مات بعده بستة أشهر ، ولم يسلط بعده على قتل أحد لدعاء سعيد بعد ما قال الحجاج له : اختر لنفسك قتلة ، إني قاتلك بها .

قال : اختر لنفسك يا حجاج فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها في الآخرة .

قال : تريد أن أعفو عنك ؟

قال : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

فقال : اذهبوا به فاقتلوه ، فلما أخرج من الباب ضحك ، فأخبر به الحجاج فقال : ردوه فرد .

فقال : ما أضحكك ؟

قال : عجبتُ من جرأتك على الله ، وحلم الله عنك ، فأمر بالنطع - الجلد الذي يفرش للمقتول قبل قتله - فبسط فقال : اقتلوه .

فقال سعيد : ﴿ وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ .الأنعام : ٧٩ .

قال : شدوا به لغير القبلة .

قال : ﴿ فأينما تُوَلُّوا فثَمّ وجه الله ﴾ . البقرة : ١١٥ .

قال : كبوه على وجهه .

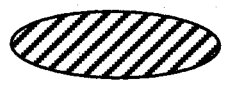
قال سعيد ﴿ منها خلقناكُم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ طه : ٥٤

قال : اذبحوه .

فقال سعيد : أمَا إني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، خذها مني حتى تلقى بي يوم القيامة ، ثم دعا سعيد وقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي ، فذبح على النطع .

قيل : عاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ، ووقع الأكلة في بطنه ، فدعا بالطبيب لينظر إليه ، فدعا باللحم المنتن فعلقه بالخيط وأرسله في حلقه ، وتركها ساعة ثم استخرجها ، وقد لزق من الدم ، فعلم أنه ليس بناج ، وكان ينادي بقية حياته : مالي ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي .

ودفن سعيد بظاهر واسط العراق وقبره بها يزار . مأخوذ من «الإكمال في أسماء الرجال» لصاحب المشكاة رحمه الله .



الفصل الرابع

واجب أهل الحرمين نحو الدعوة الإسلامية

● بعد هذه التضحية السنية من جهة آبائنا الكرام بفضل رب الأنام جل وعلا أشرقت من الحرمين الشريفين شمس الإيمان ، فنوَّر الله بها قلوب الإنس والجان في مشارق الأرض ومغاربها ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فكان كل واحد منهم مصباحاً للإيمان ، فحيثما يمرّ أحدهم في أرض الله ويسكن فيها أويجلس ، أضاء ما حوله من هذا المصباح الإيماني ، وما كان شيء من الدنيا الدنية يؤثر عليه ، بل كانت الدنيا وأهلها يتأثرون به ، وكانوا يستفيدون بنور هذا المصباح الإيماني وينوّرون به قلوبهم ، وكان أهل الحرمين يعلمون : أن شمس الإيمان طلعت من الحجاز - مكة والمدينة وما حولهما من البلاد - فلو لم نستفد منه ، ولا نحترمه ، لغيرنا من الناس أحرى أن لا يحترموه ولا يستفيدوا منه .

وهذا أحدهم رضي الله عنهم يدعونا ويرغبنا بالتأسي بأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما نقل ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ٢ / ٩٧ عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال :

● «من كان منكم متأسِّيا فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها قولاً . قوما أختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم اهـ وأورده أيضا صاحب «حلية الأولياء» ١ / ٣٠٥ .

وكيف لا ؟ وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم حريصا عليهم ، أي على هدايتهم ، ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليهم ، وكان يعز عليه ﷺ مشقتهم ،

ولا يهمه ﷺ إلا شأن أصحابه - أهل الحرمين - خاصة ، وغيرهم من الناس عامة ، وقد شهد الله بذلك قائلا : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ التوبة : ١٢٨ .

وقال الحسين بن الفضل : لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ ؛ فإنه قال : ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ وقال : ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ الحج : ٦٥ . ذكره القرطبي رحمه الله .

فخذ ياساكن الحرم ! نصيبك من ميراث آبائك السابقين - رضي الله عنهم - من الإيمان والدين ونشره ، وإحياء أعمالهم الصالحة والإقتداء بآثارهم طوعاً أو كرهاً ولا تسوف :

وكن للدين ما عشت ناصراً
وأجب لرسول الله حين دعاكَ

● وكن أشد حبا في إحياء سنن آبائك الأولين من حب الكفرة الفجرة لإحياء آثار آبائهم الكافرين وإقتدائهم بأعمالهم الذين اعلنوا واضحا بلا خوف ولاخطر ، وهم على الباطل فـ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذَر ما كان يعبد آباؤنا فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ الأعراف : ٧٠ .

وقالوا : ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ سبأ : ٣٤ .

فاعلنوا وقالوا : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمّة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال أولَو جئتُكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ الزخرف : ٢٣/٢٤

و﴿قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ الزخرف : ٢٢ .

و﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ المائدة : ١٠٤ .

● أخي في الله ! أنظر إلى شدة اهتمامك وصلابتك في إحياء سنن آبائك الأولين ، ثم انظر أيضا إلى شدة اهتمام الكفرةِ الفجرة في إحياء آثار آبائهم الخبيثين وإعلانهم عن ذلك ، ثم ازدادوا كفراً وخبثا حتى صارت الكلاب في حجورهم وعلى فرشهم يبيتون معهم ، وصدق الله العظيم : ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ الأعراف : ١٧٩ .للأسف أن بعض المسلمين يقتدون بهم في ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فكما أن منهج أعداء الله : منهج آبائهم الضالين المضلين ، فلا بد أن يكون منهجنا المسلمين منهج آبائنا المهتدين المهديين ونتبع ملة آبائنا .

● ألا ترى أن الله تعالى أثنى على سيدنا يوسف عليه السلام في اتباعه ملة آبائه في القرآن المنزل في الحرمين الشريفين الذي يتلى إلى قيام الساعة فقال : ﴿إني تركتُ ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعتُ ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك فضل الله علينا وعلى الناس﴾ يوسف : ٣٨ ، ففي ذلك كفاية لمن كان له قلب .

● وما كان لأهل الحرمين خاصة ومن حولهما من الناس عامة أن يتخلفوا عن منهج آباءهم وعلى رأسهم سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن الأمة حادّت عن جادّتها ، فإن منابع الإسلام التي سقتها دماء يفدى لها ، ألا وهي دماء الحبيب الطاهرة سيد الأولين والآخرين - صلوات الله وسلامه عليهم - في شعاب مكة ، وغبراء الطائف ومعركة أحد ، والتي روتها دماء أصحابه ﷺ الزكية ، الذين خضّروا ونضّروا بستان الإسلام ، فمن أجله ترملت أزواجهم ، وتيتمت أولادهم ، ويبست بساتينهم ، فزهقت أرواحهم الطيبة في ميادين الجهاد في شتى أنحاء العالم : في العرب والفرس والروم وبلاد ماوراء النهر وصحارى افريقية وجزيرة قبرص والأندلس فـ«لما أعز الإسلام وكثر ناصروه ؛ فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أموالنا قد ضاعت ، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ؛ فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا : ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ البقرة : ١٩٥ ، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ...) قطعة من الحديث الذي رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح . وأورده الحافظ في الفتح ٨/٣٣ وقال : أخرجه مسلم والنسائي وأبوداود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق أسلم بن عمران ... وفيه :

● (فقال أبو أيوب : أيها الناس ! إنكم تؤولون هذه الآية على هذا التأويل ، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار : إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قلنا بيننا سراً : إن أموالنا قد ضاعت ، فلو أنا أقمنا فيها وأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله هذه الآية ، فكانت التهلكة الإقامة التي أردناها) اهـ من الفتح .

فلبوا والله على ذلك وتركوا الإقامة في الأموال والأولاد وآثروا ما يبقى على مايفنى .

(أما كان آباؤنا الأولون)- من أهل الحجاز خاصة و غيره من البلاد عامة - أصحاب الجمال وركبان الحمير قد بلغوا وانتشروا في مشارق الأرض ومغاربها لنشر هذا الدين المحمدي الإسلامي ، وذلك بعد توفيق الله بعزيمتهم الصادقة ، وهممهم العالية ، وفهموا مسئولية الرسالة والبلاغ حين سمعوا ثناء الله تعالى عليهم : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ آل عمران : ١١٠ .

والحال أنه سبحانه قد رضي عنهم ، وبشّرهم بذلك في حياتهم ، ثم بلّغهم نبيُّهم رسالة ربهم فقال : «لعل الله إطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» رواه البخاري في صحيحه ...

وفي رواية : «لن يدخل النار أحد شهد بدراً» رواه أحمد بإسناد على شرط مسلم كما في الفتح ٧ / ٣٣٥ .

(مع هذه البشائر العظيمة) ، هولاء أهل غزوة بدر وأحد والخندق وأهل غزوة تبوك وحنين وغيرها من الغزوات والسرايا خرجوا للناس من واد إلى واد ومن قرية إلى قرية ومن بيت إلى بيت ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وذلك امتثالا لأمر الله ، فدخل الناس في دين الله أفواجا ، فمنهم من رجع إلى منزله بعد إبلاغ الدعوة الإسلامية ، ومنهم من مات في سبيل إعلاء كلمة الله ولم يرجع إلى أهله ومنزله ، بل وصل إلى منزله الأبقى عند ربه الأعلى ؛ سبحان ربي الأعلى .

فهذا أبو طلحة الأنصاري مدفون في الروم ، **وهذا** أبوأيوب الأنصاري مدفون في استانبول ، **وهذا** النعمان بن مقرن وعمر بن معديكرب من أكابر المهاجرين مدفونان في نهاوند ، **وهذا** معبد بن عباس وعبدالرحمن بن عباس قبورهما في بلاد افريقية الشمالية ، **وهذا** قُثم بن عباس قبره في سمر قند ، **وهذا** أبو لبابه البدري وأبو زمعة الأنصاري مدفونان في تونس ، **وهذا** عقبة بن مسلم الباهلي مدفون في فرغانه ، **وهذا** معاذ بن جبل ترك المجالس العلمية المدنيّة المزدهرة وجاد بنفسه لإعلاء كلمة الله ، **وهذا** أبو عبيدة عامر بن الجراح وعبدالله بن رواحه من أصحاب النبي ﷺ والتابعين وعددهم خمسة وعشرون ألفاً من مصابيح الهدى : كلهم قد ماتوا ودفنوا في

بلاد الأردن ، **وهـذا** سيف من سيوف الله خالد بن الوليد قبره في حمص ، **وهـذا** أنس بن مالك مدفون في البصرة ، وكذلك سبعون من أصحاب النبي ﷺ مدفنهم في الكوفة ، **وهـذا** عمرو بن العاص وعقبة بن عامر كانا من أكابر أصحاب النبي ﷺ مدفونان في مصر ، **وهـذا** أسير بن عروة بن سواد الأنصاري استشهد بنهاوند وقبره هناك ، **وهـذا** علقمة بن مجزز المدلجي مع ثلاثمائة فارس بعثهم عمرٍ إلى الحبشة في البحر فأصيبوا فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أحداً ، **وهـذا** سهل بن سعد مات بالكوفة ، **وهـذا** البراء بن مالك قبره في تستر ، أتدري كم من المسافة بين تستر والحرمين الشريفين ؟ **وهـذا** الفضل بن عباس قبره في الشام رضي الله عنهم أجمعين . (هذا كله من «الإصابة» للحافظ ابن حجر ومن «إكمال في أسماء الرجال» لصاحب المشكاة رحمهما الله تعالى .

● تأمل يا ساكن الحرم المكي والمدني ! إلى أين ذهب آباؤكم هؤلاء و كيف يقومون ويفرون ويسبقون ؟ ولماذا تركوا حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وجوار بيت الله العتيق وجوار المصطفى الحبيب صلوات الله وسلامه عليه مع أنه زين للناس حب هذه الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وغيرها .

● نعم ! قاموا لله قانتين ، وسبقوا إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض وذلك امتثالا لأمر الله وهو : (١) : ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ الحديد : ٢١ .
و امتثالا بأمره سبحانه (٢) : ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ آل عمران : ١٣٣ .

● وفروا - رضي الله عنهم - من أنفسهم إلى ربهم امتثالا لأمر ربهم وهوقوله سبحانه جلت عظمته : (٣) : ﴿ففروا إلى الله﴾ الذاريات : ٥٠ .

● وبادروا إلى ما أمرهم الله وحثهم عليه من المبادرة والاستعجال إلى جميع الطاعات امتثالا لأمر الله : ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ البقرة : ١٤٨ .

● واستبدلوا الذي هو أعلى وأبقى بالذي هو أدنى وأفنى ، وفروا إلى ما

عندالله من الخير تاركين اللهو والتجارة وغير ذلك من الشهوات استجابة لقوله تعالى : ﴿قل ما عندالله خير من اللهو و من التجارة﴾ الجمعة : ١١ .

وقوله سبحانه : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ يونس : ٥٨ .

لقد كان هذا دأب آبائنا أهل الحرمين - رضي الله عنهم - فلبوا والله على ذلك ، وآثروا ما يبقى على ما يفنىٰ ، وحفظوا حديقة الإيمان التي سقتها دماء الحبيب الطاهرة سيد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في شعاب مكة وغبراء الطائف ومعركة أحد وغيرها .

● **وأما نحن بغفلتنا** عن هذه الحديقة الإيمانية ، وإنهماكنا بالدنيا وحطامها أنقضت أسوارها ، فليس لها من يحرسُها ، ويبستْ أشجارها فعدمت سيقانها ، فهل لها من باك ؟ وهل لها من صاح يصحو من نوم عميق طال أمده ؟ فيرجع إلى حديقة الآباء فيخدمها ويسقيها ويقابل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيده شهادة حراسة الحديقة الإيمانية الزاهرة فيسأله ويقول : ما أحسن الناس شهادة بعدي . ونعم ما قيل :

« **بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا من العناية ركنا غيرمنهدم** ».

● **فيا أهل الحجاز وغيرهم من الناس** هذا الحكم المذكور المفسر في قوله تعالى : ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ والحكم الآتي بعد قليل ليس بمنسوخ - وهو الذي ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٩ / ١٩٣ - مفسراً لقوله تعالى : ﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ البروج : ٤-٧ .

● ففي تفسير هذه الآيات ذكر القرطبي بعض القصص التي تدل على ما كان يلقاه المؤمنون الموحدون من الأمم السابقة من الشدائد والمشقات والآلام والأذى حتى نشروا بالمنشار في سبيله تعالى ثم قال رحمه الله :

مسألة : قال علماءنا اعلَم اللهُ عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ما كان يلقاه مَن وحّد قبلهم من الشدائد ، يؤنسهم بذلك . وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام الصغير ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها ، ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به ، وبذله نفسه

في حق إظهار دعوته ، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره . وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نُشر بالمنشار . وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم ، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم . ابن العربي : وهذا منسوخ عندنا ... » .

● قلت : ليس بمنسوخ عندنا ، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى ، قال الله تعالى مخبرا عن لقمان : ﴿ يابُنيَّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهِ عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور ﴾ لقمان : ١٧ .

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : «إن من أعظم الجهاد كلمةَ عدل عند سلطان جائر» خرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

● وروى ابن سنجر (محمد بن سِنجر) عن أميمة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كنت أوضيء النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل قال : أوصني فقال : «لا تشرك بالله شيئا وإن قُطِّعتَ أو حرِّقت بالنار ....» الحديث .

قال علماؤنا : ولقد امتُحن كثير من أصحاب النبي ﷺ بالقتل والصّلب والتعذيب الشديد ، فصبروا ولم يلتفتوا إلى شيء من ذلك ، ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق وغير ذلك ، وقد مضى في «النحل» أن هذا إجماع ممن قوي في ذلك ، فتأمله هناك . اهـ ما قاله القرطبي .

● قال أبو طلحة : هناك قوم من بعد هولاء الأكرمين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا بد أن يكون لنا في هؤلاء نصيب حتى تصدق علينا بشارة الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه الآتية :

● وقد بشر النبي ﷺ للذين يأتون من بعده كما أخرج أبو يعلى عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ جالسا فقال : «أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيماناً؟» قالوا : يارسول الله ! الملائكة ، قال : «هم كذلك ويحق لهم ذلك ، وما يمنعهم من ذلك وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها» بل غيرهم قالوا : يارسول الله ! الأنبياء الذين أكرمهم الله برسالته والنبوة ، قال : «هم كذلك ويحق لهم وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالمنزلة التي أنزلهم بها» قالوا : يارسول الله ! الشهداء الذين استشهدوا مع الأنبياء ، قال : «هم

كذلك ويحق لهم وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة، بل غيرهم» قالوا: فمن يارسول الله؟ قال: «أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقون بي ولم يروني، يجدون الورق المعلق - المراد المصحف - فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانا». قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠ / ٦٥: رواه أبو يعلى، ورواه البزار عن عمرو عن النبي ﷺ وساق الحديث مثله ثم قال في آخره: الصواب أنه مرسل عن زيد بن أسلم، وأحد أسنادى البزار المرفوع حسن. اهـ.

وعند أحمد عن أبي جمعة رضي الله عنه قال: تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فقال: يارسول الله! أحد أفضل منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك، قال: «نعم. قوم يكونون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٦٦: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بأسانيد، وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات اهـ.

● وقد اقتفى الخلف أثر السلف في الطاعة والمحبة وما زالت طائفة من هذه الأمة تعرف بفرط محبتها وطاعتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنالتها من ربها نفحات وإختصاصات قد أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله».

وعند أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لمن رآني وآمن بي! وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات». أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٦٧ وقال: رواه أحمد والطبراني بأسانيدها، ورجالها رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري وهو ثقة. انتهى.

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أني لو رأيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني».

قال الهيثمي ١٠ / ٦٦ : رواه أحمد وأبويعلى ولفظه : «ومتى ألقى إخواني ؟» قالوا : يارسول الله ! ألسنا إخوانك ؟ قال : «بل أنتم أصحابي ، وإخواني الذين آمنوا بي ولم يروني» . وفي رجال أبي يعلى محتسبٌ أبو عائض وثقه ابن حبان وضعّفه ابن عدي ، وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير الفضل بن الصباح وهو ثقة . وفي إسناد أحمد جسر وهو ضعيف ، ورواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير محتسب اهـ .

وروى القاضي عياض في الشفاء ٢ / ١٨ : عن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلى أصحابه : من المهاجرين والأنصار . يُسّميهم ويقول : هم أصلي وفصلي ، وإليهم يحنُّ قلبي ، طال شوقي إليهم ، فعجّل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم» اهـ .

● ***ومن فضائل هذه الأمة المحمدية*** عند أحمد والبزار والطبراني عن عمار ابن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره» . قال الهيثمي ١٠ / ٦٨ : ورجال البزار رجال الصحيح غير الحسن بن قزعة وعبيد بن سليمان الأغر وهما ثقتان ، وفي عبيد خلاف لا يضر انتهى .

وأخرجه البزار وغيره عن عمران ، والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما كما في مجمع الزوائد . وقال المناوي في «فيض القدير» شرح الجامع الصغير ٥ / ٥١٧ : قال ابن حجر في الفتح : هو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة اهـ .

فقم يا ساكن الحرم المكي والمدني

● وخذ نصيبك من هذه البشائر المذكورة وكن مفتاحا للخير ومغلاقا للشر وما هذا وقت الاختلافات والشهوات والافتراءات فيما بيننا ، واتركها لوجه الله فإن ظرفها واسع ، وكن سحاباً ثقالاً متراكماً في السماء ، تحمل ماء الرحمة والوفاء ، ومن ثَمَّ انظر إلى البلاد الميتة المحروقة للمسلمين في أنحاء العالم ، ثم امطر

عليهم مطر الخير والرحمة والبرد ، حتى تُطفأُ النار الموقدة من جهة أعداء المسلمين، و قد أخبرالله سبحانه عن عداوتهم الشديدة والأكيدة قائلا : ﴿لتجدنَّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ... ﴾ المائدة : ٨١ .

● ومن المعلوم أن المواقع موجودة ومتوفرة في الحرمين الشريفين خاصة وفي بلاد المملكة عامة للعمل في ميدان الدعوة الإسلامية ونشرها في أنحاء العالم ، تهتم بها رابطة العالم الإسلامي برحب صدرها - وهي أحق بها لأنها واقعة في مهبط الوحي ومفتاح الإيمان - وترسل الدعاة إلى مشارق الأرض ومغاربها على نفقاتها الخاصة ، ويرحب مسئولوا الرابطة بكل من يقدم خدماته للدعوة إلى الخارج ، بدون أي فرق بين الأبيض والأسود ، والعاكف الباد ، وهذا كما رأيته حينما حضرت وقدمت خدماتي للدعوة إلى الخارج **لفضيلة الدكتور «هاشم محمد علي مهدي »مدير عام شئون الدعوة الإسلامية لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة** ، و ذلك قبل أسبوع من كتابة هذه السطور في ٢ رمضان المبارك سنة ١٤١٧هـ فرحب بي الدكتور وشجعني على مؤلفاتي بعد ما رآها بيده ، وهو - حفظه الله - أحد الأخيار الوجهاء بمكة المكرمة ، وقد صوّر الله الإيمان في قلبه ، وجدته رجلاً حليماً رحيما شفيقاً ، يسمع كلام كل من أتاه بصدر رحب ، وييسر له في أمره ، ويبشره فيه ، كأن قلبه متزين بزينة الإرشاد المصطفوى على صاحبه الصلاة والسلام : «بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا» متفق عليه .

زاده الله حرصا في طواعية الله وطواعية الرسول ﷺ وكثر الله أمثاله وأطال المولى بقاءه بالعافية والمعافاة ، وسقاه الله من لبن لم يتغير طعمه آمين .

فحق له أن أقول فيه كما قيل : «وليس يوصف ما أخبرت عنه بالقيل » .

هذا ما أظنه والله حسيبه ، ولا أزكي على الله أحداً ، وهو يتولى السرائر ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . (المؤلف) .

أعظم الأعمال وأحسن الأقوال

● يقول الله عز وجل : ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ فصلت : ٣٣ .

قال القرطبي رحمه الله : ومن أحسن قولا من الداعي إلى الله وطاعته وهو محمد ﷺ ... ثم قال : قال الحسن هذه الآية عامة في كل من دعا إلى الله ، وكذا قال قيس بن أبي حازم قال : نزلت في كل مؤمن .اهـ

تعالوا يا معشر المؤمنين : إلى أحسن الأقوال والأعمال : وهو عمل دعوة الناس إلى رب الناس ، وقد دعا إليه جميع الرسل وسيد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ودعا إليه أحباء الله ، ودعا إليه أولياء الله ، ودعا إليه صفوة الله ، ودعا إليه خيرة الله ، ودعا إليه أحب أهل الأرض إلى الله .

● فعلى ساكني الحرمين خاصة وغيرهم من الناس عامة أن يدعو إخوانهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- لأن موسم الحج من الفرص المهمة في ذلك - فليساهم كل واحد منا في دعوة الإسلام ونشره حسب استطاعته ولا يسوّف في ذلك ، لأنها من أخص أوصاف المؤمنين والمؤمنات ، وفي التنزيل : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ التوبة : ٧١ .

موقف النبي ﷺ في الدعوة في الأسواق والمواسم

● كان النبي صلى الله عليه وسلم يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل : عكاظ ومجنة ، وذي مجاز ، وغيرها ، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة والإستماع لما يُلقى فيها من الشعر ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى الله تعالى ، وجاء موسم الحج لهذه السنة فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة .

ولم يكتف رسول الله ﷺ بعرض الإسلام على القبائل فحسب ، بل كان يعرضه على الأفراد أيضاً .

وكان ﷺ يرغب جميع الناس بالفلاح : فعن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، قال : أخبرني رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بني الديل ، وكان جاهلياً ، قال :

رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والنـــاس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه ، أحول ، ذو غديرتين يقول : إنـــه صابيء كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه ، فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا : هذا عمه أبو لهب . أخرجه أحمد ٤ / ٣٤١ وسنده حسن ، وله شاهد عند ابن حبان برقم ١٦٨٣ (موارد) من حديث طارق بن عبدالله المحاربي ، والحاكم في المستدرك بإسنادين ، وقال عن الإسناد الأول : صحيح على شرط الشيخين ، رواته كلهم ثقات أثبات ١ / ١٥ .

وقد كانت الأوس والخزرج يحجون كما كانت تحج العرب دون اليهود ، فلما رأى الأنصار أحواله ﷺ ودعوته ، عرفوا أنه الذي تتوعدهم به اليهود ، فأرادوا أن يسبقوهم ، ولكنهم لم يبايعوا النبي ﷺ في هذه السنة ، ورجعوا إلى المدينة . كما في زاد المعاد ٣ / ٤٣-٤٤ ، والبداية والنهاية ٣ / ١٤٩ .

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة ، عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل ، وبينما الرسول ﷺ يعرض نفسه ، مر بعقبة مِنى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب ، فعرض عليهم الإسلام ، فأجابوا دعوته ، ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ . كما في زاد المعاد ٣ / ٤٥ ، والبداية والنهاية ٣ / ١٤٩ .

ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج سنة ١٢ من النبوة ، وكان بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلاً ، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق ، والتقوا حسب الموعد مع رسول الله ﷺ عند العقبة بمنى ، وأسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء . ينظر زاد المعاد ٣ / ٤٦ وسيرة ابن هشام ٢ / ٣٨ .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه : «تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلى الله : إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه» فبايعناه على ذلك . البخاري مع الفتح كتاب مناقب الأنصار . باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ في مكة ٧ / ٢١٩ .

● وبعد أن انتهت المبايعة ، وانتهى الموسم بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء مصعب بن عمير - رضي الله عنه - ليعلم المسلمين شرائع الإسلام ؛ وليقوم

بنشر الإسلام ، وقد قام بذلك - رضي الله عنه - أتم قيام ، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، وكلهم قد أسلموا .

● فلما قدموا مكة واعدوا النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، وجاءهم على موعدهم ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالوا : يارسول الله ! على ما نبايعك ؟ فقال : «تبايعوني على : السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمتُ عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة» فقاموا إليه فبايعوه - صلى الله عليه وآله وسلم - .

● وبعد عقد هذه البيعة جعل عليهم رسول الله ﷺ اثنى عشر زعيماً ، يكونوا نقباء على قومهم ، وكانوا تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، ثم رجعوا إلى يثرب ، وعندما وصلوا أظهروا الإسلام فيها ، ونفع الله بهم في الدعوة إلى الله تعالى . ينظر في ذلك سيرة ابن هشام ٢ / ٤٩ . والبداية والنهاية ٣ / ١٥٨ .

● وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح النبي ﷺ في تأسيس وطن للإسلام ، انتشر الخبر في مكة كثيراً ، وثبت لقريش أن النبي ﷺ قد بايع أهل يثرب ، فاشتد أذاهم على من أسلم في مكة ، فأمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، فهاجر المسلمون ، فاجتمع قريش في يوم ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة ، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ ، فأوحى الله إلى النبي ﷺ بذلك ؛ ولحسن سياسته وحكمته أمر عليًّا أن يبيت في فراشه تلك الليلة ، فبقي المشركون ينظرون إلى عليّ من صير الباب - هو شق الباب - وخرج رسول الله ﷺ ، ومر بأبي بكر ، وهاجر إلى المدينة ينظر زاد المعاد ٣ / ٥٤ ، والبداية والنهاية ٣ / ١٧٥

● وهذه المواقف العظيمة التي وقفها رسول الله ﷺ دليل واضح على حكمة النبي ﷺ ، وعلى صبره ، وشجاعته ، وأنه ﷺ حينما علم بأن قريشاً قد طغت ، ورفضت الدعوة بحث عن مكان يتخذ قاعدة للدعوة الإسلامية ، ولم يكتف بذلك بل أخذ منهم البيعة والمعاهدة على نصرة الإسلام ، وتم ذلك في مؤتمرين : ببيعة العقبة الأولى ، ثم الثانية ، وعندما وجد مكان الدعوة الذي يتخذ قاعدة لها ، ووجد

أنصار الدعوة أذن بالهجرة لأصحابه ، وأخذ هو بالأسباب عندما تآمرت عليه قريش ، وهذا لا يعتبر جبناً ، ولا فراراً من الموت ، ولكن يعتبر أخذاً بالأسباب مع التوكل على الله تعالى ، وهذه السياسة الحكيمة من أسباب نجاح الدعوة . وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله ، فإن النبي ﷺ هو قدوتهم وإمامهم . ينظر «السيرة النبوية دروس وعبر» ص ٦٨ .

كيف تدعو الناس إلى رب الناس؟

● لا يخفى على أحد أن الحاج والمعتمر قد خرج من بيته لأداء فريضة الحج ، وبذل لأجله المال الكثير والجهد البالغ ، ويغترب عن أهله وذويه ، إنه جاء من مكان سحيق ، وقد ساقه الإيمان إلى الحرمين ، وأجلبه حب البيت العتيق ، وحب النبي الشفيق صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يعرف لغتك ، ولا أنت تعرف لغته إلا لغة الإشارات ، ويتجاهل كليا عن أحوال بلدتك ، يمشي بين الناس بقلب المنكسر - ألا إنه سبحانه عند المنكسرة قلوبهم - لا يجد من يعينه ولا من ينصره في مهبط الوحي - إلا من يوفقه الله - الذي نزلت فيه آية النصرة و المحبة والإيثار من فوق سبع سماوات فقال ثناءا على أهل الحرمين السابقين : ﴿والذين تبوّؤ الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ...﴾ الحشر : ٩ .

● **فإذا لم يجد** الحاج والمعتمر هذه النصرة والمحبة والرفق والإيثار من مهبطه ومخزنه فأين يجده ؟ ثم ماذا يحكي عن أهلهما بعد رجوعه إلى بلاده ، وقد سمعنا من الحجاج بعض الشكاوي في بعض المأمورين لخدمة الحجاج وعن طريقهم الخشن وهم في جوارين كريمين محبوبين ، مع أنه سواء العاكف فيهما والباد .

● وكما لا ينكر ذلك أن بعض المأمورين لخدمة الحجاج طريقهم طريق مثالي ومنقطع النظير ، وللناس أجناس وقد قال تعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ فاطر : ٢٣ .

فلا بد إذا أن يكون طريقة دعاة الحرمين والمأمورين فيهما لخدمة الحجاج :- طريقة مثالية ، وطريقة السابقين إلى الخيرات ، ألا وهو طريقة الأنبياء ، وطريقة سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقد ذكرها سبحانه في كتابه قائلا

لسيد الداعين والمرسلين صلى الله عليهم وسلم ، وقد زينه سبحانه بأخلاق عظيمة فقال : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ النحل : ١٢٥ .

● يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة ... أى من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن ، برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾ الآية فأمره تعالى بلين الجانب لليهود والنصارى - فكيف بالحنيفي وقد قال تعالي : ﴿ رحماء بينهم ﴾ - كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ ذكره ابن كثير ٢ / ٥٩٢ .

وأرشد نبيه ﷺ في موضع آخر في مخاطبته ﷺ الأعداء قائلا : ﴿ إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ○ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ فصلت : ٣٤-٣٥ .

● قال القرطبي في تفسير ١٥ / ٢٣٥ : عن ابن عباس : هو الرجل يسب الرجل فيقول الآخر : إن كنت صادقا فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك اهـ . فكن من ذوي الحظ العظيم ، ومن طائفة الصابرين . وقد قال تعالى : ﴿ ولَمَن صبر وغفر إن ذلك لَمِن عزم الأمور ﴾ الشورى : ٤٣ .

● وأرشدنا سبحانه في ميدان الدعوة إلي الله نحو جميع الناس فقال : ﴿ قولوا للناس حسناً ﴾ البقرة : ٨٣ ، فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء الإسلام يسبون الله ، فكيف بالحنيفي المسلم المؤمن يحب الله ورسوله ﷺ

● وقال القرطبي في تفسيره ١٢ / ٨٣ : « ... فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليّنا ، ووجهه منبسطا طلقاً مع البر والفاجر ، والسني والمبتدع ، من غير مداهنة ، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يُرضي مذهبه ؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون : ﴿ فقولا له قولا ليناً ﴾ طه : ٤٤ ، **فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون ؛ والفاجر ليس بأخبث من فرعون ، فقد أمرهما الله تعالى باللين معه .**

وقال طلحة بن عمر : قلت لعطاء : إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة ، وأنا رجل فيّ حدّة فأقول لهم بعض القول الغليظ ؛ فقال : لا تفعل ، يقول الله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي .. اهـ

● وقال القرطبي ١١ / ١٣٣-١٣٤ في قوله تعالى : ﴿فقولا له قولا ليّنا﴾ : (فيه) دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة ، وضمنت له العصمة . ألا تراه قال : ﴿فقولا له قولا لينا﴾ ، وقال : ﴿لا تخافا إني معكما أسمع وأرى﴾ طه : ٤٦ ، فكيف بنا فنحن أولى بذلك . فحينئذ يحصل الآمر والناهي على مرغوبه ، ويظفر بمطلوبه ، وهذا واضح .

● ثم ذكر القرطبي رحمه الله بعد قليل عن يحيى بن معاذ : ونعم ما ذكر

هــذا رِفـقـك بمـن يقول أنـا الإلــه ،
فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله ؟! اهـ

● وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى المذكور : ٣ / ١٥٤ : هذه الآية فيها عبرة عظيمة ، وهو أن فرعون في غاية العتو والإستكبار ، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي عند قوله : ﴿فقولا له قولا لينا﴾ :

يا من يتحبب إلى من يعاديه
فكيف بمن يتوالاه ويناديــه اهـ

● قال صاحب «تنوير الأذهان» مفسرا لقوله تعالى المذكور ٤ / ٤٨٦ : انظر إلى هذا «الأسلوب الحكيم» في الدعوة إلى الله ، ففرعونُ الطاغيةُ الجبار ، الذي ادّعىٰ الربوبية ، ونازع الله في حكمه وملكه ، يؤمر موسى بأن يدعوه برفقٍ ولين ﴿فقل هل لك إلى أن تزكّى﴾ ؟! وهو عَرْضٌ بألطف وجوه الاستدعاء والطلب ، ليس فيه غلظة ولا خشونة ، وهذا هو أسلوب الدعوة إلى الله ، وهو الأسلوب الحكيم الذي ينبغي أن يضعه كل داعيةٍ نصب عينيه ، لتثمر دعوته ، وتؤتي أُكُلَها ، وتدخل إلى القلب تلك النصيحةُ التي يعرضها ، هدانا الله جميعاً إلى سلوك طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . اهـ .

مواقف الحكمة في الدعوة الفردية

● موقفه ﷺ مع الشاب الذي استأذنه في الزنا

● عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه ! فقال له : «ادنه» ، فدنا منه قريباً ، قال : «أتحبّه لأمّك ؟» قال : لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال : «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال : «أفتحبه لابنتك ؟» قال : لا والله يارسول الله ! جعلني الله فداءك . قال : «ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال : «أفتحبه لأُختك ؟» قال : لا والله جعلني الله فداءك . قال : «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» . قال : «أفتحبه لعمتك ؟» قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : «ولا الناس يحبونه لعماتهم» . قال : «أفتحبه لخالتك ؟» قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال : فوضع يده عليه ، وقال : «اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصّن فرجه» ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء أخرجه أحمد في المسند ٥ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، وعزاه إلى الطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح ١ / ١٢٩ ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم : ٣٧٠ ج ١ .

● وهذا الموقف الحكيم العظيم مما يؤكد على الدعاة إلي الله عز وجل أن يعتنوا بالرفق والإحسان إلى الناس ، ولا سيما من يُرغَبُ في استئلافهم ليدخلوا في الإسلام ، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم . من «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ص ١٩٣ » لسعيد القحطاني .

وكما بين لنا الرسول ﷺ الرفق بفعله ، بينه لنا بقوله ، وأمرنا بالرفق في الأمر كله . فعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليكم . قالت عائشة : ففهمتها فقلت : وعليكم السامُ واللعنة .

قالت : فقال رسول الله ﷺ : «مهلاً يا عائشة إن الله يحبّ الرفق في الأمر كله» ، فقلت : يا رسول الله ! أو لَم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله ﷺ : «قد قلت : وعليكم» البخاري مع الفتح . كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله ١٠ / ٤٤٩ .

وقال ﷺ : «يا عائشة ! إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف ، وما لا يُعطي على ما سواه» . أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٤ / ٢٠٠٤ .

وقال ﷺ : «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا يُنزعُ من شيء إلا شانه» المرجع السابق .

وبيّن ﷺ أن من حُرِم الرفق فقد حُرِم الخير ، قال ﷺ : «من يحرم الرفق يحرم الخير» المرجع السابق في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً .

قال النووي في شرحه على مسلم ١٦ / ١٤٥ : فقد عظم النبي صلى الله عليه وآله وسلم شأن الرفق في الأمور كلها ، وبيّن ذلك بفعله وقوله بياناً شافياً كافياً ؛ لكي تعمل أمتهُ بالرفق في الأمور كلها ، وخاصة الدعاة إلى الله عزوجل ؛ فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوتهم ، وفي جميع تصرفاتهم وأحوالهم ، وهذه الأحاديث السابقة تبين فضل الرفق ، والحث على التخلق به ، وبغيره من الأخلاق الحسنة ، وذم العنف وذم من تخلق به .

فالرفق سبب لكل خير ؛ لأنه يحصل به من الأغراض ويسهل من المطالب ، ومن الثواب ما لا يحصل بغيره ، وما لا يأتي من ضده . وانظر فتح الباري ١٠ / ٤٤٩ .

موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد

● وفي الصحيحين عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي ، فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه ، قال : قال رسول الله : «لا تزرموه ، دعوه» فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ، ولا القذر ، إنما هي لذكرِ الله ، والصلاة ، وقراءة القرآن» ، أو كما قال رسول الله ﷺ . قال : «فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه» . أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة ١ / ٢٣٦ ، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً في كتاب الوضوء ١ / ٣٢٢ .

قوله ﷺ : «مه مه» كلمة زجر ، معناه : اسكت ، وقيل : أصلها : ما هذا ؟ .

و قوله ﷺ : «لا تزرموه» أي لا تقطعوا عليه بوله. وقوله : «شنه» أي صبه عليه . شرح النووي ٣ / ١٩٣ .

وفي رواية أخرى : « ... ثم لم يلبث أن بال في المسجد ، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول الله ﷺ : «إنما بعثتم ميسّرين ، ولم تبعثوا معسّرين ، أهريقوا عليه دلواً من ماء ، أو سجلاً من ماء» أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الطهارة باب ما جاء في البول يصيب الأرض ١ / ٢٧٥ . وأخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر واللفظ لأحمد ١٢ / ٢٤٤ برقم ٧٢٥٤ . وأبوداود مع العون ٢ / ٣٩ .

قال : يقول الأعرابي بعد أن فقه ، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليّ بأبي وأمي فلم يسب ، ولم يؤنب ، ولم يضرب» . أخرجه أحمد وهو تكملة للحديث السابق برقم : ١٠٥٤٠ ، وابن ماجه ١ / ١٧٥ .

● النبي ﷺ أحكم خلق الله ، فمواقفه وتصرفاته كلها مواقف حكمة مشرفة ، ومن وقف على أخلاقه ورفقه وعفوه وحلمه ، ازداد يقينه وإيمانه بذلك .

وهذا الأعرابي قد عمل أعمالا تثير الغضب ، وتسبب عقوبته وتأديبه من الحاضرين ؛ ولذلك قام الصحابة إليه ، واستنكروا أمره ، وزجروه ، فنهاهم النبي ﷺ أن يقطعوا عليه بوله .

وحينما بال في المسجد أمر النبي ﷺ بتركه ؛ لأنه قد شرع في المفسدة ، فلو منع ذلك لزادت المفسدة ، وقد حصل تلويث جزء من المسجد ، فلو منعه ﷺ بعد ذلك لدار بين أمرين :

(١) إما أن يقطع عليه بوله فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه .

(٢) وإما أن يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه ، أو ثوبه ، أو مواضع أخرى من المسجد .

فأمر النبي ﷺ بالكف عنه للمصلحة الراجحة ، وهي دفع أعظم المفسدين أو الضررين باحتمال أيسرهما ، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما . كما في البخاري مع الفتح ١ / ٣٢٥ .

● **وهذا من أعظم** الحِكَم العالية ، فقد راعى النبي ﷺ هذه المصالح ، وما يقابلها من المفاسد ، ورسم ﷺ لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل ، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ، ولا سبٍّ ولا إيذاء ولا تشديد ، إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولا استخفافاً ، وقد كان لهذا الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره ، فقد قال بعد أن فقه - كما تقدم - في رواية الإمام أحمد

فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي ، فلم يسبّ ، ولم يؤنب ، ولم يضرب . أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة ١ / ١٧٥ . كما في «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى» .

موقفه ﷺ مع اليهودي زيد بن سعنة أحد أحبار اليهود

● كان النبي ﷺ يعفو عند القدرة ، ويحلم عند الغضب ، ويحسن إلى المسيء

وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به ، واجتماع القلوب عليه ، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة : أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار . كما في هداية المرشدين ص ٣٨٤ .

جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه دينًا له عليه ، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه ، وأغلظ له القول ، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وقال : يا محمد ألا تقضيني حقي ، إنكم يا بني عبدالمطلب قوم مُطْلٌ ، وشدّد له في القول ، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير ، ثم قال : يا عدو الله ، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ، وتفعل ما أرى ، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَةٍ وتَبسُّمٍ ، ثم قال : «أنا وهو يا عمر ! كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسنِ الأداء ، وتأمره بحسنِ التقاضي ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه ، وزده عشرين صاعا من تمرٍ» فكان هذا سببا لإسلامه ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .(صلى الله عليه وآله وسلم) .

● وكان زيد قبل هذه القصة يقول : لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما - اللهم ارزقنا حلاوة الحلم آمين . ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة هذه القصة وعزاها إلى الطبراني والحاكم وغيره ... ثم قال ابن حجر : ورجال إسناده موثقون ... ومحمد بن أبي السري وثقه ابن معين ... والوليد قد صرح بالتحديث ١ / ٥٦٦ .

● فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وُصف ، فأسلم وآمن وصدق ، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده ، واستشهد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر . الإصابة ١ / ٥٦٦

فقد أقام محمد ﷺ براهين عديدة من أخلاقه على صدقه ، وأن ما يدعو إليه حق ليس بالهزل . ذكره سعيد القحطاني في كتابه «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى»

● **فهذا سيد الأنبياء ﷺ** يدعو الناس إلى ربهم بالحلم والصبر والحكمة مع أنهم يؤذونه ﷺ بالأقوال والأفعال ، وهو ﷺ يعفو عنهم ويصفح ويصبر على ما يقولون ، ويرفق بهم ويحسن إليهم ويحرض أصحابه وأمته على ذلك ، وللداعية في ذلك عظة وعبرة ، فهل من مجيب . !!

● **وإليك بعض القصص الغريبة** في ذلك كما ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالي ١٧ / ١٩٩ : ﴿ولو كانوا آباءَهم﴾ المجادلة : ٢٢ :

● **القصة الأولىٰ** قال السدي : نزلت في عبدالله بن عبدالله بن أبيٍّ ، جلس إلى النبي ﷺ ، فشرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماء ، فقال له : بالله يا رسول الله ! ما أبقيتَ من شرابك فضلةً أسقيها أبي (رئيس المنافقين) ، لعل الله يطهّر بها قلبه ، فأفضل له فأتاه بها ، فقال له عبدالله : ما هذا ؟ فقال : هي فضلة من شراب النبي ﷺ ، جئتك بها تشربها ، لعل الله يطهّر قلبك بها .
فقال له أبوه : فهلاَّ جئتَني ببول أمّك ، فإنه أطهر منها . فغضب (ابنه عبدالله) وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : يارسول الله ! أما أذنتَ لي في قتل أبي ؟ فقال النبي ﷺ : «بل ترفق وتحسن إليه» اهـ .

● **قال أبو طلحة** كان رئيس المنافقين هذا ممن طبع الله على قلوبهم ، ولم يرد أن يطهّر قلبه من الختم عليه كما طهر الله قلوب المؤمنين ثوابا لهم . وصدق الله العظيم : ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب أليم﴾ المائدة : ٤١ .

● فحذار من الوقوع في مثل هذه الآيات ، وعلينا أن نتفكر في مثل هذه الآيات حينما يدعونا أحدهم إلى الأعمال الصالحة التي هي مطهرة للقلوب : هل وجدنا طهارة القلب فينا ؟ وإذا لم نجد فعلينا أن نسعى ونحفد في تطهير قلوبنا أكثر ، حتى لا تكون أدنىٰ مشابهة للكفرة الفجرة في عدم طهارة القلوب كما ذكره الله تعالى في الآية المذكورة أنه لم يرد طهارة قلوبهم. أعاذنا الله من ذلك . اهـ

● وهذه قصة ثانية لنبينا عليه الصلاة والسلام حينما خرج للدعوة والإرشاد إلى رئيس المنافقين ومتبعيه مع رجال من المسلمين فأصابهم ما أصاب فصبر على ما أصابه صلى الله عليه وآله وسلم من قولهم وفعلهم فعفى عنه.

● فعن أنس بن مالك قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبدالله بن أُبيٍّ؟ قال: فانطلق إليه، وركب حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرضٌ سَبَخَةٌ، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، فوالله! لقد آذاني نتن حمارك، قال: فقال رجل من الأنصار: والله! لَحمارُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أطيبُ ريحاً منك، قال: فغضب لعبدالله رجلٌ من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابُه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد والنعال وبالأيدي، قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ الحجرات: ٩. مسلم مع النووي رقم: ٤٦٣٨.

● وفي رواية أخرى له «... فلما غشيت المجلسَ عجاجةُ الدابة، خمّر عبدُالله بن أبيٍّ أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبرُّوا علينا، فسلّم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله بن أبيٍّ: أيها المرءُ! لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقاً، فلا تُؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاء منا فاقصص عليه، فقال عبدالله بن رواحة: اغْشَنَا في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى همّوا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يُخفِّضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: «أي سعدُ! ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب - يريد عبدالله بن أبيّ قال كذا وكذا؟» اعف عنه يارسول الله! واصفح، فوالله! لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيرة أن يُتَوِّجوه، فيُعصّبوه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه، شَرِقَ بذلك - معناه حسد - فذلك فعل به ما رأيتَ، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم. مسلم مع النووي: ٤٦٣٥.

ومن سعة رحمته وحكمته عليه الصلاة والسلام

● قال أبو طلحة : ومن أمثلة ذلك ما وقع منه عليه الصلاة والسلام لرئيس المنافقين في قصة شفقته ورفقه صلى الله عليه وآله وسلم به عند موته التي تدل على حرصه صلى الله عليه وسلم في إصلاح أمته وهدايتهم ، وقد قال تعالى في همه صلى الله عليه وآله وسلم وحزنه وفي هلاكه صلى الله عليه وسلم نفسه لترك المشركين والمنافقين الإيمان وبُعدهم عنه صلى الله عليه وآله وسلم : فقال : ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ فاطر : ٨ . وقال : ﴿ولا تحزن عليهم﴾ الحجر : ٨٨ والنحل : ١٢٧ . وقال تعالى : ﴿لعلك باخع -أي مهلك - نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين﴾ الشعراء : ٣ . وقال : ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ الكهف : ٦ .

● القصة الثالثة ففي هذه القصة عبرة للدعاة إلى الله وعظة ، فاقتدوا بهديه ﷺ أيها الدعاة ! تهتدوا وتلحقوا به في الجنة ثم اشربوا معه من لبن لم يتغيّر طعمه ، وما ذلك على الله بعزيز . وقد ذكر هذه القصة البخاري ومسلم وأحمد رحمهم الله وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢ / ٣٧٩-٣٨٠ وقال :

● ففي رواية لأحمد : عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لما توفي عبدالله بن أبيّ ، دعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة عليه فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه ، تحولتُ حتى قمت في صدره فقلت : يارسول الله ! أعَلى عدو الله : عبدالله بن أبيّ القائل يوم كذا وكذا وكذا - يعدد أيامه - ؟ قال : ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت عليه قال : «أخر عني يا عمر ! إني خيّرت فاخترتُ ، قد قيل لي : ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة ...﴾ التوبة : ٨٠ . لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر الله له لزدت» قال : ثم صلى عليه ، ومشى معه ، وقام على قبره حتى فرغ منه قال : فعجبتُ من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله ورسوله أعلم .

● وفي رواية أخرى له «لما مات عبدالله بن أبيّ أتى ابنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله ! إنك إن لم تأته لم نزل نعير بهذا ، فأتاه النبي

ﷺ فوجده قد أدخل في حفرته فقال : «أفلا قبل أن تدخلوه» ؟ فأخرج من حفرته وتفل عليه من ريقه من قرنه إلى قدمه وألبسه قميصه» . اهـ .ماذكره ابن كثير .

● مع هذه الإهتمامات المباركة مع رئيس المنافقين ، قال ﷺ في حقه : «إن قميصي لا يغني عنه من الله شيئا وإني لأرجو أن يسلم بفعلي هذا ألف رجل من قومي . كذا في بعض الروايات : «من قومي» يريد من منافقي العرب ، والصحيح أنه قال : «رجال من قومه» . ووقع في مغازي ابن إسحاق وفي بعض كتب التفسير : «فأسلم وتاب لهذه الفعلة من رسول الله ﷺ ألف رجل من الخزرج» ذكره القرطبي رحمه الله في تفسيره ٨ / ١٤٠ .

● فهذه طريقته ﷺ المثلى مع أعدائه وأعداء الدين ، ورئيس المنافقين ، في باب الدعوة إلى رب العالمين ، ويظهر من هذا المذكورشدة اهتمامه ﷺ في إصلاح أمته ، وطمعه وحرصه وسعيه ﷺ في إخراجها من الظلمات إلى النور ومن النار الجحيم إلي جنة نعيم .

فوالله لو كان الأمر بيده صلى الله عليه وآله وسلم ليلقى عليه محبةً منه ﷺ ، بل يلقي قلبه في قلبه ، ولا يكتفي على القميص وتفل الريق عليه من قرنه إلى قدمه فقط ، ولكن الأمر بيدالله ، وليس له ﷺ من الأمر في شيىء ، وصدق الله العظيم : ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ آل عمران : ١٢٨ ، وكذلك القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ، وهو الواحد القادر على كل شيء ليس غيره وقد قيل : **والله يقضي ما يشاء ويفعل** .

وقد روى الترمذي من حديث شهر بن حوشب وفيه : « ... قال : يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله ، فمن شاء أقام ، ومن شاء أزاغ» . فتلا معاذ ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ آل عمران : ٨ . قال : حديث حسن أورده القرطبي تحت قوله تعالى المذكور (الجزء ٤ / ١٥) .

ألا ترى أنه سبحانه يبين مدى اهتمام رأفته ورحمته وشفقته على أمته ﷺ في كتابه قائلا : ﴿حريص عليكم﴾ (قال : أن تدخلوا الجنة) وقيل : حريص عليكم أن تؤمنوا ... ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ الرؤوف : المبالغ في الرأفة والشفقة .

وقال الحسين بن الفضل : لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ ؛ فإنه قال : ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ التوبة : ١٢٨ ، وقال ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ الحج : ٦٥ .

وقال عبدالعزيز بن يحيى : نظم الآية لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز حريص

بالمؤمنين رؤوف رحيم ، عزيز عليه ما عنتم لا يهمه إلا شأنكم ، وهو القائم بالشفاعة لكم ، فلا تهتموا بما عنتم ما أقمتم على سنته ﷺ ؛ فإنه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة) مابين القوسين من تفسير القرطبي ٨ / ١٩٢ .

● قال أبو طلحة : وكان صلى الله عليه وآله وسلم دائم الفكر في الدنيا في طلب المغفرة لأمته ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو لها بأدعية لا تعد ولا تحصى ، وكان من دعوته لأمته ﷺ بالمغفرة في كل صلاة ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها تقول :

● لما رأيتُ من النبي ﷺ طيّب نفس قلت : يا رسول الله ! أدع الله لي ، قال : «اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرّت وما أعلنتْ» فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أيسرّك دعائي ؟» فقالت : وما لي لا يسرني دعاءك ؟» فقال : «والله إنها لدعْوتي لأمتي في كل صلاة» أخرجه البزار ، وقال الهيثمي : ٩ / ٢٤٤ : رجاله رجال الصحيح ، غير أحمد ابن منصور الرمادي وهو ثقة اهـ .

وقد شهد الله سبحانه من فوق سبع سموات ومن أكبر شهادة من الله ؟ ومن أصدق منه حديثا ، فقال في كتابه الكريم : ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ الأحزاب : ٦ .

ذكر القرطبي مفسراً لقوله تعالى المذكور فقال قال ابن عطية : وقال بعض العلماء العارفين : هو أولى بهم من أنفسهم ؛ لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك وهو يدعوهم إلى النجاة . وقال ابن عطية : ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : «أنا آخِذ بحُجزِكم عن النارِ وأنتم تقتحمون فيها تقحّم الفَراش» .

● قلت - القرطبي - : هذا قول حسن في معنى الآية وتفسيرها ، والحديث الذي ذُكر أخرجه مسلم في صحيحه عنِ أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «إنما مَثلي ومَثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الدواب والفَراش يقعن فيه وأنا آخذٌ بحُجزكم وأنتم تقحّمون - أي تدخلون - فيه» .

وعن جابر مثله ؛ وقال : «وأنتم تفلتون من يدي» . قال العلماء : الحُجزة للسراويل ، والمقعد للإزار ؛ فإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه .

وهذا مثل لاجتهاد نبينا عليه الصلاة والسلام في نجاتنا ، وحرصه على تخلّصنا من

الهلكات التي بين أيدينا ؛ فهو أولى بنا من أنفسنا ؛ ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وظفر عدوّنا اللعين بناصرنا أحقر من الفَراش وأضل من الفَراش ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! ... اهـ ما ذكره القرطبي .

● قال أبو طلحة : هذا حاله ومدى اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم مع أمته في الرأفة والرحمة والشفقة ، ونجاتها من النار وهو ﷺ في الدار الدنيا . وكذلك النبي ﷺ لا ينسانا في الدار الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ويدعو لنا بالمغفرة ، حتى يخرّج أمته من النار بشفاعته المأذونة ، ويخر لله ساجداً ثلاث مرات : «فيقال : يا محمد ! إرفع رأسك ، وقل تُسْمَع ، وسل تعطه ، واشفع تشفّع ، فأقول : يارب ! أمتي أمتي» الحديث بطوله وأصله في الصحيحين .

انظر إلى مبلغ إهتمامه ﷺ في هم أمته وفكره ونجاتها من النار ! فهل لنا في هذه الفكرة والحزنة نصيب . استفت قلبك ؟ وفقنا الله لأسوة نبينا ﷺ آمين .

● وهذا سيدنا يوسف الصدّيق ﷺ الداعية إلي الله يدعو الناس إلى ربهم وهو في السجن حينما ﴿دخل معه السجن فتيان﴾ يوسف : ٣٦ ، ونحن في الحرية ، في الروحة والراحة وفي بحبوحة من العيش ، وخارج السجن وما ندري ما الدعوة ؟ وما هو واجبنا نحوها ؟ وقد قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : «بلغوا عني ولو آية» .

● فاختار عليه الصلاة السلام طريقة الدعوة المثالية حتى استأنس به أهل السجن وصاحب السجن ، فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف ﷺ كما ذكره القرطبي ٩ / ١٢٤ مفسرا لقوله تعالى المذكور :

● فقال : قال وهب وغيره : حمل يوسف ﷺ إلى السجن مقيّداً إلى حمار ، وطيف به «هذا جزاء من يعصي سيدته» وهو يقول : هذا أيسر من مُقَطَّعات النيران وسرابيل القطران ، وشراب الحميم ، وأكل الزقوم . فلما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوماً قد انقطع رجاؤهم ، واشتد بلاؤهم ، فجعل يقول لهم : «اصبروا وأبشروا تؤجروا» فقالوا له : يا فتى ! ما أحسن حديثك ! لقد بورك لنا في جوارك ، من أنت يا فتى ؟ قال : أنا يوسف ابن صفيّ الله يعقوب ، ابن ذبيح الله إسحاق ، ابن خليل الله إبراهيم . (عليهم السلام)

● وقال ابن عباس لما قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني ، وأنا أريد أن تسجنه ، فسجنه في السجن ؛ فكان يعزّي فيه الحزين ، ويعود فيه المريض ، ويداوي فيه الجريح ، ويصلي الليل كله ، ويبكي حتى تبكي معه جدر البيوت وسقفها والأبواب ، وطهر به السجن ، واستأنس به أهل السجن ؛ فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف ، وأحبه صاحب السجن فوسع عليه فيه ؛ ثم قال له : يا يوسف ! لقد أحببتك حبّاً لم أحبّ شيئاً حبك ؛ فقال : أعوذ بالله من حبك ، قال : ولِمَ ذلك ؟ فقال : أحبني أبي ففعلوا بي إخوتي مافعلوا ، وأحبتني سيدتي فنزل بي ما ترى ... » اهـ

فكل من قام بحق فلا بد أن يؤذى

● وقال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر قصة رئيس المنافقين : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى - فكيف بالمسلمين المؤمنين وقد قال تعالى : ﴿رحماء بينهم﴾ - قال الله تعالى : ﴿ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً﴾ آل عمران : ١٨٦ .

وقال تعالى : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾ البقرة : ١٠٩ .

ثم قال بعد قليل : فكل من قام بحق أو أمر بمعروف ، أو نهىٰ عن منكر ، فلا بد أن يؤذى . فما له دواء إلا الصبر في الله ، والإستعانة بالله ، والرجوع إلى الله . و قال تعالى : ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ الشورى : ٤٣ أي ترك الانتصار لوجه الله تعالى » اهـ .

ويحكى أن رجلا سب رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله ، فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ، ثم قام فتلا هذه الآية ؛ فقال الحسن : عقلها والله ! وفهمها إذ ضيّعها الجاهلون . ذكره القرطبي في تفسيره : ١٤ / ٤٤ .

طرق الدعوة إلى الله

● (١) فعلى العالم أن يدعو الناس بعلمه ونفسه إلى رب الناس، بأن يذهب عندهم ويدعوهم إلى الهدى ، لأنه من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقال تعالى : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهُداهُم اقتده﴾ الأنعام : ٩٠

● (٢) فمن لم يكن عالما فليسعد في الدعوة بالمال ، بأن ينفقه في مجال الدعوة الإسلامية ، ويرسل الدعاة إلى الداخل والخارج على نفقته الخاصة ، أو يطبع كتب الدعوة على نفقته لوجه الله ، ويخرج من بيته أيضاً ليتفقه في الدين ويتعلمه ليرغب في الدين أكثر فأكثر.

● (٣) فمن لم يكن عنده من المال فليسعد في الدعوة بما يستطيع : بأن يدعو - على الأقل - عشيرته وأقاربه وأبناءه وبناته وأهله إلي دين الله . وقال تعالى : ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناسُ والحجارة ...﴾ التحريم : ٦ .

● (٤) فمن لم يستطع على ذلك فليسعد الدين على الأقل بلسانه الجلدي ويدعو ربه بغسانة قلبه ويقول : اللهم انصر من نصر دين محمد ﷺ واخذل من خذل دين محمد ﷺ . ويقول : اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداءك أعداء الدين واحفظ حوزة الإسلام يا رب العالمين . وما أحسن قول الشاعر في ذلك :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

● فالدعاء بالنطق من الله سبحانه لنصرة دينه نوع من الدعوة الإسلامية أيضاً ، وذلك لمن لم يكن عنده علم ولا حال ولا مال يهديه في سبيل رب العزة والجلال لنصرة دينه سبحانه .

ويا للأسف أن كثيراً من الناس اليوم لا يتنافسون في مثل هذا العمل ذي الجهد البسيط - أى الدعاء الذي هو مخ العبادة - فكيف ينفقون هؤلاء أموالهم وأنفسهم في سبيل الدعوة الإسلامية ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● **مراتب الدعوة** قال في «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٤ / ٣٠٤ : واعلم أن الداعي في الحقيقة هو الله تعالى كما قال تعالى : ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ يونس : ٢٥ . والرسول عليه الصلاة والسلام كما قال : ﴿أدع إلى سبيل ربك﴾ النحل : ١٢٥ اهـ .

● ثم ذكر في مقام آخر ٣ / ٤٦٣ » مفسراً لقوله تعالى : ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ فصلت : ٣٣ ، فقال :

● واعلم أن للدعوة مراتب : الأولى دعوة الأنبياء عليهم السلام ، فإنهم يدعون إلى الله بالمعجزات والبراهين وبالسيف ، وتشير الآية إلى أن أحسن قول قاله الأنبياء والأولياء قولهم بدعوة الخلق إلى الله ، وكان عليه الصلاة والسلام مخصوصا بهذه الدعوة كما قال تعالي : ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه﴾ . وقال : ﴿وعمل صالحاً﴾ أي كما يدعو الخلق إلى الله يدعوهم إليه بعمله .

● والمرتبة الثانية دعوة العلماء فإنهم يدعون إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط ، ثم إن العلماء ثلاثة أقسام : عالم بالله ، وعالم بأمر الله ، وعالم بالله وبأمر الله .

● والمرتبة الثالثة الدعوة بالسيف ، وهي للملوك فإنهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته .

● والمرتبة الرابعة دعوة المؤذنين إلى الصلاة وهي أضعف مراتب الدعوة إلى الله وذلك أن ذكر كلمات الأذان وإن كان دعوة إلى الصلاة لكنهم يذكرون تلك الألفاظ الشريفة بحيث لا يحيطون بمعناها ولا يقصدون الدعوة إلى الله ، فإذا لم يلتفتوا إلى مال الوقف ، وراعوا شرائط الأذان ظاهراً وباطناً ، وقصدوا بذلك مقصداً صحيحاً ، كانوا كغيرهم من أهل الدعوة .

● وإن النبي عليه الصلاة والسلام قال : «المؤذنون أمناءُ المؤمنين على صلاتهم وصيامهم ولحومهم ودمائهم ، لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم ، ويُغفر للمؤذن مدى صوته» رواه الطبراني والبيهقي كما في الفتح الكبير ٣ / ٢٥٠ .

● وفي الحديث : «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة» رواه مسلم وأحمد وابن ماجه ، وانظر الفتح الكبير ٣ / ٢٥٠ .

أي يكونون سادات وأكثر الناس ثواباً أو رجاء ، والناس حين يكونون في الكرب ، يكون المؤذنون أكثر رجاء بأن يؤذن لهم في دخول الجنة . اهـ ماذكره صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان»

● **هام جداً للمؤذنين** قال أبو طلحة : ذكر لنا أحد الدعاة : فقال : خرجنا مع الداعية الكبير الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (مؤلف حياة الصحابة) إلى قرية يدعو أهلها إلي الله ، وكنت أصغرهم جماعة ، فلما حان وقت صلاة المغرب في الطريق أمرَنا الشيخ بالوقوف لأداء الصلاة ، وذلك جانب شاطئ النهر الكبير ، فوقفنا لأداء الصلاة هناك ، فقال لي الشيخ : قم فأذن ، فقمت وأذنت .

● **فلما انصرفت** من الأذان قال الشيخ : ماذا نويت عند الأذان يا بنيّ ؟ قلت : ما نويتُ شيئا إلا أننا نصلي الصلاة بعد الأذان في جماعة .

● **فقال الشيخ** ما منعك يا بنيّ ! أن تنوي بالأذان تدعو به جميع أهل الأرض إلى الكبير المتعال ، بأن يشهدوا «أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» كما تشهد أنت بذلك وتكبره تكبيرا .

● **وقال أيضاً**: ما منعك أن تدعو وتنوي بالحيعلتين جميع أهل الشرق والغرب وأهل الشمال والجنوب حينما تلوي وجهك يمينا وشمالا قائلا : «حي على الصلاة ... حي على الفلاح ...» .

● **ثم قال** وذلك لأن ربنا رب الناس ، لا هو رب المسلمين فقط ، وهو ملك الناس وإله الناس : قال تعالى : ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ الناس : ١ . وقال : ﴿ملك الناس﴾ الناس : ٢ . وقال : ﴿إله الناس﴾ الناس : ٣ .

● **وقال :** كذلك ديننا الحنيف دين عالمي وهو سلطان الأديان ، حبيب إلى الرحمن ، يشمل جميع الإنس والجان من كانوا وحيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها .

● فقد قال تعالى : ﴿إن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن

يقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ - آل عمران : ٨٥ - ويحذرهم قائلا : ﴿ من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً ﴾ الكهف : ٢٩ .

● ثم قال الشيخ وكذلك رسولنا الكريم ﷺ رسول عالمي ومبعوث إلى جميع الناس كما شهد الله بذلك وقال : ﴿ وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ﴾ النساء : ٧٩ .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ﴾ سبإ : ٢٨ .

وقال تعالي : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ الأعراف : ١٥٨

● وكذلك كتابنا الكريم كتاب عالمي أنزله الله تعالى لهداية جميع الناس ، ولإخراجهم من الظلمات إلى النور .

فقال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ﴾ البقرة : ١٨٥

وقال تعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ النساء : ١٠٥ .

وقال تعالى : ﴿ الـــر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ إبراهيم : ١

● ثم قال الشيخ وكذلك أمتنا أمة عالمية أخرجت للناس جميعاً .

فقال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ آل عمران : ١١٠ .

● وقال تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ البقرة : ١٤٣ . اهـ ما قاله الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله .

وفي ذلك ذكرىٰ للمؤذنين خاصة ولجميع الناس عامة ، وفق الله الجيمع لما يحب ربنا ويرضىٰ .

● **ما أجود هذا ! فهل من مجيب ؟** فلما جاء ذكر الأذان وفضائل المؤذنين ومكانتهم عندالله تعالى ، **أود أن أذكر ما يتمناه النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لأمته : «سلوا الله لي الوسيلة» عقب الأذان :**

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلّوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من

عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة» رواه مسلم كما في المشكاة «باب فضل الأذان» .

● **أيها المسلم ويا سامعا للأذان !!** اعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ولا يهمه إلا شأنهم ، وكان ﷺ دائماً يدعو لأمته بأدعية لا تعد ولا تحصى ، وكان من دعوته لأمته بالمغفرة بعد كل صلاة كما في حديث عائشة رضي الله عنها ففيه : قال ﷺ : «والله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة» . أخرجه البزار وقال الهيثمي : ٩ / ٢٤٤ رجاله رجال الصحيح ... اهـ .

وكذلك يدعو لنا ﷺ يوم القيامة ، ويخرُّ لله ساجداً ثلاث مرات «فيقال : يامحمد ! ارفع رأسك ، وقل تُسمع ، وسل تُعطهْ ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب ! أمتي أمتي» الحديث بطوله وأصله في الصحيحين .

● **فالحاصل :** أنه ﷺ دعا لنا في حياته المباركة أدعية لا تعد ولا تحصىٰ ، وكذلك يدعو لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ويخرِّج أمته من الجحيم بشفاعته المأذونة . والنبي ﷺ ما طلب من الأمة لنفسه الشريفة إلا دعاء واحداً - كما أظن - وهو سؤال الوسيلة له ﷺ بعد الأذان ، مع أنه ﷺ لا يحتاج إلى دعائنا ، لأن هذا المقام خاص به ﷺ كما ورد ذلك في الحديث السابق .

● **أليس من الجفاء** إذا لم نسأل الله له ﷺ الوسيلة ؟ وهو ﷺ يتمنى ويخاطبنا ويقول : «سلوا الله لي الوسيلة» ثم يحرِّضنا على ذلك قائلا : «فمن سأل لي الوسيلة حلَّتْ عليه الشفاعة» كما في الحديث المتقدم .

● **انتبه أيها المسلم** ! وركّز على نفسك هذا العمل المبارك ما دمت حياً إن كنت صادقاً في حبه صلى الله عليه وآله وسلم .

الدعوة بصوت صامت

● وهناك طريقة أخرى في الدعوة إلى الباري جل وعلا ، وهي أكثر تأثيراً من غيرها ، وأكثرها فقدانا فينا والله المستعان .

فمن لم يستطع العمل على أي من هذه الطرق المذكورة ، ويقدر على الكلام في التجارة فقط وغيرها من الأمور الدنيوية ، ولكنه أبكم في ميدان الدعوة والإرشاد

فعليه - وعلى الجميع- أن يدعو الناس إلى رب الناس بصوت صامت وهو : العمل العمل ، العمل ، أيها المؤمنون ! على جميع شرائع الدين والسنن المصطفوية في جميع شئون الحياة ، لأنه أكثر تأثيراً من القول ،حتى لا تمنعه من ذلك لومة لائم ، وذلك بإدخال نفسه في الإسلام كافة وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ البقرة : ٢٠٨ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نَزّل على رسوله ﴾ النساء : ١٣٦ .
يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه . . . قاله ابن كثير رحمه الله .

● فَالعمل على جميع شرائع الإيمان هو المقصود الأصلي من الدعوة الإسلامية ويقدرٍ على ذلك كل من يوفقه الله من كان وحيث كان ، ومهما كان أبكماً حقيقياً أو صورياً ، وذلك لمن خشي ربه .

● ومن هذا المنطلق نقول : إن الدعوة الإسلامية الفردية لا تحتاج إلى الوسائل ولا النفقات ، ولا حاجة إلى أي اهتمام خاص لها ، فقم وأخرُج من بيتك خفافا أو ثقالا فكل من تلقاه في الطريق ، أدعه إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبلّغه ما أنزل الله إلى رسوله ﷺ ، وكذلك في السجن وخارجه كما دعا إلى ذلك سيدنا يوسف ﷺ وهو في السجن ، وفي المسجد وخارجه ، و في السفر والحضر ، وبالعمل على سنن الحبيب المصطفى ﷺ وهذا هو طريق نبيك ﷺ الذي قال لنا : «بلغوا عني ولو آية» .

● وكان صلى الله عليه وآله وسلم لا تفوته ساعة في السفر ولا في الحضر إلا يحرض أصحابه على الطاعات والإستعداد للآخرة . كما يظهر ذلك من رواية ذكرها ابن كثير ٣ / ٨٨ مفسرا لقوله تعالي : ﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ الكهف : ٤٩ . وقال :
وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين ، نزلنا قفزاً من الأرض ليس فيه شيىء ، فقال النبي ﷺ : «اجمعوا من وجد عودا فليأت به ، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به» قال : فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً ، فقال النبي ﷺ : «أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه» اهـ .

والروايات في هذا الباب كثيرة تركناها للإختصار ، وكذلك كان أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم يعملون على شاكلته ﷺ في السفر .

● فروى ثابت عن أنس قال : كنا مع أبي موسى في مسير ، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا . قال أبو موسي : يا أنس ! إن هؤلاء يكاد أحدهم يَفري الأديم بلسانه فرياً ، فتعال فلنذكر ربنا ساعة . ثم قال : يا أنس ! ما ثَبر الناس ! ما بطَّأ بهم ؟ قلت : الدنيا والشيطان والشهوات . قال : لا ، ولكن عُجِّلتْ الدنيا ، وغُيبت الآخرة ، أما والله لو عاينوها ما عَدلوا ولا ميَّلوا . ذكره القرطبي مفسرا لقوله تعالى ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ الأعلى : ١٦ .

● فالدعوة الفردية لا تحتاج إلى إهتمام خاص لها ، ولا إلى مكان خاص ولا وقت خاص ، بل هي عامة ويمكن فعلها في جميع الأزمنة والأمكنة وفي كل عصر ومصر ، وذلك لمن يوفقه الله ، فالله سبحانه وتعالى ينصر من نصر دينه ، يسهل الأمور الشاقة الطارئة في سبيل الدعوة إلى الله ، وقد قال تعالي ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ العنكبوت : ٦٩ .

وقال عتبة بن أسيد أبو بصير الثقفي رضي الله عنه وكان يكثر أن يقول :

الحمد لله العلي الأكبر   من ينصر الله فسوف ينصر

قصة غريبة في الدعوة بصوت صامت

● حدثني أحد أصدقائي قصة صديقه مع امرأة غير مسلمة فقال : قال صديقي - وسماه - : خرجتُ يوما من بيتي لزيارة أخ لي في الله في انجلترا ، فلما وصلتُ منزله وقرعت الباب عليه ، فجاءت فتاة وهي خادمة لهم ففتحت لي الباب وكانت غير مسلمة ، فلما رأتني قدمتْ يدها إليّ للمصافحة ، فاستحيت من المصافحة معها ، لأنه ممنوع في الإسلام ، ونبينا عليه الصلاة السلام ما مست يده يد امرأة أجنبية عند المصافحة حتى ولا عند مبايعته ﷺ بالنساء - كما سنذكره بعد قليل إن شاء الله - وما أذن لنا في ذلك ، فتركتُ المصافحة وطرحتُ على يدها ثوباً كان عندي بدلا من المصافحة .

● فغضبتْ الفتاة بعملي هذا غضباً شديداً ، فدخلتُ المنزل بعد الإستئذان ، فاشتكت بي عند سيدها وقالت : إن ضيفك هذا أهانني وأذلني بعدم المصافحة معي

فكيف الرجل هذا الذي لا يعرف من آداب الزيارة شيئاً ؟ فقلنا لها : ليس الأمر كذلك كما تفهمين ، بل ديننا الإسلام يمنع من ذلك ، وذلك لصيانة عرضك وعرض أخواتك من بنات حواء ، حتى منع الإسلام من أن تخاطب المرأة الأجانب بكلام فيه ترخيم كما تخاطب زوجها ، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الإطماع ، وقد قال تعالى : ﴿إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ الأحزاب : ٣٢ .

● ومن شأن المسلم المؤمن إذا دعته إحداهن إلى الحديث والكلام يقول كما قال فضالة بن عمير الليثي رضي الله عنه :

قالت : هلم إلى الحديث فقلت : لا
يأبى عليك اللهُ والإسلام

● قال : فلما رأت الفتاة عملي هذا ، وعلمتْ سبب عدم المصافحة معها ، وصيانة المرأة وحق طهارتها وعفتها في الإسلام (سلطان الأديان) ، فغلب عليها الشوق إلى الإسلام ، فساقها هذا الشوق إلي أن نور الله قلبها بالإيمان ، وأسلمت في حينها والحمد لله رب العالمين .اهـ

فصارت صوت صامت – وهو عمل واحد من هدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو عدمِ المصافحة مع الأجنبية – سبباً لإيمان هذه الفتاة ، فطوبى لمن آمن وعمل عملا صالحا .

● كيفية مبايعته ﷺ للنساء واختلف في كيفية المبايعته عليه الصلاة والسلام لهن يوم الفتح فروي أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع في بيعة النساء ، ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن ، فجاءت «هند بنت عتبة» امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعته بحمزة رضي الله عنه يوم أحد من المثلة ، فلما قال عليه الصلاة والسلام : «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا» رفعت هند رأسها فقالت : والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال ، تبايع الرجال على الإسلام والجهاد . فلما قال عليه الصلاة والسلام «ولا يسرقن» قالت : إن أبا سفيان رجل شحيح وأني أصيب من ماله هنات ـ أي : شيئاً يسيراً ـ فما أدري أيحلُّ لي ؟ فقال أبو سفيان : ما أصبتِ فهو لك حلال ، فضحك

عليه الصلاة والسلام وقال : « أنت هند ؟» قالت : نعم ، فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك ، فعفا عنها . فقال : «ولا يزنين» فقالت : وهل تزني الحرة ؟ وقال عمر رضي الله عنه : لو كان قلب نساء العرب علي قلب هند ما زنت امرأة قط . فقال : «ولا يقتلن أولادهن» فقالت : ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً ، فأنتم وهم أعلم ، وكان ابنها «حنظلة بن أبي سفيان » قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله - ﷺ - فقال : «ولا يأتين ببهتان» فقالت : والله إن البهتان لأمر قبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ، فقال : «ولا يعصينك في معروف» فقالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء» وبالجملة كانت البيعة مع النساء والرجال أمراً مشروعاً بأمر الله وسنته بفعل رسول الله ﷺ . (تنوير الأذهان ٤ / ٢٩٩) .

● قوله : «أيديهن» : الثابت أن النبي ﷺ لما بايع النساء كان يبايعهن كلاما ولا يصافحهن كما جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها حيث قالت : «**ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط في المبايعة** ، وما بايعهن إلا بقوله «قد بايعتك على ذلك» وهذا صريح في أن المبايعة كانت بالكلام فقط ، ورواية غمس اليد في القدح أخرجها ابن سعد وابن مردويه كما في الدر المنثور ٦ / ٢١١ .

والحديث الذي فيه ذكر هند رضي الله عنها أخرجه سعيد بن منصور وابن سعد قريبا منه ، وأخرجه ابن جرير وابن مردويه بألفاظ متقاربة ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ٦ / ٢٠٩ ، وتفسير ابن جرير الطبري ٣٧ / ١٦٨ . ذكرناه من هامش «تنوير الأذهان » ٤ / ٢٩٩ وعلق عليه محمد علي الصابوني .

● وفي رواية : أن النساء اجتمعن عند النبي صلى الله عليه وسلم وطلبن أن يعاهدهن باليد فقال : «**إني لا أصافح النساء** ، ولكن قولي لإمراة واحدة كقولي لمائة امرأة » فبايعهن بالكلام . الحديث أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ينظر جامع الأصول ١ / ٢٥٣ .

قصة أخرى عجيبة في الدعوة بصوت صامت

● وهناك قصة أخرى عجيبة في الدعوة بصوت صامت وهو : العمل بسنة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وذلك لشيخنا المفتي جميل أحمد التهانوي رحمه الله- المتوفى ١٤١٦هـ- مع أحد الهنود الذي أسلم على يده

بعدما عــاده الشيخ وهو في مرض الموت :

● فقال الشيخ : بينما كنت في سفري إلى الهند مرة ، بعد ما انقسم الهند وباكستان ، فحببت أن أزور بعض أحبابي في القرية التي نشأت فيها ، فلما وصلت إلى القرية وقربت من بيتي القديم ، سألت بعض الناس عن بعض جيراننا الهنود ، فقيل : إن الهندي الفلاني من جيرانكم هو على فراش الموت من عدة أيام وفي صعب شديد ، ولا يعوده أحد خوفا من المرض - العدوى - الذي لحقه ، حتى ترك أهله وأولاده في الغرفة المعينة البعيدة عن الدار ، لا يقربونه قط ولا يخدمونه وهو يصيح من المرض ويبكي ، وقد علقوا له ظرفا كبيراً مع السقف ، فيلقون له فيه الطعام والشراب من البعيد بخشب طويل من القصب وهم قائمون خارج الغرفة المعينة .

● قال الشيخ أحمد : فلما سمعت هذا الكلام عن حالة جار لي قديم ، وكان يخدمني أحيانا ويكرمني إكرام المسلمين ، فرقّ له قلبي ، وذكرت حديث الرسول ﷺ في عيادة المريض وعمله ﷺ بذلك ولو كان مشركا وهو :

«أن غلاماً ليهود كان يخدُم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقال : «أسلم فأسلم» . رواه البخاري في الصحيح «باب عيادة المشرك» .

وفي رواية «... كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : «اذهبوا بنا نعود جارنا اليهودي ...» الحديث بطوله أورده ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم الحديث : ٥٥٤ .

● قال الشيخ : فقمت وعملتُ على هذا الحديث وجئتُ لعيادة جارنا هذا الهندي ، فلما وصلت إلى داره وسألت أهله عن حاله ، فقالوا : إنه على فراش الموت قلت : أريد زيارته ، فمنعني أهله وأولاده عن زيارته خوفاً من المرض المعدى ، (وهو المراد من كلمة «عدوىٰ» في الحديث كما سيأتي بعد قليل) وذلك حسب اعتقاد الهنود في هذا الداء المتعدي بأنه يصيب من يقربه لا محالة مثل ما بصاحب الداء والمرض ، وبعض الهنود أشد الناس إعتقاداً في ذلك إلى الآن .

فقلت في نفسي : «لا عدوىٰ ولا صفر ولا هامة» وهو قول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، وقلت لهم : فلا بد أن أزوره وأعوده عملا على سنة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا الذي تقولونه هو اعتقادكم وليس في إسلامنا من ذلك شيء ، لكم دينكم

ولي دين ، فدلوني عليه بعد إصراري الشديد ، فوجدته في غرفة خاصة كانت بعيدة عنهم بكثير.

● فلما مشيت إلى غرفة المريض ودخلت عليه وجلست عند رأسه ووضعت يدي على جبهته عملا على السنة ، قالوا أهل البيت كما هو في إعتقادهم : قد هلك الشيخ أحمد ، وألقاه في المرض والتهلكة .
فسألت عن حال المريض كيف هو؟ فقال لي : لا تسأل عن حال من أوبقته دنياه وأولاده وفلذات كبده ، وقال لي متأسفا ومتأوهاً : أيها الشيخ ! تركتني زوجتي وأولادي في حياتي ، ولا يقربني أحد منهم و أنا حي ، وجمعت لهم مالا ممدودا . فنسوا كل ذلك ، حتى جعلوا لي هذا الظرف المعلق بالسقف يرمون فيه الطعام والشراب من بعيد وبخشب من قصب طويل ، فأسد به الجوع ، ولا يداوونني ولا يقربني أحد منهم ، وأنا إلى القبر أقرب منهم ، وأوثر موتي على حياتي هذه ، وأحس الآن أن الفراق من الدنيا ليس ببعيد مني .

● ثم قال : والله يا أحمد ! أنتم - المسلمون - على الحق ، ودينكم الحق ، شرّفتني بمجيئك عندي في حالتي هذه، ولا شك أن هذه مزية دينكم الحق ، والهنود بعيدون عن هذا الترحم والتلطف مع المريض مثلي كما تراه وأرى ذلك أمامي ، وعقائدهم باطلة ، فإني أريد أن أدخل في دينكم ، فهل لي من توبة في حالتي هذه ؟ قلت : نعم ، وذلك في كل حين قبل الموت حتى تطلع الشمس من مغربها . فقال : علّمني كلمة الإسلام واقرءها عليّ حتى أقولها ، فقرأتها عليه وقلت له قل : «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمد رسول الله» فقرأها فنور الله قلبه بالإيمان في حينه وهو مستلقياً على الفراش، ثم رأيته فإذا هو قد ذاق الموت بعد النطق بشهادتين وأنا جالس عند رأسه . فأنقذه الله من النار إن شاء الله ، والحمد لله على ذلك ، اهـ .

● فالآن نذكر معنى العدوىٰ والمراد منه ، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا عدوَى ولا هامَة ولا صفَرَ» فقال أعرابي : يارسول الله ! فما بال الإبل تكون في الرمل لكأنها الظباء ، فيخالطها البعيرُ الأجربُ فيُجْربُها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «فمن أعدَى الأول ؟ » . رواه البخاري كما في المشكاة «باب الفال والطيرة» .
قوله ﷺ : «لا عدوَىٰ» العدوىٰ اسم من الأعداء كالبقوى من الابقاء ، أعداه الداء ،

بأن يصيبه ما بصاحب الداء ، وههنا مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره وذلك على ما ذهب إليه المطببة ، وقد اختلف العلماء في تأويل هذا فمنهم من يقول : إنه المراد منه نفي ذلك وإبطاله على ما يدل عليه ظاهر الحديث ، ومنهم من يرى أنه لم يرد إبطاله كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام «فرّ من المجذوم» الحديث وإنما أراد بذلك نفي ما اعتقدوا أن العلل الرديه والمعدية مؤثرة لا محالة ، فأعلمهم أنه ليس كذلك ، بل هو متعلق بالمشيئة ، إن شاء كان ، وإن شاء لم يكن ، ويشير إلى هذا المعنى قوله ﷺ : «فمن أعدى الأول ؟» وبيّن بقوله : «فرّ من المجذوم» أن مداناة ذلك من أسباب العلة خلقة ، فالاتقاء منه كاتقائه من الجدار المائل . كذا قال الطيبي ونقلناه من «الإنجاح» .

قوله ﷺ : «ولا هامة» هو اسم طير يتشاءم به الناس ، وقوله ﷺ : «ولا صفر» كان الناس يتشاءمون بدخول (شهر) صفر . قاله العلماء . اهـ

● **فيا إخوتي في الله !** فالعمل له تأثير أكثر من القول أحيانا فهذه هي الدعوة بصوت صامت ، يُخرج الله به عباده من الظلمات إلى النور والحبور ، فمن لم يستطع أن يدعو الناس إلى ربهم باللسان ، فعليه وعلى كل من قال : لا إله إلا الله : العمل العمل العمل ، لأنه ورد في الصحيح عن وهب بن منبّه قيل له : أليس «لا إله إلا الله» مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئتَ بمفتاح له أسنانٌ فُتح لك ، وإلا لم يفتح لك . رواه البخاري في ترجمة الباب كما أورده صاحب المشكاة في نهاية كتاب الإيمان . اهـ

فمتى تعمل إذا لم تعمل اليوم ؟

قال أحدهم :

أيا سامعاً ليس السَّماعُ بنافع إذا أنت لم تفعل فما أنت سامعٌ

إذا كنتَ في الدنيا عن الخير عاجزاً فما أنت في يوم القيامة صانعٌ ؟

● أيها الأخ الكريم ! فإذا كنت في دار العمل عاجزاً عن العمل مع الصحة والفراغ ، فمتى تعمل لنفسك حتى تكون من الفائزين في الدنيا والآخرة ؟

● **فهل تعمل** يوم يكون آخر يومك من أيام الدنيا ، وأول يومك من أيام الآخرة ، فتلتقي الشدة بالشدة حينما تنزع الروح من جسدك وتكون في حالة

الغرغرة فهل تعمل ﴿إذا بلغت التراقيَ ○ وقيل من راق ○﴾ أي من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الأهوال عند الاحتضار . . . فلا راق يرقيه فيجيبه ، وذلك إشارة إلى نحو ما قال القائل كما في «تنوير الأذهان ٤ / ٤٥٤» :

فإذا المَنيَّة أنشبتْ أظفارُها ... ألفيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفعُ

● فهل تعمل حينما تظن ﴿أنه الفراق ○ والتفَّت الساقُ بالساق ○ إلى ربك يومئذ المساق ○﴾ وأيقن المحتضر حين عاين ملائكة الموت ، أن ما نزل به هو الفراق من الدنيا المحبوبة ، ونعيمها التي ضيَّع العمر النفيس ، في كسب متاعها الخسيس . (فهل يمكن العمل في هذا اليوم أيها السامع أو القاري !!؟ يهديني ويهديك الباري جلت عظمته) . (والآيات المذكورة من سورة القيامة رقم : ٢٦-٣٠) .

● قال المزني : دخلت على الشافعي في مرض موته ، فقلت : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحتُ من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولسوء عملي ملاقياً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله وارداً ، فلا أدري أرُوحي تصير إلى الجنة فأهنِّيها ؟ أم إلى النار فأعزِّيها ؟ ثم أنشد يقول :

ولما قسا قلبي وضاقتْ مذاهبي ... جعلتُ رجائي نحو عفوك سُلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفْوك ربي كان عفوُك أعظما

● **أخي في الله** ! هذا حال الإمام الشافعي رحمه الله عند الاحتضار ، وقد كان دائماً في الإستعداد للآخرة كما قيل : إنه - رحمه الله - سئل ، مالَكَ تُدمن إمساك العصا ، ولستَ بضعيف ؟ فقال : لأذكر أني مسافر من الدنيا إلى الآخرة .

● روي أن واحداً من الصلحاء كان يختم كل ليلة ، ويجتهد في العبادة ، فقيل له : إنك تتعب نفسك ، وتوقعها في المشقة ، فقال : كم عمر الدنيا ؟ قال : سبعة آلاف سنة ، فقال : وكم مقدار يوم القيامة ؟ فقيل : خمسون ألف سنة ، فقال : لو عمِّر المرء بعمر الدنيا ، لحُقّ له أن يجتهد في العبادة ، لهذا اليوم الطويل ، فإنه أسهل بالنسبة إليه ، وفقنا الله لطاعته ومرضاته وكتبنا في زمرة عباده المرابطين المجاهدين إنه سميع الدعاء .

● فانظر كيف أنت في ميدان العمل والاستعداد للآخرة ؟ ولا تسوف ، لأن السفر طويل ، والزاد قليل ، وحر النار شديد ، وإن بطش ربك لشديد ، نعوذ بالله

من خزي يوم يتمنى الكافر ويقول : ﴿يا ليتني كنت ترابا﴾ .

● فهل تعمل يوم يقال : ﴿خذوه فغلوه ○ ثم الجحيم صلّوه ○ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ○﴾ الحاقة : ٣٠ - ٣٢ .

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿خذوه فغلوه﴾ قيل : يبتدره مائة ألف ملك ثم تجمع يده إلى عنقه - نعوذ بالله من ذلك - وهو قوله عز وجل : ﴿فغلوه﴾ أي شدوه بالأغلال . اهـ .

● وقوله : ﴿فاسلكوه﴾ قال سفيان : بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه . . . وجاء في الخبر : أنها تدخل من دبره وتخرج من منخريه .

وفي خبر آخر : تدخل من فيه وتخرج من دبره ، فينادي أصحابه هل تعرفوني ؟ فيقولون لا . ولكن قد نرى ما بك من الخزي فمن أنت ؟ فينادي أصحابه أنا فلان بن فلان ، لكل إنسان منكم مثل هذا .

ثم قال القرطبي : قلت : وهذا التفسير أصح ما قيل في هذه الآية ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ الإسراء : ٧١ . اهـ من تفسير القرطبي ١٨ / ١٧٦ - ١٧٧ .

● وقال في «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» ٤ / ٣٩٧ : أقول هذا - المذكور أعلاه - عذاب الكافر ، لأن جسده يكون في العظم مسيرة ثلاثة أيام ، وضرسه مثل جبل أحد ، على ما جاء في الحديث . اهـ .وقال أحدهم :

أخاف وراء القبر ، إن لم يعافني	أشدَّ من القبر التهاباً وأضيقا
إذ جاءني يوم القيامة قائدٌ	عنيفٌ وسوّاقٌ يسوق فَرزَدَقا
لقد خاب من أولاد آدم مَن مشىٰ	إلى النار مغلولَ القلادة أزرَقا

● فهل تعمل عملا أيها المسلم ! ﴿يوم يُدَعُّون إلى نار جهنّم دعّاً﴾ أي يدفعون إلى النار دفعاً عنيفاً شديداً ، و﴿يوم يُسحَبُون في النّار على وُجُوهِهم﴾ يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ، ويقال لهم تقريعاً وتوبيخاً : ﴿ذوقوا مس سقر﴾ القمر : ٤٨ . فلا يمكن العمل ذلك اليوم يا عباد الله .فلذا اعملوا أيها الناس ! قبل أن يقال : ﴿ذوقوا مس سقر﴾ .

● فهل تعمل لنفسك ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ○ وتكون

الجبال كالعهن المنفوش﴾ القارعة : ٤-٥ . ولا يمكن أيضاً

● وهل تعمل لنفسك عملا ﴿يوم يفر المرء من أخيه ○ وأمه وأبيه ○ وصاحبته وبينه ○ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ ٣٤ - ٣٧ .كلا ، ثم كلا .

● و هل تعمل عملا ﴿يوم يحمىٰ عليها في نار جهنم فتُكوىٰ بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورهُم هذا ما كنزتم لأنفسكم﴾ ثم يقال : ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ التوبة ٣٥ .لا والله ! لا تستطيع العمل في ذلك اليوم .

● وهل تعمل عملا يوم يقول المجرمون : ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون﴾ السجدة : ١٢ . فلا يمكن الرجوع أبداً ، فدارهم النار إلى الأبد ، لا محيد لهم عنها ، ولا محيص لهم منها ، نعوذ بالله وكلماته التامة من خزي يوم القيامة .

● فهل تعمل عملا عندما يقول من أفسد حياته بقضاء الشهوات ولم يعمل قط للدار الآخرة فيتمنىٰ ويقول : ﴿ربِّ ارجعون ○ لعلِّي أعمل صالحا فيما تركتُ﴾ المؤمنون : ١٠٠ ، فلا يمكن الرجوع إلى دار العمل للعمل أيها الناس بل ﴿ هذا يومُ لا يَنطِقُون ○ ولا يؤذَنُ لهم فيَعتَذِرُون ○﴾ المرسلات : ٣٥-٣٦ .

● ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ المؤمنون : ١٠٠ . قال قتادة : والله ما تمنى أ ن يرجع إلى أهل ، ولا إلى عشيرة ، ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ، ولكن تمني أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل ، فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلى النار . ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٣ / ٢٥٦ .

● وهل تعمل أيها الشاب أوالشيخ يوم ﴿يصطرخون فيها﴾ أي يستغيثون في النار بالصوت العالي فيقولون : ﴿ربنا أخرجنا﴾ من جهنم وردّنا إلى الدنيا ﴿نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل﴾ فيقال لهم : ﴿أولم نعمرّكم ما يتذكّر فيه من تذكّر ﴾ أي أوَ ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم ؟ ومقدار العمر هو : سبع عشرة سنة ، ثماني عشرة سنة ، وعشرين سنة ، وأربعين سنة ، وستين سنة ، وسبعين سنة على اختلاف الروايات في ذلك ، ذكره ابن كثير وغيره .

وكذلك يقال لمنْ ضاع عمره في الشهوات وفي جمع الحطام الدنيا ﴿ فجاءكم

النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال . نعوذ بالله من ذلك . وقال أحدهم :

إن لله عبـــادا فطـــنا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتَنا
نظروا فيهـا فلمـا علمُوا	أنها ليست لحي وطـنا
جعلوها لُجةً واتخذوا	صالحَ الأعمال فيها سُفنا

● وهل تعمل عملا يوم ﴿ تلفحُ وجوهَهُمُ النارُ وهم فيها كالحون ﴾ أي تسيل لحومهم على أعقابهم فيقال : ﴿ ألم تكن آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم بها تكذبون ○ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ○ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ○ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ○ ﴾ المؤمنون : ١٠٤-١٠٨ .

قوله تعالى : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ أي لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي .

● فعن عبدالله بن عمرو قال : إن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يرد عليهم إنكم ماكثون ، قال هانت دعوتهم والله على مالك ورب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون : ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ○ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ قال : فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين فيرد عليهم ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ قال : فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم ، قال : فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق . ذكره ابن كثير : ٣/ ٢٥٩ .

● و هل تعمل عملا يوم يقال : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ يسين : ٥٩ . أو يقال عندما يساقون إلى النار : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ الصافات : ٢٤ . ، عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم . قاله القرطي والكلبي .

● وهل تعمل عملا يوم يقول القائل : ﴿ رب لِمَ حشرتني أعمى وقد كنتُ بصيراً ﴾ طه : ٢٥ .

● وهل تعمل عملا ﴿ وقد أحاط بهم ﴾ أي أهل النار ﴿ سرادقها ﴾ فسطاطها وهو الخيمة ، شبه به ما يحيط بهم من النار ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ﴾ كالحديد المذاب على أسلوب التهكم ﴿ يشوي الوجوه ﴾ إذا قدم ليشربَ من فرط

حرارته ... فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ﴿بئس الشراب وساءت﴾ النار ﴿مرتفقا﴾ أي متكئاً ومنزلا .

● **فعلى العاقل المؤمن** اكتساب الخيرات والأعمال التي هي من الأسباب المعدة للجنة ، و(الاجتناب عن الظلم والمعاصي ، والتدارك بالاستغفار والندامة ، والاشتغال بالتوحيد والأذكار ، وإلا فالسفر بعيد ، والزاد قليل ، وحر النار شديد ، وماؤها مُهْلٌ وصديد ، وقيدها حديد ، وفي الحديث : «إن أدنى أهل النار عذاباً من ينعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعله» .

● **حكي عن مالك بن دينار** أنه قال : مررتُ على صبي ، فقلت : يا نفس ! كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلِّم على الصغار والكبار ، فسلمت ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله يا مالك !

فقلت : ماالفرق بين النفس والعقل ؟

قال : نفسك التي منعتك عن السلام ، وعقلك الذي حرَّضك عليه .

فقلت : لم تلعب بالتراب ؟

فقال : لأنا خلقنا منه ، ونعود إليه .

فقلت : ولم الضحك والبكاء ؟

قال : إذا ذكرت عذاب ربي أبكي ، وإذا ذكرتُ رحمته أضحك .

فقلت : يا ولدي ! أي ذنب لك حتى تبكي ؟ أي فإنك لستَ بمكلف .

قال : لا تقل هذا ، فإني رأيت أمي لم توقد الحطب الكبار إلا بالصغار ، فعليك بالاعتبار) . مابين القوسين من «تنوير الأذهان» ٢ / ٣٨١-٣٨٢ .

● **وقال في «تنوير الأذهان ٤ / ٣٠٧»**: فالدنيا موسم التجارة ، والعمر مدتها والأعضاء والقوى رأس المال ، والعبد هو المشتري من وجه والبائع من وجه ، فمن صرف رأس ماله إلى المنافع الدنيوية التي تنقطع عند الموت فتجارته دنيوية كاسدة خاسرة ، وإن كان بتحصيل علم ديني أو كسب عمل صالح فضلاً عن غيرهما ، فإنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى . ومن صرفه إلى المقاصد الأخروية التي لا تنقطع أبداً فتجارته رائجة رابحة بأن يقال : ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ التوبة : ١١١ اهـ ما ذكره في «تنوير الأذهان» .

● قلت : ويقال عند الموت من جهة الملائكة : ﴿ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ○ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ○ نزلا من غفور رحيم ○﴾ حم السجدة : رقم الآية : ٣٠-٣٢ .

● قال ابن كثير رحمه الله ٤ / ١٠٠ : « ... فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه ، فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ، ولما كان يعمل في الدنيا » .
وقال زيد بن أسلم : يبشرونه عند موته وقبره وحين يبعث . اهـ ما ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى .

● فجاء في الشعر عن هذين المحلين - أي الجنة والنار - فاختر لنفسك ماشئت منهما أيها القارىء ثم اجتهد فيه فقد قيل :

الجنةُ الدارُ فاعلَمْ إنْ عملتَ بما	يُرْضِي الإلهَ وإنْ فرَّطتَ فالنَّارُ
هُما مَحلاَّن ما للنَّاسِ غيرُهُما	فانْظُرْ لنفسكَ ماذا أنتَ تختارُ

● وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه كان يقول : يا ابن آدم اعرف قدر نفسك فإن الله لما عرف قدرك لم يرض أن يكون لك ثمن غير الجنة . فقال تعالى : ﴿إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ التوبة : ١١١ .

● فالله تعالى بمنزلة المشتري ، والمؤمن بمنزلة البائع ، وبدنه وأمواله بمنزلة المبيع الذي هو العمدة في العقد ، والجنة بمنزلة الثمن الذي هو الوسيلة ، وإنما يستحق البائع تسليم الثمن إليه بتسليم المبيع ، وأنشد أبو علي الكوفي :

من يشتري قُبّةً في عدْنٍ عاليةً	**في ظلِّ طوبىٰ رفيعاتٌ مبانيها**
دلالُها المصطفىٰ ، واللهُ بائعُها	**ممَّن أراد ، وجبريلُ مُناديها**

● نقلناه من تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٢ / ١٠٧ بتقديم وتأخير وبحذف .

● فيا أيها المؤمنون ! سابقوا وسارعوا فالنفس مطية ، والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، واعملوا لأنفسكم قبل أن تصلّى عليكم وتحملوا على أعناق

الأقارب فتجاوروا جيرانا لم ير مثلهم ، قوموا وانتبهوا ، ثم اعملوا ، فالدين قول وعمل ، والقبر صندوق العمل . وفي ذلك أنشد عبدالله بن عبد نهم رضي الله عنه .

قال : قولوا وإذا ما قلتم	فاعملوا ، فالدين قول وعمل
فأطعنا وهذا ديننا	ظاهر الصحة ، ما فيه دغل

● وكونوا ممن ﴿ هدوا إلى الطيّب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ الحج : ٢٤ (أي المحمود نفسه أن عاقبته وهو الجنة ...

واعلم أن علامة الاهتداء إلى الطريق القويم : السلوك بتقدم العمل الصالح ، وهو ماكان خالصاً لله تعالى ، ومجرد الإيمان وإن كان يمنع المؤمن الخلود في النار ويدخله الجنة ، لكن العمل يزيد نور الإيمان ، وبه يتنور قلب المؤمن .

● قال موسى عليه السلام : يا رب ! أيُّ عبادك أعجز ؟ قال : الذي يطلب الجنة بلا عمل ، قال : وأي عبادك أبخل ؟ قال : الذي سأله سائل وهو يقدر على إطعامه ولم يطعمه) ما بين القوسين من «تنوير الأذهان ٣ / ١١» .

حكي أن إبراهيم بن أدهم أراد أن يدخل الحمّام ، فمنعه الحمامي أن يدخله بدون الأجرة ، فبكى إبراهيم وقال : إذا لم يؤذن أن أدخل بيت الشيطان مجاناً ؟ فكيف لي بالدخول في بيت النبيين والصديقين بلا زادٍ ولا عمل ؟ يريد كيف بدخول الجنة دار الأنبياء والصدِّيقين ؟ «تنوير الأذهان ٢ / ٢٢٦» .

● فـ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ في كل ما تأتون وما تذرون ، فتحرَّزوا عن العصيان بالطاعة ، وتجنّبوا عن الكفران بالشكر ، وتوقوا عن النسيان بالذكر ﴿ ولتنظر نفسٌ ما قدَّمت لغد ﴾ أي : أيَّ شيء قدّمت من الأعمال ليوم القيامة ؟ ﴿ واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون ﴾ أي : عالم بما تعملون من المعاصي فيجزيكم يوم الجزاء عليها .

● ﴿ ولا تكونوا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ كالذين ﴾ كاليهود والنصارىٰ ﴿ نسوا الله ﴾ أي نسوا حقوقه تعالى ، وما قدروه حق قدره ، ولم يراعوا واجب أمورهم ونواهيه حق رعايتها ﴿ فأنساهم ﴾ بسبب ذلك ﴿ أنفسهم ﴾ أي : جعلهم ناسين لها فلم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها ﴿ أولئك هم الفاسقون ﴾ الكاملون في الفسوق والخروج عن الطاعة . نقلناه من «تنوير الأذهان ٤ / ٢٧٩» .

● **ثمـرة عمـل الصـالح في الدنيا وفي الآخرة** : قال تعالى : ﴿من عـمل صالحا من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنُحيينَّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ النحل : ٩٧ .

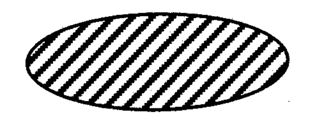
قال ابن كثير رحمه الله ٢ / ٥٨٦ : هذا وعد من الله تعالى - وهو لا يخلف الميعاد - لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عندالله بأن يحيه الله حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت » اهـ . فهـل من مجيـب ؟

ألا ! فاسمعون أيها الناس !

● ويا معشـر الإسـلام ! فإن لم تقوموا بحق الدعوة ، ولم تدعوا الناس إلى ربهم فاسمعون ! فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يفوض عمل هذه الدعوة إلى الجن والحيـوانات والطيـور وغيـر ذلك من المخلوقات ، ومـا ذلك على الله بعزيز وهو على كل شيئ قدير .

● **وإليك بعض القصص والروايات التي تدل على أن الجن والحيوانات والطيور كانوا يدعون الناس إلى رب الناس ، فيا من دعواه أنه من المحبين الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فانظر ماذا ترى بعد قراءة هذه الروايات الآتية ؟ ، ولا تكن أعجـز من الحيوان في الـدعوة إلى الله ، وحـذار من الوقوع في قول القائل :**

وجـائزة دعـوى المحبـة في الـهوىٰ
ولكـنْ لا يخـفى كلامُ المنـافـق



قصة الجني الذي يدعو سواد بن قارب إلى الإيمان

● فهذا سواد بن قارب رضي الله عنه يخبره الجن بخبر نبوته صلى الله عليه وآله وسلم ويدعوه إلى الإيمان مرة بعد أخرى ، فانطلق - رضي الله عنه - متوجها إلى مكة وأسلم كما يحكي ذلك سواد بن قارب ويقول :

(فقمت وقلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحلتُ ناقتي ، ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه ، فدنوت فقلت : اسمع مقالتي يارسول الله ، قال : هات ، فأنشأتُ أقول :

أتاني نجيّي بعد هدء ورقدة	لم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة	أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت من ذيل الأزار ووسَّطت	بي الذِّعلب الوجناءُ غُبر السباسب
فأشهد أن الله لا شيء غيره	وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة	إلى الله يابن الأكرمين الأطايب
فمُرنا بما يأتيك يا خير من مشى	وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة	سواك بمغن عن سواد بن قارب

● قال : ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً ؛ حتى رئي الفرح في وجوههم ، قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فالتزمه وقال : قد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رئيك اليوم ؟ قال : أما منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله من الجن . . . إلى آخر الحديث الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي والبيهقي عن محمد بن كعب والبخاري في التاريخ والبغوي والطبراني وابن أبي خيثمة والروياني عن أبي جعفر الباقر ، وابن شاهين عن أنس بن مالك كما بسط طرق هؤلاء في الإصابة ٢ / ٩٦ .

ويشهد له حديث البخاري في صحيحه وهو كالآتي :

(. . . قال عمر ، صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول : يا جلِيح ، أمر نجيح - من النجاح - ، رجل فصيح ، يقول : لا إله إلا الله ، فوثب القوم ، فقلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله ، فقمت فما نشبنا أن قيل : هذا نبي . تفرد به البخاري .

هاتف الجن يدعو تميم الداري إلى الإسلام

● وكذلك أسلم تميم الداري رضي الله عنه بعد ما أخبره هاتف الجن وقال له : (قد خرج رسول الأمين - رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وصلينا خلفه بالحجون ، فأسلمناه واتبعناه ، وذهب كيد الجن ، ورميت بالشهب ، فانطلقْ إلى محمد رسولِ رب العالمين فأسلم ، قال تميم : فلما أصبحتُ ذهبت إلى دير أيوبَ فسألت راهباً ، وأخبرته الخبر ، فقال الراهب : قد صدَقوك ، يخرج من الحرم ، ومهاجره الحرم ، وهو خير الأنبياء ؛ فلا تُسبق إليه ؛ قال تميم : فتكلفت الشخوص حتى جئتُ رسول الله ﷺ فأسلمت . كذا في البداية ٢ / ٣٢٤- ٣٥٠ .

وقد ورد في صحيح مسلم أن داعي الجن يدعو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يجيىء عندهم فيقرأ عليهم القرآن . وفيه إشارة واضحة إلى نصرة دين الله سبحانه من داعي الجن .

فعن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن» وفيه : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة . الحديث . أورده القرطبي في تفسيره : ١ / ٢١٦ .

تكليم الذئب لراع وإخباره له بخبر النبي ﷺ

● وهذا ذئب من الحيوانات يدعو الناس إلى الإسلام ويخبر بخبر النبي عليه الصلاة والسلام كما أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعي ، فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه ، فقال : ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقا ساقه الله إليَّ ، فقال : يا عجبي ، ذئب يكلمني كلام الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ، محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ فنودي : الصلاة جامعة ، ثم خرج ، فقال للراعي : «أخبرهم» فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ : «صدق ، والذي نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنسَ ، ويكلم الرجلَ عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده» وهذا إسناد على شرط الصحيح ، وقد صححه

البيهقي ولم يروه إلا الترمذي من قوله : «والذي نفسي بيده» إلى آخره ... ثم قال : هذا حديث حسن غريب صحيح . كذا في البداية ٦ /١٤٣ .

● وقد تكلم القاضي عياض على حديث الذئب ، فذكر عن أبي هريرة ، وأبي سعيد وعن أُهبان بن أوس رضي الله عنهم ، وأنه كان يقال له : مكلم الذئب ؛ قال :

وقد روى ابن وهب أنه جرى مثل هذا لأبي سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبْياً ، فدخل الظبي الحرم ، فانصرف الذئب ، فعجبا من ذلك ، **فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبدالله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار .** فقال أبو سفيان : واللات والعزى ، لئن ذكرت هذا بمكة ليتركنها أهلوها ، كذا في البداية ٦ / ١٤٦ . وحياة الصحابة ٤ / ٥٠١ .

بشارة الذئب لرافع بن عمر بمجيىء النبي ﷺ

● وجرى مثل ذلك لرافع بن عمر السمبسي رضي الله عنه كما ذكره ابن إسحاق في المغازي وقال : إنه هو الذي كلمه الذئب . وقد أشار إلى ذلك بقوله :

فلما أن سمعت الذئب نادى	يبشرني بأحمد من قريبي
سعيتُ إليه قد شمّرتُ ثوبي	عن الكعبين معتمدا ركوبي
فألفيت النبي يقول قولاً	صدوقاً ليس بالقول الكذوب
يبشِّرني بدين الحق حتى	تبيَّنت الشريعة للمنيب
وأبصرتُ الضياء يضيء حولي	أمامي إن سعيت ومن جنوبي
ألا أبلغ بني عمرو بن عوف	وأختهم حذيلة أن أجيبي
دعاء المصطفى لا شك فيه	فإنك إن تجيبي لا تخيبي

صلوات الله وسلامه عليه

ذكره في الإصابة ١ /٤٩٧ ، وشعر الدعوة ص ١٠٧ ، ومنح المدح ص ١٠٣ .

●●●

البقرة تدعو الناس إلى «لا إله إلا الله»

● أخرج أحمد عن مجاهد قال : حدثني شيخ أدرك الجاهلية ونحن في غزوة رُودَس- جزيرة بأرض الروم - يقال له ابن عيسى قال : كنت أسوق لآل لنا بقرة فسمعت من جوفها : يا آل ذريح ، قول فصيح ، رجل يصيح : أن لا إله إلا الله ، قال : فقدمنا مكة فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة . قال الهيثمي ٨/٢٤٣ : رجاله الثقات .

البقرة تنهى صاحبها عن المنكر

● فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «بينما رجل يسوق بقرة إذ أعيا ، فركبها ، فقالت : إنّا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا لحراثة الأرض ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تكلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «فإني أومنُ به أنا ، وأبو بكر ، وعمر ، وما هما ثم . وقال بينما رجل في غنم له ، إذا عدا الذئب على شاة منها ، فأخذها ، فأدركها صاحبها ، فاستنقذها ، فقال له الذئب : فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري ، فقال الناس : سبحان الله ! ذئب يتكلم ، فقال : «أومنُ به أنا ، وأبو بكر ، وعمر ، وما هما ثمّ» متفق عليه كما في المشكاة «باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما» .

الهدهد يدعو ملكة سبأ إلى الإسلام والمسلمين

● وهذا طير معروف رسولُ رسولِ الله سليمان صلوات الله وسلامه عليه إلى الملكة بلقيس يدعوها إلى الإسلام ، وقد ذكر الله تعالى اسمه في كتابه الكريم وقصته مع سليمان صلوات الله وسلامه عليه معروفة ، قال تعالى : ﴿ وتفقّد الطيرَ فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ○ لأعذّبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو لَيأتيَنّي بسُلطان مبين ○ فمكث غيرَ بعيدٍ فقال أحطتُّ بما لم تحط به وجئتُك من سبأ بنباءٍ يقين ○ ﴾ النمل : ٢٠-٢٢ .

● فلما جاء الهدهد بنبإ من سبإ لسليمان ﷺ وقال : ﴿إني وجدتُّ إمرأة تملكهم وأوتِيتْ من كل شيء ولها عرش عظيم ○ وجدتُّها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيَّن لهم الشيطان أعمالَهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون - إلى قوله - قال سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين ○﴾ النمل : ٢٣-٢٧ .

فأخبر الهدهدُ سُليمان ﷺ عن المشركين من أهل سبإ بأنهم ممن يعبد الشمس ، لأنهم كانوا زنادقة فيما يروى ، وتملكهم بلقيس بنت شراحيل ، وأعلم سليمانَ عليه السلام ما لم يكن يعلمه ، فأرسله إليهم يدعوهم إلى الإسلام والمسلمين وقال : ﴿آذهبْ بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ○ قالت يا أيها الملؤُا إني ألقِيَ إليَّ كتاب كريم ○ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ○ ألاَّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين﴾ النمل : ٢٨ - ٣١ .

● قال القرطبي في تفسيره ١٣ / ١٢٧ : قال وهب وابن زيد : كانت لها كوّة - في قصرها - مستقبل مطلع الشمس ، فإذا طلعت سجدت ، فسدها الهدهد بجناحه - فمنعها من عبادة الشمس بفعله هذا ، وعمله هذا يدل على النهي عن المنكر الذي يعد من أخص أوصاف المؤمن الداعية إلى الله جلت عظمته - فارتفعت الشمس ولم تعلم ، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى الصحيفة إليها ، فلما رأت الخاتم آرتعدت وخضعت ، لأن مُلك سليمان عليه السلام كان في خاتمه ؛ فقرأته فجمعت الملأ من قومها فخاطبتهم . . . اهـ

ثم قال القرطبي : في هذه الآية دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة ، ودعائهم إلى الإسلام ، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر وإلى كل جبار . اهـ

● **ومن اللطائف** ما حكى القزويني إن الهدهد قال لسليمان عليه السلام : أريد أن تكون في ضيافتي ، قال : أنا وحدي ؟ قال : لا ، أنت وعسكرك في جزيرة كذا ويوم كذا ، فحضر سليمان بجنوده ، فطار الهد هد واصطاد جرادة فخنقها ورمى بها في البحر ، وقال : كلوا يا نبي الله منه ، فإن اللحم ناله المرق ، فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا . اهـ من المرقاة شرح المشكاة : ٨ / ١٥١ .

الحمار ينهى مالكه عن المنكر والأذى

● ذكر الإمام الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ رحمه الله تعالى في كتابه «الكبائر» ص ٢٠٥ : قال أبو سليمان الداراني : ركبتُ مرة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثا ، فرفع رأسه ونظر إليّ ، وقال : يا أبا سليمان ! هو القصاص يوم القيامة ، فإن شئت فأقلل ، وإن شئت فأكثر : قال : فقلت : لا أضرب شيئا بعده أبداً . اهـ

الكلب ينصر أهل الإيمان ويحرسهم ويعينهم على الحق والهدىٰ

● قال تعالى : ﴿ نحن نقصُّ عليك نبأهم بالحق إنهم فِتيةٌ آمنوا بربهم وزردناهم هدىٰ ﴾ الكهف : ٢٣٧ . قال القرطبي مفسرا لقوله تعالى ﴿ وزدناهم هُدىٰ ﴾ : أي يسرناهم للعمل الصالح ؛ من الإنقطاع إلى الله تعالى ، ومباعدة الناس ، والزهد في الدنيا ، وهذه زيادة على الإيمان .

● **وقال السُّديّ** زادهم هُدًى بكلب الراعي حين طردوه ورجموه مخافةَ أن يَنْبَحَ عليهم ويُنَبِّه بهم ؛ **فرفع الكلب يديه إلى السماء كالداعي فأنطقه الله ، فقال** يا قوم ! لَمَ تطردونني ! لِمَ ترجمونني ! لَمَ تضربونني ! فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة ؛ فزادهم الله بذلك هدى . اهـ من القرطبي ١٠ / ٢٣٧ .

● وذكر القرطبي ١٠ / ٢٤١ مفسرا لقوله تعالى : ﴿ وكلبُهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾ الكهف ب : ١٨ : « ... وقال ابن عباس : هربوا ليلاً ؛ وكانوا سبعة ، فمروا براع معه كلب فاتبعهم على دينهم .

وقال كعب : مرُّوا بكلب ، فنبح لهم فطردوه ، فعاد فطردوه مراراً ، فقام الكلب على رجليه ، ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعي : **فنطق فقال : لا تخافوا مني ! أنا أحب أحباء الله تعالى ، فناموا حتى أحرسكم . اهـ** .

● **قال ابن عطية :** وحدثني أبي رضي الله عنه قال : سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على المنبر وعظه سنة تسع وستين وأربعمائة :

«إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم ؛ كلبٌ أحبَّ أهل فضل وصحبهم ، فذكره الله في محكم تنزيله ».

● **قلت – القرطبي –** : إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه جل وعلا فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين/ المحبين للأولياء والصالحين ! بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصّرين عن درجات الكمال ، المحبين للنبي صلى الله عليه وسلم وآله خير آل .

روى الصحيح عن أنس بن مالك قال : بينا أنا ورسول الله ﷺ خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدّة المسجد فقال : يارسول الله ، متى الساعة ؟ قال رسول الله ﷺ : «ما أعددتَ لها ؟» قال : ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله – ﷺ – قال : «فأنت مع من أحببت» . قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر ، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم .

● قلت – القرطبي – : وهذا الذي تمسك به أنس يشمل من المسلمين كل ذي نفس ، فكذلك تعلقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين ، ورجونا رحمة الرحمن وإن كان غير مستأهلين ؛ **كلبٌ أحب قوماً فذكره الله معهم ! فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام ، وحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم** ، ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ الإسراء : ٧٠اهـ ما ذكره القرطبي في تفسيره ١٠ / ٢٤٢ .

● قصة الكلب (الوفيّ) لمالكه : وفي عجائب المخلوقات أن شخصاً قتل شخصاً بأصفهان وألقاه في بئر ، وللمقتول كلب يرى ذلك ، فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر ، وينحّي التراب عنها ويشير ، وإذا رأى القاتل نبح عليه ، فلما تكرر منه ذلك ، حفروا الموضع فوجدوا القتيل ، ثم أخذوا الرجل فأقر فقتل به . ذكره في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٢ / ٢٧٥ . تحت الآية المذكورة أعلاه .

قلت : قد وقع القصاص (وهو حد من حدود الله) على القاتل بإعانة الكلب وهذا نصرة من الكلب لدين الله سبحانه .

● وفي «تنوير الأذهان ٢ / ٣٧٥» وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «كلب أمين خير من صاحب خوان ، وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم ، وكان شديد المحبة لهم ، فخرج في بعض منتزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد ، فدخل على

زوجته فأكلا وشربا ثم اضطجعا ، فوثب الكلب عليهما فقتلهما ، (أى الخائنين والمفسدين في الأرض) فلما رجع الحارث إلى منزله ووجدهما قتيلين عرف الأمر فأنشد يقول :

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليلُ يخون
فيا عجباً للخل تحليل حرمتي ويا عجباً للكلب كيف يصون

النملة المؤمنة تنصح لسيدنا سليمان ﷺ وتعظه

● قوله : «النملة المؤمنة» ذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره ١٣ / ١١٤ مفسرا لقوله تعالى ﴿ قالت نملة يا أيها النملُ ... ﴾ النمل : ١٨-١٩ :

وقال : وسميت النملة نملة لتنملها : وهو كثرة حركتها وقلة قرارها ، وقيل : كان اسمها «طاخية» . وقال السهيلي : ذكروا اسم النملة المكلِّمة لسليمان عليه السلام وقالوا : اسمها «حرميا» ... هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الزبور أو في بعض الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم ، وعرفها به الأنبياء قبل سليمان أو بعضهم .

● **ومعنى قولنا : بإيمانها** أنها قالت للنمل : ﴿ لا يحطمنّكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعُرون ﴾ فقولها : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ التفاتة مؤمن . أي من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألاّ يشعروا .

وقد قيل : إن تبسم سليمان سرور بهذه الكلمة منها ، ولذلك أكّد التبسم بقوله ﴿ ضاحكاً ﴾ إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا ، ألا تراهم يقولون : تبسم تبسم الغضبان ، وتبسم تبسم المستهزئين . وتبسم الضحك إنما هو عن سرور ، ولا يُسرّ نبيّ بأمر دنيا ؛ إنما سُرّ بما كان من أمر الآخرة والدين . وقولها : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ إشارة إلى الدِّين والعدل والرأفة .

● ونظير قول النملة في جند سليمان : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ قول الله تعالى في جند محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ فتُصيبَكم منهم معرّةٌ بغير علم ﴾ الفتح : ٢٥ التفاتاً إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمن . إلا أنّ المثني على جند سليمان هي النملة بإذن الله تعالى . والمثني على جند محمد صلى الله عليه وسلم هو الله

عز وجل بنفسه ؛ لما لجنود محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جند غيره من الأنبياء ؛ كما لمحمد صلى الله عليه وسلم فضل على جميع النبيين صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

ثم ذكر القرطبي في ١١٥/١٣ : (وقال : ﴿ادْخلوا مساكنكم﴾ فجاء على خطاب الآدميين ، لأن النمل ههنا أجري مجرى الآدميين حين نطق كما ينطق الآدميون .

● **موعظة النملة ونصحها لسيدنا سليمان عليه السلام** قال أبو إسحاق الثعلبي : ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها : لم حذّرت النمل ؟ أخفت ظلمي ؟ أما علمتَ أني نبيّ عدل ؟ فلم قلت : ﴿يحطمنّكم سليمانُ وجنودُه﴾ .

فقالتَ النملة : أما سمعت قولي : ﴿وهم لا يشعرون﴾ مع أني لم أرد حطم النفوس ، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ، أو يفتنن بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر .

فقال لها سليمان : عظيني .

فقالت النملة : أما علمتَ لِمَ سُمِّي أبوك داود ؟

قال : لا .

قالت : لأنه داوىٰ جراحة فؤاده .

هل علمتَ لمَ سُميتَ سليمان ؟

قال : لا .

قالت : لأنك سليم الناحية على ما أوتيته بسلامة صدرك ، وإن لك أن تلحق بأبيك .

ثم قالت : أتدري لمَ سخّر الله لك الريح ؟

قال : لا .

قالت : أخبرك أن الدنيا كلها ريح . ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها﴾ متعجباً .

● **ثم مضت مسرعة إلى قومها** فقالت : هل عندكم من شيء نهديه إلى نبي الله ؟ قالوا : وما قدر ما نهدي له ! والله ما عندنا إلا نبقة واحدة . قالت : حسنة ؛ ايتوني بها . فأتوها بها فحملتها بفيها فانطلقت تجرها ، فأمر الله الريح فحملتها ، وأقبلت تشق الإنس والجن والعلماء والأنبياء على البساط ، حتى وقعت بين يديه ، ثم وضعت تلك النقبة من فيها في كفه وأنشأت تقول :

ألـم تَـرنا نُهـدي إلى الله مـالَـه	وإن كان عنـه ذا غنى فهو قـابلـهْ
ولـو كان يُهـدَى للجليل بقـدره	لقصّر عنه البحـرُ يومـاً وساحلُـهْ
ولكـنـا نُهـدي إلى مـن نحبـه	فيـرضىٰ بـه عـنـا ويشـكـر فاعلُـهْ
وما ذاك إلا من كـريم فعـالـه	وإلا فمـا فـي مـلكـنـا مـا يشـاكلُهْ

● فقال لها : بارك الله فيكم ؛ فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله ، وأكثر خلق الله .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب : الهدهد ، والصُّرد ، والنمل ، والنحلة» خرجه أبو داود وصححه أبو محمد عبدالحق .

● فالنملة أثنت على سليمان وأخبرت بأحسن ما تقدر عليه بأنهم لا يشعرون إن حطموكم ، ولا يفعلون ذلك عن عمد منهم ، فنفت عنهم الجور ؛ ولذلك نهى عن قتلها .

وعن قتل الهدهد : لأنه كان دليل سليمان على الماء ورسوله إلى بلقيس . وقال عكرمة : إنما صرف الله شر سليمان عن الهدهد لأنه كان باراً بوالديه إلى آخر ما ذكره القرطبي رحمه الله .

قول النملة : «مع إني لم أرد حطم النفوس ، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنيّ مثل ما أعطيت ، أو يفتنن بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر»

● قال أبو طلحة: قولها هذا أيضاً من التفافة مؤمن مخلص، مبغض للدنيا وزخارفها ، والذي يذكر الله كثيراً ، يؤثر ذكره سبحانه وتسبيحه على ذكر غيره من الدنيا بترك حبها ، والاعرض عن زوائدها ، والإقبال على الآخرة وعوائدها ، إذ أرادت بقولها : ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ : حطم القلوب وفسادها ، لأن حطم القلوب وفسادها أعظم وأشنع من حطم النفوس ، والقلب هو منبع الصلاح والفساد ومنشأهما ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ... ألا وإن في الجسد مضغةً ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب» . متفق عليه كما في المشكاة كتاب البيوع .

● وقال بعض الصالحين : خرجت إلى السوق ومعي جارية حبشية ، فأجلستها في مكان وقلت لها : لا تبرحي حتى أعود إليك ، فذهبت حتى عدت إلى المكان فلم أجدها فيه ، فانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها ، فجاءتني وقالت لي : يا مولاي ! لا تعجل عليّ ، فإنك أجلستني بين قوم لا يذكرون الله تعالى ، فخشيت أن ينزل بهم خسف وأنا معهم ، فقلت : إن هذه الأمة رفع عنها الخسف إكراماً لنبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت : إن رفع عنها خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب ؟ فسررتُ بجوابها فأعتقتها ثم تزوجتها .

● **أخي الكريم وأختي الكريمة !** انظر إلى فكرة الجارية المسلمة المؤمنة وذكاءها ، وإلى قولها بخسف القلوب ، وحبها بذكر الله تعالى وهي في السوق أو الطريق .

ثم انظر إلى فكرة النملة المؤمنة وذكاءها ، وقولها لسيدنا سليمان ﷺ : «إني لم أرد حطم النفوس ، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ، أو يفتنن بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر» الذي فيه لذة للشاربين ، ومن لم يذق لم يدر .

ثم قارن بين هاتين الأختين المؤمنتين وفكرهما في الآخرة ، وحبهما بذكر الله ، ثم قارن بينك وبينهما في فكر الآخرة والاستعداد لها ، ولا تكن أعجز من النملة والجارية الحبشية في ذكر ربك – حيث كنت – الذي أثنى على قوم فقال : ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾ . النور : ٣٧ .

فلا بد من تدارك الأمر والإستعداد للآخرة بالتوبة والاستغفار ، قبل نزول ما نزل بالقوم الأشرار ، نعوذ بالله من ذلك .

● **وقول النملة** : «ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر» قال أبو طلحة : ما هي كلمة قالتها النملة ، ولا تمثيل فقط ، بل يؤيده النص القطعي والظني من كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

فقد قال تعالى : ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ الإسراء : ٤٤ .

وفي الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي وابن أبي حاتم (وابن ماجه) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «قرصت نملة نبياً من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه من أجل نملة واحدة : أحرقت أمة من الأمم تسبح (الله) . ذكره السيوطي رحمه الله في الدر المنثور : ٤ / ١٨٣

● ومن الغرائب ما روى الدار قطني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لا تقتلوا النملة ، فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى ، وإذا هو بنملة مستلقية على قفاها ، رافعة قوائمها تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ، ولا غنى لنا عن فضلك ، اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين ، واسقنا مطراً تنبت لنا به شجراً ، وأطعمنا ثمراً ، فقال سليمان عليه السلام لقومه : «ارجعوا فقد كفينا وسقينا بغيركم» ذكره في المرقاة : ٨/ ١٥٠ .

● النملة والحوت ليصلون على معلم الناس الخير فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : ذكرلرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم ، فقال رسول الله ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال :رسول الله ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض - من الإنس والجن وجميع الحيوانات - حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» رواه الترمذي ورواه الدارمي عن مكحول مرسلا كما في المشكاة كتاب العلم .

● ولما أننا ذكرنا في هذا الفصل بعض القصص والروايات المتعلقة بالحيوانات مثل الذئب والبقر والحمار والكلب و الهدهد والنمل والحوت ، فكانت هذه الحيوانات تدعو الناس إلى رب الناس ، وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر - كما ذكرناه - فمن الوفاء أن نذكر ههنا بأن عشرة من الحيوانات يدخلون الجنة مع المؤمنين .

● ففي «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» ٢ / ٣٧٥ : روى أنه يدخل الجنة مع المؤمنين على ما قال مقاتل عشرة من الحيوانات : تدخل الجنة ناقة صالح ، وعجل إبراهيم ، وكبش إسماعيل ، وبقرة موسى ، وحوت يونس ، وحمار عزير ، ونملة سليمان ، وهدهد بلقيس ، وكلب أصحاب الكهف ، وناقة محمد - صلى الله عليهم وسلم أجمعين - فكلهم يدخلون الجنة . ذكره في مشكاة الأنوار اهـ . اللهم ادخلنا الجنة الفردوس مع الأبرار، آمين .

● قال أبو طلحة : وفي هذا المذكور عبرة لمن اعتبر :

فمن العار والخجل : إن دخل الكلب الجنة ومربي الكلب ومالكه لا يدخلها ، وقد خُلقتْ الجنة له ، فقال تعالى : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ الزخرف : ٣٢ .

ومن العار والخجل : إن دخل الحمار الجنة ، ويقال لمالكه الأثيم : ﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوها ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾ .

ومن العار والخجل : إن دخلت البقرة الجنة ، وآكل لحمها ، وشارب لبنها ، يقذف في نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة .

ومن العار والخجل : إن دخلت الحوت الجنة ، وصائدها وآكل لحمها الطري يقذف في النار .

ومن العار والخجل : إن دخل الكبش الجنة ، ويقال لمالكه يوم التغابن : ﴿ ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ﴾

ومن العار والخجل : إن دخل العجل الجنة ، ويقضىٰ لمالكه بالنار .

ومن العار والخجل : إن دخلت النملة الضعيفة الجنة ويسحب هذا القوي الجسيم إلى النار .

ومن العار والخجل : إن دخلت ناقة الله الجنة ، ويقضى لعبدالله بالنار والعار .

● وكل ذلك بسبب غفلة الإنسان عما خلق لها وهي العبادة ، وتمرده عن الطاعة ، وإيثاره الدنيا على الآخرة ، وقال تعالى : ﴿ فأما من طغىٰ وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوىٰ ﴾ النازعات : ٣٧-٣٩ .

وقدنسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله : «الناس نيام ، إذا ماتوا انتبهوا» .

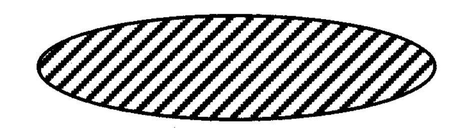
وقال الذهبي في الكبائر : كن كيف شئتَ ، فبين يديك الحساب والزلزلة ، ونعّم جلدك فلابد للديدان أن تأكله ، فبادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .اهـ ينبه أحدهم ويقول :

عمرك بالحمية أفنيته خوفاً من البارد والحار
فكان أولى لك أن تتقي من المعاصي حذر النار

● «اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين ، وكثر الأنين ، وبكى علينا الحبيب ، ويئس منا الطبيب ، اللهم ارحمنا إذا وارانا التراب ، وودعنا الأحباب ، وفارقنا النعيم ، وانقطع النسيم ، اللهم ارحمنا إذ نُسي اسمنا ، وبلي جسمنا ، واندرس قبرنا ، وانطوى ذكرنا ، اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر ، وتبدئ الضمائر ، وتنشر الدواوين ، وتحشر الموازين ، اللهم يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم برحمتك نستعين . آمين يارب العالمين .

● ففي هذه الروايات - التي تدل على أن الجن والحيوان والطير كان يدعو الناس إلى رب الناس - عبرة لمن ادعى الإسلام ، وشهد بالشهادتين ، ودعواه أنه يحب الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه .

● فلا تكن أيها المسلم ! ويا ساكن الحرم ! أعجز من الجن والبقر والحمار والطيير والكلب والنمل في الدعوة إلى الله ، ففي ذلك كفاية لمن كان له قلب .



الفصــل الخــامس

إنعـام الباري على من نصر دينه في الدنيا

● قال الله تعالى في كتابه : ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ ونصرة الله هو نصرة دينه سبحانه بطريق الدعوة والعمل بما جاء به رسوله الكريم صلوات الله وسلامه ، فما نال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الفضل والثناء المذكور في الكتاب والسنة ، والذي شهدت به الأعداء ، إلا بنصرة دين الله في الأرض ، وإتباع له صلى الله عليه وآله وسلم في الشدة والرخا ، وإيثار دار البقاء على دار الفناء ، حتى سخر الله لهم عدداً من المخلوقات ، كخضوع الأسد ، وتكليم الذئب لراع ، وتسخير البحار ، وإطاعة النيران ، وإضاءة العرجون ، وإظلال السحاب ، ونزول الغيث بالدعاء ، وتحول الغصن سيفاً وغير ذلك ، وكان ذلك من الكرامات التي يؤيد الله بها بعض عباده الصالحين .

● وكان آنذاك إذا خاطب أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم - حيواناً - ويقول : «يا أبا الحارث - كنية الأسد - أنا مولى رسول الله ﷺ ، وكان من أمري كيت وكيت ، فكان يقبل الأسد له بصبصة ويهوي إليه ، ويخدمه على ما يريد القائل الخارج لإعلاء كلمة الله .

هذا حال الحيوان في امتثاله لأمر صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فما قولك في امتثاله بأمر النبي ﷺ نفسه ؟! هل يرفضه ؟ كلا ! لا ينكره ولا يرفضه بمشيئته سبحانه . ولنا في ذلك عبرة وعظة .

قصة خضوع الأسد لمن خرج لإعلاء كلمة الله

● وقصة خضوع الأسد هذه أخرجها الحاكم ٣ / ٦٠٦ عن محمد بن المنكدر ، أن سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها ، فركبتُ لوحاً من ألواحها ،

فطرحني اللوح في أجمة - المكان الذي يوجد فيه القَصَب - فيها الأسد ، فأقبل إليّ يريدني ، فقلت : يا أبا الحارث ! أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فطأطأ رأسه ، وأقبل إليّ ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ، ووضعني على الطريق ، وهمهم - أي صات صوتا خفيفا - فظننتُ أنه يودعني ، فكان ذلك آخر عهدي به .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (ق ١ ج ٢ ص ١٧٩) عن ابن المنكدر ، قال : سمعت سفينة ، فذكر نحوه ، وهكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٦٩ ، والدلائل ص ٢١٢ عن ابن المنكدر عن سفينة ، وأخرجه ابن منده كما في البداية ٥ / ٣١٦ والطبراني كما في المجمع ٩ / ٣٦٦ .اهـ

● وأخرج البيهقي عن ابن المنكدر : أن سفينة أخطأ الجيش بأرض الروم ، أو أسر في أرض الروم فانطلق هاربًا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا الحارث ! إني مولى رسول الله ﷺ ، كان من أمري كيت وكيت ، فأقبل الأسد يبصبصه - يحرك ذَنَبه له - حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوته أهوى إليه ، ثم أقبل يمشي إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ، ثم رجع الأسد عنه . كذا في البداية ٦ / ١٤٧ ، وشرح السنة رقم : ٣٧٣٢ .

● قال أبو طلحة : و قصة سيدنا سفينة رضي الله عنه هي في الوقت نفسه تدل على الإدراك والتمييز الذي كان في ذلك الحيوان ، وأدرك كلامَ سفينة محب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وخضع له ، وأطاع من أطاع الله ورسوله ﷺ حينما خرج لإعلاء كلمة الله وأخطأ الطريق ، ولم يؤذه بل أعانه ونصره على الرجوع إلى الجيش - وقد قال تعالى : ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ - فسبحان من ألقى في الحيوان حب محبّ المصطفى ﷺ وطاعته .

أيها المسلم ! إذا لم تسطع أن تخرج لإعلاء كلمة الله ولم تستطع أن تدعو الناس إلى رب الناس ، فلا تكن أعجز من الحيوان في نصرة الداعية إلى الله الذي خرج من بيته لإعلاء كلمة الله . فأعانه الحيوان في مهمته ولم يؤذه وفقنا الله الجميع لنصرة دينه ولمن نصر دينه .

خضوع الأُسد والنمور والفهود لسيدنا موسى ﷺ

● وهناك قصة أخرى عجيبة في خضوع الحيوانا ت المختلفة لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام حينما أتيا إلى من ادعى وقال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ - لعنه الله - يدعوانه إلى ربه الأعلى جلت عظمته وهي كما ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٦٥ مفسراً لقوله تعالى :

﴿فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول رب العالمين ○ أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ الشعراء : ١٦-١٧ .

قوله : ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي أطلقهم وخل سبيلهم حتى يسيروا معنا إلى فلسطين ولا تستعبدهم ، وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة ، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا : (٦٣٠٠٠٠) .

فانطلقا إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه ، فدخل البواب على فرعون فقال : ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين ، فقال فرعون : أيذن له لعلنا نضحك منه ، فدخلا عليه وأديا الرسالة .

● وروى وهب وغيره : أنهما لما دخلا على فرعون ، وجداه وقد أخرج سباعاً من أسد ونمور وفهود يتفرج عليهما ، فخاف سواسها أن تبطش بموسى وهارون فأسرعوا إليها ، وأسرعت السباع إلى موسى وهارون ، فأقبلت تلحس أقدامهما ، وتبصبص إليهما بأذنابها ، وتلصق خدودها بفخذيهما ، فعجب فرعون من ذلك فقال : ما أنتما ؟ قالا : ﴿إنا رسولُ ربِّ العالمين﴾ فعرف موسى لأنه نشأ في بيته ؛ فـ﴿قال ألم نُربِّكَ فينا وَليداً﴾ على جهة المنِ عليه والإِحتقار . أي ربيناك صغيراً ولم نقتلك في جملة من قتلنا ﴿ولَبِثتَ فينا من عُمُرِك سِنينَ﴾ فمتى كان هذا الذي تدعيه ؟! اهـ ما ذكره القرطبي .

● قوله : «فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه» قال أبو طلحة : (أنظر إلي صبر الداعية إلي الله وتضحيته في دين الله وحرصه على إصلاح عباد الله البعيدين - عن رحمة الله رب العالمين - الضالين المضلين ، قام عليه السلام على باب رجل واحد يدعوه إلى الله وهو يأبي الخروج إليه ، ولا يؤذنه للدخول

عليه ، فهل نجد فينا هذا الحرص لسلطان الأديان ، دين الله الإسلام بالنسبة لغير المسلمين حتى يدخل هؤلاء في دين الله أفواجاً ويكون الدين كله لله ؟ أو لإخواننا المسلمين الغارقين في الغفلة والسكرة أن يدخلوا في السلم كافة ويؤمنوا بالله ورسوله حق الإيمان ، و ربهم يدعوهم إلى ذلك ويقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ البقرة : ٢٠٨ .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ﴾ النساء : ١٣٦ .

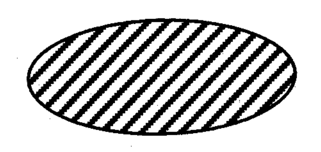
فهل من مجيب ؟ وفقنا الله الجميع لما يحب ربنا ويرضى .

● **فقوموا وقولوا يا ساكني الحرمين** كما قال آباؤكم رضي الله عنهم وهم أول دعاة من أمة محمد ﷺ فلبوا والله وقالوا : ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ المائدة : ٨٤ .

ثم اجتهدوا فيه عملا ، واعملوا فالدين قول وعمل . حتى يصدق عليكم قوله سبحانه كما صدق ذلك في حقهم : ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ المائدة : ٨٥ .

● وادخلوا في باب الدعوة إلى الله تفلحوا ، وإن لم تفعلوا ، واعلموا أنه قادر على أن يفوض هذا الأمر العظيم إلى الحيوانات فيدعوكم إلى ربكم حتى يكون الدين لله ، وهو على ذلك قدير ، فلا ريب فيه ولا نكير .

رزقنا الله أشواق الأنبياء والصالحين الداعين إلى الله ، وأذاقنا أحوالهم وأخلاقهم ، وأحيانا على طريقهم ، وأماتنا على محبتهم ، وحشرنا في زمرتهم آمين يارب العالمين .



الفصل السادس

تجار الحرمين وواجبهم نحو الحجاج والمعتمرين

✪ اعلموا يا معشر التجار ! أنه سبحانه خلق الجن والإنس لعبادته لا لاحتياجه إليهم كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يُطعمون ﴾ الذاريات : ٥٦ -٥٧ .

واعلم أيضاً أن أبانا إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما أسكن بعض ذريته بجوار بيت الله ، فأول ما قصد بذلك ورغب فيه إلى الله : أن يأتمنهم وأن يوفقهم لإقامة الصلاة فدعا لهم قائلا : ﴿ ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ إبراهيم : ٣٧ .

فقدّم أبونا إبراهيم ﷺ في دعائه : الصلاةَ على جميع الفوائد الدنيوية وخصها من جملة الدين لفضلها فيه - أي في بيته سبحانه - ولأن الصلاة هي وحدها التي إذا أدِّيت بخشوع وبمراعات آدابها : تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما قال تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ العنكبوت : ٤٥ ، وتسد بها جميع أبواب الفساد في الأرض الذي من أسبابه : (١) المال -الذي هو رأس التجارة - (٢) والأرض (٣) والمرأة ، وما يقع الفساد في الأرض غالبا إلا بهذه الأشياء الثلاثة فالصلاة قامعة لهذا الفساد -إذا كانت الصلاة صلاة - كما في قوله تعالى المذكور ، لذا قدم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الصلاة في الدعاء في جميع الأمور الدينية والدنيوية . والله أعلم .

● **فالحرم المكي والمدني** : مكان عبادةٍ ، وتفرغٍ لله تعالى ، وإقبالٍ عليه ، قبل أن يكون موضع تجارة . قاله العلماء .

قال بعض السلف : كم من رجل بخراسان . وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به .كما في شرح «إحياء العلوم» ٤ / ٢٨٠ .

وذكر ابن وهب في جامعه عن مالك أن آدم عليه السلام لما أُهبط إلى الأرض قال : يا رب هذا أحب إليك أن تُعبدَ فيها ؟ قال : بل مكة . تفسير القرطبي ٩ / ٢٤٤ .

✪ **هــذا** وكما ذكر لي أحد ساكن الحرم حاله في التجارة . ومعاملات الناس مع وفد الله وحجاج بيت الله الحرام ، فقال متأسفا على نفسه :

فتح الله لي باب الرزق بجوار المصطفى ﷺ . وكان الدكان قريبا جدا من الحرم النبوي الشريف ، فأصبح أكثر يومي في الدكان ، فأنتابني الحياء والخجل من رب العزة والجلال من طول الجلوس لحطام الدنيا ، وبما أرى من الاستفادة من الحجاج والمعتمرين الذين هم وفد الله عز وجل ، وضيوف مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أستفيد منهم متاع الدنيا الزائل ، وأجلب نقودهم من جيوبهم إلى جيبي بدلا من تقديم خدماتي لهم بالضيافة والكرم والإسكان ، وقد كان السلف الصالح يخدمونهم ابتغاء وجه الله تعالى ، فكان بعضهم يرون تأجير البيوت للحجاج غير مباح ولا عجب في ذلك ، فقد كان كفار قريش يلزمون أنفسهم على خدمة الحجيج ، منهم من يقوم بالسقاية ، ومنهم من يقوم بالإطعام ، ومنهم من يقوم بالإسكان بدون مقابل ، فيتفاخرون على أعمالهم ذلك .

✪ وأما نحن اليوم فضلا من أن نخدمهم ، نستغل ظروفهم لعدم معرفتهم الأسعار وحاجاتهم إلى الراحة والغذاء ، فنضاعف عليهم قيمة الشيء ثم نتفاخر على ذلك العمل والكسب الجزيل ، والشيطان يفرح ويضحك من عملنا هذا الذي زينه لنا ، وأشغلنا فيما أراده منا ، ألا نعلم بأن الله يرانا ومعاملتنا مع ضيوفه سبحانه الذي يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد ما أظلم عليه الليل ، وأشرق عليه النهار ، لا تواري منه سماءٌ سماء ، ولا أرض أرضاً ، ولا بحر ما في قعره ، ولا جبل ما في وعره ، وهو الذي لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟

✪ **وأقر بعض التجار وقالوا** : والله اكتسبنا من الحجاج ملايين ، ولكن ما وجدنا البركة فيه ولا شيئا من الصحة والطمأنينة التي تنال بخدمة ضيوف الرحمن .

✪ فعلى سبيل المثال : سلعة قيمتها عشرة ريالات ، فنزيد عليها مثلها فتصبح عشرون ريالاً حتى الخمسينِ والمائة ، وكذلك الإيجار ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ . أليس هذا غبناً فاحشاً شرعاً ؟ وأليس هذا يدل على أنه أقصى حدود الحرص والهلع والطمع في حب المال الذي يسبب العذاب في الدنيا والنار في الآخرة ، وذلك لمن آثر الدنيا على الآخرة كما أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى قائلا : ﴿فأما من طغى

وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى﴾ النازعات : ٣٩ .
وقال تعالى : ﴿فلا تُعجبُك أموالُهم ولا أولادُهم إنما يريد الله ليعذِّبهُم بها في الحياة الدنيا ...﴾ التوبة : ٥٥ .
وقال تعالى : ﴿بل تُؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ الأعلى : ١٦-١٧
وقال تعالى : ﴿وتحبُّون المال حباً جماً﴾ الفجر : ٢٠ ، أي تحبون المال حبا كثيراً فاحشاً خارجاً عن الحد . ذكره ابن كثير رحمه الله .
✪**فهل يحب التاجر لنفسه** مثل هذه المعاملة ؟ وقد قال ﷺ عن الحلف والتأكيد : «والذي نفسي بيده ! لا يؤمن عبد حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه » رواه البخاري ومسلم كما في المشكاة «باب الشفقة والرحمة على الخلق» .
فإذا لا يحب التاجر لنفسه مثل هذه المعاملة فكيف بضيوف الرحمن ؟ وقد قال تعالى : ﴿ويل للمطففين ○الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ○وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ○ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ○ليوم عظيم ○ يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ المطففين : ١-٦ من خسر فيه أدخل ناراً حامية ؟ أعاذنا الله من ذلك .
✪هذا في المعاملات ، وأما من ناحية الأخلاق فإنها متدنية ، فبعض الناس يسلط عليهم لسانا لاسعا ، يجرح فؤادهم ، أليس هو في سبيل الله ؟ إنه قد خرج لأداء فريضة الحج ، يبذل لأجلها المال الكثير والجهد البالغ ويغترب عن أهله وذويه إنه جاء من مكان سحيق ، وقد ساقه الإيمان إلى الحرمين الشريفين ، وأجلبه حبُّ البيت العتيق ، والنبي الشفيق ﷺ ، لا يعرف لغتك ، ولا أنت تعرف لغته إلا لغة الإشارات ، ويجهل كلياً أحوال بلدتك وظروفها الطبيعية ، يمشي بين الناس بقلب منكسر - ألا إنه سبحانه عند المنكسرة قلوبهم - لا يجد من يعينه ولا من ينصره ، مع هذا كله تقابل أخاك الغريب بوجه عابس وخلق دنيء - إلا ما رحم الله - .
✪**ما أجود ما بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم التجار قائلا** : «التاجر الصدوق الأمين - المسلم - مع النبيين والصديقين والشهداء - يوم القيامة - » رواه الترمذي والدارمي والدارقطني ، وورواه ابن ماجة عن ابن عمر ، قال الترمذي : هذا حديث غريب كما في المشكاة كتاب البيوع «باب المساهلة في المعاملة» .

● وروى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«إن رجلا كان فيمن كان قبلكم ، أتاه الملك ليقبض روحه فقيل له : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم ، قيل له : أنظر ، قال : ما أعلم شيئا غير أني كُنت أبايع

الناس في الدنيا وأجازيهم - أي أحسن إليهم حين أتقاضاهم - فأنظر الموسر - أي أمهله - وأتجاوز عن المعسر - أي أعفوه - فأدخله الله الجنة» متفق عليه .

● واعلموا يا معشر التجار إن الله تعالى يقول : ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾ النساء : ١٢٧ ، ففيه حث على فعل الخير وترغيب فيه :

● حكي أن امرأة جاءت إلى حانوت أبي حنيفة تريد شراء ثوب ، فأخرج أبو حنيفة ثوباً جديداً قيمته أربعمائة درهم ، فقالت المرأة : إني امرأة ضعيفة ولي بنت أريد تسليمها إلى زوجها ، فبعني هذا الثوب بما يقوم عليك .
فقال أبو حنيفة : خذيه بأربعة دراهم ، فقالت المرأة : لِمَ تسخر بي ؟ فقال أبو حنيفة : معاذ الله أن أكون من الساخرين ، ولكني كنت اشتريتُ ثوبين فبعتُ أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم ، فبقي هذا علي بأربعة دراهم ، فأخذت المرأة الثوب بأربعة دراهم ، ورجعت مستبشرة فرحة» نقلناه من «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٣٨٠» .
هكذا بشّروا ويسّروا على إخوانكم المسلمين في كل مكان ، أيها التجار ! ولا تنفِّروهم من كانوا وحيث كانوا ، وهو من هدي نبي عظيم : سيد الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد زينه ﷺ ربُّ عظيم ، بخُلق عظيم في كتابه العظيم وقال : ﴿وإنك لعلى خُلق عظيم﴾ . القلم : ٤ .

● و اغتنموا الحسنات صغيرها وكبيرها لأن الله تعالى يقول : ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ النساء : ٤٠ .

● واعلم أيها الأخ الكريم أن كلمة ﴿يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ هي كلمة الرب لا العبد ، وهو يعلم عظمتها ومضاعفتها ليس غيره ، والإنسان قاصر عن إدراك كنه هذه العظمة والمضاعفة :

● كما حكي أن أبا منصور بن ذكير كان رجلاً زاهداً صالحاً ، فلما دنت وفاته أكثر البكاء ، فقيل له : لم تبكي عند الموت ؟ قال : أسلك طريقاً لم أسلكه قط .
فلما توفي رآه ابنه في المنام في الليلة الرابعة ، فقال : يا أبت ما فعل الله بك ؟ فقال : يا بني إن الأمر أصعب مما ترى أي تظن ، لقيتُ مَلكاً عادلاً أعدل العادلين ، ورأيت خصماء مناقشين ، فقال لي ربي : يا أبا منصور ! قد عمَّرتك سبعين سنة

فما معك اليوم ؟ فقلت : يا ربي ! حججتُ ثلاثين حجة ، وتصدقتُ بأربعين ألف درهم بيدي ، وغزوتُ أربعين غزوة ، فقال : لم أقبل منك ، فقلت : إذاً قد هلكتُ ، فقال الله تعالى : ليس من كرمي أن أعذِّب مثل هذا يا أبا منصور ، أما تذكر اليوم الفلاني نحّيتَ الحجر والأذى عن الطريق ، كيلا يعثر بها مسلم ، فإني قد رحمتك بذلك ، فإني لا أضيع أجر المحسنين» . حكاه صاحب (تنوير الأذهان ١ / ٣٨٣) .

● ثم قال : فظهر من هذه الحكاية أن دفع الأذى عن الطريق ، إذا كان سبباً للرحمة والمغفرة ، فلأن يكون دفع الأذى عن الناس ، نافعاً للدافع يوم الحشر أولى ، خصوصاً عدم الأذية للمؤمنين ، وخصوصا للأهل والعيال وضيوف رب الجلال «والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» أخرجه الشيخان . اللهم اجعلنا من النافعين لا من الضارين ، آمين يارب العالمين .اهـ بتصرف يسير .

● قال الإمام الغزالي : الميزان حق ، ووجهه أن الله تعالى يُحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله ، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد ، حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو تضعيف الثواب .

وروي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريَه الميزان ، فأراه كل كفة كما بين المشرق والمغرب ، فغُشيَ عليه ، ثم أفاق فقال : إلهي ! من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات ؟ فقال : يا داود ! إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة . وفي الحديث : «كلمتان خفيفتان على اللسان ، **ثقيلتان في الميزان** ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » رواه البخاري ومسلم والترمذي ، وهو آخر حديث خُتم به صحيحُ البخاري وانظر الفتح الكبير ٢ / ٣٣٢ .

✪فيا أخي التاجر ! اغتنم الحسنة صغيرها وكبيرها ، واغتنم الحياة قبل الموت ، وكن مثل هؤلا الأبرار ، واكتسب الدنيا والدين والجنة . وفقنا الله الجميع .آمين .

✪ ذكر القرطبي في تفسيره ٥ / ١٠٢ : ويكره للتاجر أن يحلف لأجل ترويج السلعة وتزيينها ، أو يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عرض سلعته ، وهو أن يقول : صلى الله عليه وسلم ! ما أجود هذا - أو كما هو معروف في الحجاز اليوم بقوله : «صل على النبي» - .اهـ ما ذكره القرطبي رحمه الله اهـ .

ويستحب للتاجر ألا تشغله تجارته عن أداء الفرائض ، فإذا جاء وقت الصلاة ينبغي أن يترك تجارته - ويذهب إلى الصلاة لا إلى غيرها كما يفعله بعض الأشقياء الذين غلبت عليهم الدنيا وهم بجوار بيت الله وبجوار حبيب الله ﷺ - حتى يكون من أهل هذه الآية : ﴿رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ النور : ٣٧ - اهـ.

● فيا معشر التجار وإخوتي في الله اعلموا أنه لا بد أن يكون أهل الحرمين الشريفين (قدوة لغيرهم من المسلمين في دينهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وأحوالهم وآدابهم وسائر تصرفاتهم ، كيف وهم يجاورون صاحب الشريعة (ﷺ) - وبيت الله الحرام - ويشاهدون ليل نهار المآثر والدلائل على قيام الإسلام في أيامه الأولى ، وأينما ساروا يرون ما يذكّرهم بدين الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، ومثل هذا له تأثير كبيرٌ جدا لمن كان له قلب) مابين القوسين من «فضائل المدينة المنورة» لملا خاطر .

فعلينا أن نتقي الله ونتوب إليه ، ونعاملهم معاملة حسنة بعزيمة صادقة يرضى بها الله عنا ، ونكون لهم قدوة حسنة يرجعون بها إلى بلادهم ، وينشرون الهداية في بلدانهم ، ويبشّرون أهلها ومواطنيها عن أهل الحرمين الشريفين ، وبما يمتازون من الصفات الحميدة من الأخلاق والكرم والمعاملة النزيهة ، ودينهم القرآن والسنة كأنه مجسم في صورهم في الأرض ، فنكون نحن هداة ودعاة للعلم ، وموسم الحج من الفرص العظيمة لذلك .

✪ومما يجب على أهل المدينة : (وكذلك أهل مكة) : القيام بشكر النعمة ، بحسن إستقبال القادمين ، وحسن معاملتهم ، وصادق مودتهم ، حيث إن هذه هي صفة الأنصار من قبل ، كما قال الله عنهم : ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ الحشر : ٩ ، والتواضع وحسن العشرة ، وإيثار الغير على النفس ، حيث هذه صفتهم أيضاً كما قال تعالى : ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ الحشر : ٩ ، ولكي ينالوا الفلاح من الله تعالى . (من فضائل المدينة لملا خاطر) .

● ألا ترى أنه لما قام النبي ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، فذابت بذلك عصبيات الجاهلية ، فلا حمية إلا للإسلام ، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه ، وكانت عواطف الأخوة والإيثار ؛ والمواساة ، والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة ، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال ؛ وفي هذه الأخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية فأين نبحث عن هذه العدالة ؟

ولم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دونت على الورق فحسب ، ولا كلمات باللسان

فقط ؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب ، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال ، لا كلاماً يشرثر به اللسان ، إنها مؤاخاة في القول والعمل ، والنفس والمتاع والأملاك ، في العسر واليسر . ينظر «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر ٢/١٦٥ . و«فقه السيرة» لمحمد الغزالي ، ص ١٩٢ .

● ومن أروع الأمثلة لذلك ما رواه البخاري في صحيحه «آخى رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع ، فقال سعد : قد علمتْ الأنصار أني من أكثرها مالاً ، فسأقسم مالي بيني وبينك نصفين ، ولي امرأتان ، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، فقال عبدالرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ، ثم تابع الغدوة ثم جاء يوماً وبه أثر صُفرة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «مَهْيَمْ ؟» ، قال : تزوجت امرأة من الأنصار ، فقال : «ما سقت فيها ؟» قال : وزن نواة من ذهب ، أو نواة من ذهب ، فقال : «أولم ولو بشاة» . البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، ٧/١١٢ ، حديث رقم : ٣٧٨٠-٣٧٨١ .

● قوله ﷺ : «مَهْيَمْ ؟» كلمة استفهام ، أي : ما حالك ، وما شأنك . كما في «القاموس المحيط» .

وهذه المؤاخاة حكمة فذة ، وسياسة صائبة ، وحلاً رائعاً لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون . هذا كله من كتاب «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى» .

✪ فهذا هو منهج أهل مكة والمدينة السابقين كما يصف النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر الأنصاري كان لسان الأنصار وشاعرهم رضي الله عنه ، وهو القائل يفخر بقومه من أبيات كما في الإصابة ٦/٢٤٣ :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة	ويوم حنين والفوارس في بدر
نصرنا وآوينا النبي ولم نخف	صروف الليالي والعظم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا : مرحباً بكم	وأهلاً وسهلاً قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا	كقسمة ايسار الجزور على الشطر

● **ويا معشر التجار** : لسنا نقول : بأن تتركوا أنواع المكاسب والتجارات بأنواعها

ولكن نقول : اطلبوها من طرقها المشروعة واطلبوها من الحلال واجتنبوا الشبهات والحرام ، واجعلوا مراقبة الله تعالى نصب عينيكم لتستحقوا الحلاوة الحقيقية والبركة الموعودة من صاحب الشريعة المحمودة صلوات الله وسلامه عليه .

فعليكم أن تفكروا وتأملوا ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن هذا المال خضرة حلوة مَن أصابه بحقه بورك له فيه ، ورُب متخوّض فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس له يوم القيامة إلا النار» كما في «تحفة الأحوذي بشرح الترمذي رقم : ٢٤٨٠ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وفي هذا الحديث دليل على أن كسب الدنيا ليس بمذموم بل يبارك له في ماله إذا أصابه بحقه ، لكن الخوض في كسبها وجمعها من أي سبيل كانت هذا هو الخطر ، وهذا هو المتخوِّض الذي أشار إليه صاحب الحرمين الشريفين صلوات الله وسلامه عليه بقوله : «ليس له يوم القيامة إلا النار» .

✪ ألا ترى أن الله سبحانه يخاطبنا ويقول : ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ الملك : ١٥ . أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات . قاله ابن كثير رحمه الله .

وكذلك يخاطبنا ربنا ويقول : ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ الجمعة : ١٠ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى ٤ / ٣٦٨ : لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والإتبغاء من فضل الله .. اهـ .

● **هنا أقول : يا معشر التجار** لا شك أن الله سبحانه قال : (١) ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها﴾ أي سافروا حيث شئتم من أقطار الأرض وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات .

وكذلك قوله سبحانه : (٢) ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ هو إذن لنا بعد الفراغ من الصلاة في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله . وهو طلب الرزق بالبيع والشراء .

وكذلك لا شك أن آباءنا الأولين كانوا يسافرون في أقاليم الأرض وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات كما قال تعالى : (٣) ﴿وآخرون يضربون في الأرض

يبتغون من فضل الله﴾ المزمل : ٢٠ (أي) ... ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله ، في المكاسب والمتاجر .قاله ابن كثير رحمه الله .

● وما أجود ماذكره القرطبي في حق التجار في تفسير الآية المذكوره :

١٩ / ٣٧ وقال : «سوّى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله ، والإحسان والإفضال ، فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمنزلة الجهاد ؛ لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله» .

وروى إبراهيم عن علقمة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من جالب يجلب طعاماً من بلد إلى بلد ، فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عندالله منزلة الشهداء» ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ المزمل : ٢٠ .

وعن ابن عمر : ما خلق الله موتة بعد الموت في سبيل الله أحب إليّ من الموت بين شعبتي رَحلي أبتغي من فضل الله ضارباً في الأرض . اهـ ماذكره القرطبي .

هذا ما قيل في إباحة التجارة المحمودة والمقصودة وفضلها في ديننا السني الحنيف .

ولكن هناك شيء أعجب منه وأبقىٰ

● وأولىٰ وأعلىٰ وأسنىٰ وهو : أنه سبحانه خاطبنا وأرشدنا إلى إكتساب الدنيا وطلبها بقوله : (١) ﴿فامشوا﴾ و (٢) ﴿فانتشروا﴾ (٣) ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ كما مر في الآيات المذكورة أعلاه .

والمعنى ظاهر بأن المراد به المشي العادي والانتشار العادي ، وليس في هذه الآيات المذكورة ما يدل على الاستباق والإسراع والإنشغال في طلب الدنيا ، والاستعجال والمبادرة في كسبها كما نراه اليوم .

✪ولكنه سبحانه لما خاطبنا ودعانا إلى اكتساب الآخرة والجنة : حضنا وشجعنا على الإستعجال والمسارعة والمبادرة والمسابقة إليها فقال تعالى لعباده :

✪ (١) ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ سورة الحديد : ٢١ .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ٤ / ٣١٤ : ... فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات ، من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب

والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى ﴿ سابقوا إلى مغفرة ... ﴾ اهـ .

✪ (٢) وقال : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ آل عمران : ٣٣ .

وقال ابن كثير ١ / ٤٠٥ : ثم ندبهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل الدرجات اهـ .

✪ (٣) وقال : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ البقرة : ١٤٨ .

قال القرطبي في تفسيره ٢ / ١١٢ : أي بادروا ما أمركم الله عز وجل من استقبال البيت الحرام ، وإن كان يتضمن الحث على المبادرة والاستعجال إلى جميع الطاعات بالعموم اهـ .

✪ (٤) وقال : ﴿ ففروا إلى الله ﴾ الذاريات : ٥٠ .

أي فروا من أنفسكم إلى ربكم ، وقال أيضاً : فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم . ذكره القرطبي .

● **أحبابي وأصحابي** هذا هو الفرق في اكتساب الدنيا واكتساب الآخرة دعانا إليه خالق الدنيا والقائل في كتابه : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ هود : ٦ .

فهل نجد هذا الفرق في تجارتنا مع الله ، وتجارتنا مع عباد الله ؟ وهل نبادر إلى الخيرات ونسافر لإعلاء كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها كما نسافر ونستبق إلى أقاليم الأرض وأقطارها لجمع هذا الحطام الدنيوي ؟ فاستفت قلبك !

✪ يا للأسف ! صار الأمر على عكس المأمور به تماماً ، نسابق ونبادر ونجري ونفر جميعا إلى جمع حطام الدنيا وكسبها ، ونمشي - وهم قليل - مشي النمل إلى الطاعات ، والحال أن الدين أحرى وأليق أن نستبق إليه ونسافر لنشره في أقطار العالم بأسرها .

● **وينبغي أن تعلم** أنك لا تجد في كتابه سبحانه إشارة ولا آية واحدة التي رغّب الله تعالى فيها في حب الدنيا وزخارفها ، بل حيثما ذكرها الله تعالى قدّم عيوبها وأضرارها على فوائدها .

● **أحبتي وأصحابي** لسنا نقول : اجتنبوا الكسب في الدنيا بل نقول : اكتسبوها بالطرق المشروعة ، وبقلّة الحرص وهلع عليها ، وبتقديم أمور الدين في جميع شئونها .

✪لأنه لا يخفى على العاقل : أن المصباح إذا كانت فتيلته أرفع من مقدارها المعتاد ، يتولد منه الدخان ، فيسود به وجوه بني الإنسان ، وكذلك السقف والجدران ، وقد يكون هذا المصباح سببا لإحراق المكان ، وأهلها من الرجال والنساء والصبيان ، بسبب غفلة الإنسان ، فلا بد أن يكون ضوءه وفتيلته منخفضة معتدلة متوسطة ، وخير الأمور أوسطها .

✪وقال في المرقاة ١٠ / ١٩٠ : وينبغي أن تعلم ! (أن زهرة الدنيا بالنسبة إلى أربابها لعدم حضورهم مع ربها كالسم في الدسم ، والهم في الدرهم . والنار في الدينار ، وربما لا يحسون بها كالمجنون والمجروح في حال ابتداء الجراحة وكالمصروع ولذا قيل :

سوف ترى إذا انكشف الغبار   أفرس تحت رجلك أم حمار   اهـ

● ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم كما ذكره القرطبي رحمه الله :

النار آخرُ دينارٍ نطقتَ به   والهمُّ آخر هذا الدرهم الجاري
والمرء بينهما إن كان ذا ورع   معذّبَ القلب بين الهم والنار

● وقال بعض أرباب الحال :

زيادة المرء في دنياه نقصان   وربحه غير محض الخير خسران

● ذُكر أن إبليس عليه اللعنة يرفع الدنيا كل يوم في يديه فيقول : من يشتري ما يضره ولا ينفعه ؟ فيقول أصحاب الدنيا : نحن . فيقول : لا تَعْجلوا فإنها معيوبة ، فيقولون : لا بأس به ، فيقول : ثمنها ليس بدراهم ولا دنانير ، إنما ثمنها نصيبكم من الجنة ، وإني اشتريتها بأربعة أشياء : بلعنة الله ، وغضبه ، وعذابه ، وقطيعته ، وبعتُ الجنة بها ، فيقولون : يجوز لنا ذلك ، فيقول : أريد أن تُربّحوني على ذلك ؟ وهو بأن توطّنوا قلوبكم على أن لا تدعوها أبداً ، فيقولون : نعم ، فيأخذونها فيقول الشيطان : بئست التجارة . من «تنوير الأذهان ١ / ١٠» .

● قال ابن عباس : يؤتى بالدنيا يوم القيامة ، في صورة عجوز شمطاء زرقاء ، وأنيابها بادية مشوهة خلقها ، وتشرف على الخلائق ، فيقال : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال : هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها ، وبها تقاطعتم ، وبها تحاسدتم وتباغضتم ، ثم تقذف في جهنم فتنادي يارب : أين أتباعي

وأشياعي ؟ فيقول الله تعالى : ألحقوا بها أتباعها» . المرجع السابق : ١ / ٣١٠ .

● قال العلماء : الراغب في الدنيا والمحب لها ميت قلبه ، يعمل الحسنة ولا يجد حلاوتها في القلب .

● كما قال الشيخ أبو عبدالله القرشي رحمه الله : شكا بعض الناس لرجل من الصالحين ، أنه يعمل البر ولا يجد حلاوته في القلب ، فقال : لأن عندك ابنة إبليس في قلبك ، وهي الدنيا ولا بد للأب أن يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ، ولا يورث دخولها إلا فساداً قال الله : «يا داود إن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك ، فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب أبداً » .

● وروي أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه : لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قالوا : ومن الموتى ؟ قال الراغبون في الدنيا ، المحبون لها . ذكره في «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٣٠٣-٣٠٤» .

● ولله در القائل :

يا من يعانق الدنيا لا بقاء لها	يمسي ويصبح مغروراً وغراراً
هلا تركت من الدنيا معانقة	حتى تعانق في الفردوس أبكاراً
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها	فينبغي لك أن لا تأمن النارا

● **النار والدينار** ! وما أدراك ما النار وما الدينار ؟ يخبر عنهما سبحانه قائلا : ﴿ كلا إنها لظىٰ ○ نزّاعة للشوىٰ ○ تدعو من أدبر وتولّى ○ وجمع فأوعىٰ ○ ﴾ المعارج : ١٥-١٦ .

✪ **وقال في النار والدينار وصاحبه** : ﴿ الذي جمع مالا وعدده ○ يحسب أن ماله أخلده ○ كلا ليُنبَذَنَّ في الحطمة ○ وما أدراك ما الحطمة ○ نار الله الموقدة ○ التي تطلع على الأفئدة ○ إنها عليهم مؤصدة ○ في عمد ممددة ﴾ الهمزة : ٢-٩ أى ألهاه ماله بالنهار هذا إلى هذا ، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة . قاله ابن كثير

✪ وقال الحسن البصري : والله ! ليبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلّب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي . ذكره ابن كثير ٣ / ٤٢٨ .

● هذه هي الدنيا والدينار والنار إخوتي في الله ! التي نسافر لكسبها إلى أرجاء الأرض ، ثم نفعل ما نفعل في الديار الأجنبية - والعياذ بالله - حتى نترك الأمور

الدينية من الفرائض والواجبات ولا نبالي ولا نخاف ، ولا نشعر أن أمامنا عقبة الجسر حيث يقال : ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾ الصافات : ٢٤ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● فنسينا ما ذُكِّرنا وتركنا ما أمرنا به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن نتمسك به ونعضَّ عليه بالنواجذ ، وفقدنا ما حصلناه من ميراث آباءنا ، وتفرقنا بعد أن اعتصمنا بحبل الله المتين ، ونقضنا ما عاهدنا عليه في الأيام السالفة ، وضيَّعنا فضلنا وكياننا الذي قد شهدت به أعداؤنا من قبل ، وانشغلنا في الدنيا أكثر وأكثر من ديننا ، ونسينا رازقنا الذي تولى رزقنا ، حتى نسينا هذا النسيان الذي نسيناه ، لا حول ولا قوة إلا بالله وصدق الله العظيم : ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ۝ ما يأتيهم من ذِكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ۝ لاهية قلوبهم ...﴾ الأنبياء : ١-٢ .

✪ فحذار من الوقوع في مثل هذه الحياة لأن فيها مشابهة بالذين قال الله في حقهم ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ الروم : ٧ يعني أمر معايشهم ودنياهم : متى يزرعون ومتى يحصدون ؟ وكيف يغرسون وكيف يبنون ؟ قاله ابن عباس وعكرمة . كما ذكره القرطبي رحمه الله .

ثم قال : قلت : وقول ابن عباس أشبه بظاهر الحياة الدنيا ، حتى لقد قال الحسن : بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن أن يصلي

✪ وقال أبو العباس المبرِّد : قسم كسرى أيامه فقال : يصلح يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس للحوائج .

قال ابن خالَوَيْه : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴿وهم عن الآخرة﴾ أي عن العلم بها والعمل لها ﴿هم غافلون﴾ قال بعضهم :

ومن البليّة أن ترى لك صاحبا	في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله	وإذا يصاب بدينه لم يشعر

● هذا . فلابد أن يكون هناك فرق بيننا وبين أعداء الإسلام في السفر والحضر .

وقال القرطبي ٤ / ٣١ : وفي التنزيل : ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾ .

ثم قــال : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ التوبة : ٧١ .

● فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ؛ فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدعوة إلى الإسلام والقتال عليه . اهـ ما قاله القرطبي .

● ألا ترى أن لأعداء الإسلام أجناد مجندة منظمة منتشرة في الدول الإسلامية

يأمرون فيها بالمنكر وينهون عن المعروف ، ويرغّبون الناس فيما يبعّدهم عن الإسلام ورب الأنام ، أو هم جالسون في ديارهم ويبلّغون رسالات آلهتهم الشياطين بآلاتهم الحديثة يخادعون بها المسلمين المستبصرين ، وقد أخبر سبحانه وتعالى عما يريد هؤلاء ويدعوننا إليه فقال : ﴿ أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ﴾ البقرة : ٢٢١ .

● وقال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارىٰ حتى تتبع ملتهم ﴾ ثم يحذّر من اتبع أهواءهم فقال : ﴿ قل إنّ هدى الله هو الهدىٰ ولئن اتّبعتَ أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولّيٍ ولا نصير ﴾ البقرة : ١٢٠ .

فيا إخواتي في الله ! هذا كافر ، ودينه باطل ، وهو يدعوك إلى الباطل والنار ، طول الليل والنهار بآلاته الحديثة . وأنت على الحق ودينك الحق ، فهل حاولت يوما من الأيام أن تدعوهم إلى الحق ضد محاولاتهم الحديثة والخبيثة ؟

● للأسف ! أن كثيرا من المسلمين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى الكافرين ، ولا حول ولا قورة إلا بالله ، فهل إلى رجوع من سبيل ، قبل نزول عزرائيل .

✪ فيا معشر الإسلام ! أما لنا نصيب في نشر الإسلام (سلطان الأديان) في أنحاء الأرض لقمع ما قدمه أعداؤنا في أرض الله الواسعة لدمار ديار المسلمين وأخلاقهم السماوية السنية ؟

واعلم أنه من صفات الأمة المحمدية كما قال تعالى : (﴿ وممن خلَقنا ﴾ أي : وبعض من خلقنا ، أو وبعض ممن خلقنا ﴿ أمةٌ ﴾ أي : طائفة كثيرة ﴿ يهدون ﴾ الناس ملتبسين ﴿ بالحق ﴾ أي : يهدونهم بكلمة الحق ، ويدلونهم على الاستقامة ﴿ وبه ﴾ أي وبالحق ﴿ يعدلون ﴾ أي : يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون .

● واعلم أن أهل الحق إنما نالوا ما نالوا بهدايتهم للناس ، وعدلهم فيما بين الخلق بعدما كانوا مهديين وعادلين في أنفسهم) . من «تنوير الأذهان ١ / ٥٨٧» .
وقال القرطبي ٧ / ٢٠٩ رحمه الله : وفي الخبر أن النبي ﷺ قال : «هم هذه الأمة» وروى أنه قال : «هذه لكم وقد أعطى الله قوم موسىٰ مثلها» . وقرأ هذه الآية وقال : «إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم» . فدلت الآية على أن الله عزوجل لا يخلي الدنيا في وقت من الأوقات من داعٍ يدعو إلى الحق» اهـ .
وفي الصحيحن عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» ذكره ابن كثير مفسرا لقوله تعالى المذكور .

● فكونوا من هذه الطائفة الحقة - أيها المسلمون - التي أثنىٰ عليها رب السموات السبع والأرضين ، ولا تسوفوا في نصرة دينكم سلطان الأديان ، وانصروا دين محمد ﷺ بالنفس والمال ، لأن الكفر قد أخرج أنيابه مع جنوده المنظمة المنتشرة كالذئب الهجّام ، و اجتمع في ظل الشيطان (وأولئك حزب الشيطان) ، وينفقون أنفسهم وأموالهم الطائلة بالليل والنهار سراً وعلانية ، يشترون بها المسلمين الغافلين الجاهلين في ديارهم وديار غيرهم ليصدّوكم عن سبيل الله ، وينظرون إليكم نظر المغشي عليه من الموت ، فهل أنتم منتهون ؟ ؟؟!

وليس هذا بجديد بل هو من عادات آبائهم الضالين المضلين أخوة القردة وقد قال تعالى : ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا - أي يمنعون الناس - عن سبيل الله - إلى قوله - أولئك هم الخاسرون﴾ الأنفال : ٣٦ الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أموالهم وأنفسهم . قاله المفسرون .
وروي أيضاً كما في «تنوير الأذهان : ٢ / ٢٣» : أن أبا سفيان - قبل أن أسلم - استأجر ليوم أُحد ألفين من العرب على محاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنفق عليهم أربعين أوقية» . اهـ .
وفي موضع آخر من «تنوير الأذهان : ٢ / ٣٧» حيث ذكر قصة إسلام عمر ففيها : « ... فأبو جهل خال عمر ، فلما قام خطب الناس فقال : يا معشر قريش ! إن محمداً قد شتم آلهتكم ، وسفّه أحلامكم ، وزعم أنكم وآباءكم وآلهتكم في النار ، فهل من رجل يقتل محمداً ، وله عليّ مائة ناقة حمراء وألف أوقية من فضة ... الخ .

● فالمقصود من بيان هذا المذكور : أن الكفار وآباءهم كانوا ينفقون أموالهم الطائلة ضد المسلمين من أول يوم بجسارة .

فلذلك نذكّركم أيها المسلمون ونقول : (انظروا إلى الكفار وجسارتهم على الإنفاق لغرضٍ فاسد وهو الصد عن السبيل ، وأقل من القليل من المسلمين من يبذل ماله ولو قليل لجذب القلوب والوصول إلى رضى المحبوب ، فلا بد للمرء من قطع النفس عن مألوفاتها وهو حب المال .

ومن كلمات الجنيد رحمه الله : ما أخذنا الدين عن القال والقيل ، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رجل : يارسول الله ! أي الناس أفضل ؟ قال : «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ...» الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن) مابين القوسين من «تنوير الأذهان ٢ / ٢٢ .

● فيا معشر التجار ويا أهل التراب -أي المال- : فمن يخرج منا من بيته إلى أقطار العالم لكسب الدنيا والتجارة مع الناس ، فهو إن كان يؤمن بالله ورسوله ﷺ والدار الآخرة ويريد أن يلحق بآبائه الكرام ، ويرغب فيما حرضنا عليه ربنا تعالى وقال : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ التوبة : ٧١ :

فعليه أن يخرج من بيته إلى أرض الله لكسب الدين ونشره وللتجارة مع الله ، وينفق فيه نفسه ونفيسه وماله وعرقه ودمه ، حتى يكون الدين كله لله ، كما يخرج لكسب الدنيا وجمعها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، فهل إلى رجوع من سبيل ؟

✪ فهذا هو خير له مما يجمع من حطام الدنيا وزهرتها الفانية لا محالة ، ومن فعل ذلك فهو السابق إلى الخيرات ، والمسارع إلى الجنة التي عرضها السموات والأرض ، والفار إلى الله ، وهذا هو الذي يحب ما يحب الله ورسوله ﷺ . ويدعو إلى ما دعا إليه الله ورسوله ﷺ ، وهذه هي غاية المسلم وأمنيته .

✪ وهذا هو مال المؤمن وسلاحه في الحقيقة الذي يفوز به في الدنيا والآخرة ، وما هو المال الذي يفهمه الإنسان أنه مال ، بل المال هو الذي يفيده في المآ ل ، وهي الأعمال والباقيات الصالحات من الخيرات والحسنات . وفقنا الله الجميع .

● **ولا تنس أيضاً يا من يجمع المال** ولا ينفقه في سبيل رب الجلال أنه كما (يروى أن الله تعالى يضم الأموال الخبيثة بعضها إلى بعض ، فيلقيها في جهنم ويعذب أربابها كقوله تعالى : ﴿يوم يحمىٰ عليها في نار جهنم فتُكوىٰ بها جباههم وجنوبُهم وظُهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ التوبة : ٣٥)مابين القوسين ذكره صاحب «تنوير الأذهان : ٢ / ٢٢»

✪فوالله وبالله وتالله ! لا تجد الروح والراحة ولا حلاوة الحياة وسعادة الآخرة بالمال ولا باللهو والطرب ، كما تجدها بالأعمال الصالحة ، وهذا وعد من الله سبحانه كما قال : ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحيِيَنَّه حياة طيبة ولنجزيَنّهم أجرهم بأحسن ما كانوايعملون﴾ النحل : ٩٧ .

● وصدق أهل الله فيما قالوا : «**أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم**» . إي والله إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون . ومن لم يذق لم يدر .

● هذا ما قيل في أهل الأعمال الصالحة وحياتهم الطيبة ، وإليك ما قيل في أهل المال وحياتهم المعذبة مرتين وهو قوله تعالى : (١) ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ...﴾ التوبة : ٥٥ .

وقال في موضع آخر (٢) : ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا ...﴾ التوبة : ٨٥ . **فانتبه !**

وقال في ضد الأعمال الصالحات والأعراض عنها : ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ طه : ١٢٤ .

● قال ابن كثير في تفسيره ٣ / ١٦٩ : ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي خالف أمري وما أنزلتُه على رسولي - ﷺ - أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ أى ضنكا في الدنيا فلا طمأنينة له ، ولا إنشراح لصدره ، بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة ... اهـ .

هم عطشى فمن يسقيهم شراب الإيمان ؟

● إخوتي في الله ! لا يخفى على أحد من المسلمين اليوم أن تشتتهم الحالي كفاية لخذلانهم ، فعلينا أن نرجع إلى ربنا ونترك الاختلاف في المسائل العلمية الفرعية لكي لا تتوسع الجروح والقروح في الأمة المجروحة .

للأسف ! صارت حالة أكثر المسلمين اليوم : أنهم لا يعرفون حال من يقودهم . ولا يدرون أين يذهبون؟ كذلك والله ! بل كما يقال في المثل للجاهل : أين تذهب؟ قال : معهم ، قيل : فإلى أين ؟ قال : لا أدري . ونعم ما قال الشاعر :

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فهذا هو حال أكثر المسلمين اليوم بأنهم لا يدرون إلى أين ذاهبون؟ فبهذا السبب : صار كلامهم ظلمة ، وعملهم ظلمة ، ومدخلهم ظلمة ، ومخرجهم ظلمة ، والله أعلم بمصيرهم يوم القيامة ءإلي وادي الظلمات والنيران؟ أم إلى وادي الفراديس الجنان ؟

✪هم عطشى فمن يسقيهم شراب الإيمان ؟ ومن يعين هؤلاء الغارقين الغائصين في بحر لُجِّيٍ يغشاهم ظلام من فوقه ظلام ، ومن فوقه سحاب الظلمات والأهواء ، بعضها فوق بعض ، وهم رافعوا أيديهم ورؤوسهم في بحر الظلام ، ولا يظهر منهم إلا الأصابع يشيرون بها كأنهم ينادون : الغوث الغوث ! أيها المسلمون ! نحن الغارقون وأنتم تختلفون إلى الآن فيما بينكم ولا تفهمون ؟

✪ إخوتي في الله ! فهل إلى رجوع من سبيل؟ بأن نترك الاختلاف والمناظرة والمجادلة ونلقيها في سلات الإختلاف فإن ظرفه واسع ، ونجنح للسلم ونستبق إلى الخيرات ، ونختار أسلوب الإستفسار والإستفهام الذي ينحل به الإختلافات ، وتذهب به الأسقام التي بها تلعب بنا أعداء الإسلام ، لكي نخرج نحن ونُخرج إخوتنا الغارقين في بحار الظلام والثبور إلى النور والحبور والسرور ، وما ذلك على الله بعزيز .

● أيها المسلم : كن مفتاحا للخير ومغلاقا للشر ، وكن سحابا ثقالا متراكما في السماء ، تحمل ماء الرحمة والوفاء ، ومن ثَمَّ انظر إلى البلاد الميتة المحرقة للمسلمين في أنحاء العالم ، ثم امطر عليهم مطر الخير والرحمة والبرد ، حتي تُطفأُ النار الموقدة من جهة أعدائنا وأعداء الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه .

● وكن شمساً التي تَسبَح في الفلك وتطلع من هذه الجهة في وقت وتنّور بنورها وضوئها أهل الشرق من كانوا وحيث كانوا في البر والبحر، ثم تغرب وتطلع من جهة أخرى فتجرى في الفلك وتنور بنورها وضوءها أهل الغرب والشمال والجنوب في أوقات أخر، حتى تنوّر بنورها جميع أهل الأرض ومن عليها .

فهذا هو شأن المؤمن الذي نوّر الله قلبه بنور الإيمان ، والذي محياه ومماته لله رب العالمين ، فيجري في الأرض كالشمس و يطلع من هذه الجهة في وقت وينوّر بنور إيمانه أهل الشرق من كانوا وحيث كانوا في البر والبحر ، ثم يطلع من جهة أخرى ، فيجرى في الأرض وينور بنور إيمانه أهل الغرب والشمال والجنوب في أوقات أخر، حتى ينور بنور إيمانه جميع أهل الأرض ليكون الدين كله لله ، فهذا هو معنى قول الشاعر الذي يصف المؤمنين من أهل الإيمان باللغة الأردية ويشبهه بالشمس في جريه وإيصال نوره وضوئه إلى أهل الأرض ومن عليها فيقول :

جہاں میں اہلِ ایماں صُورتِ خورشید جیتے ہیں
اِدھر ڈوبے اُدھر نکلے اُدھر ڈوبے اِدھر نکلے

● قال أبو طلحة : بل وشأن المؤمن أعلى وأولى وأبقى وأرفع وأدوم وأخلد من الشمس لأن المؤمن الحقيقي يستفاد من نور إيمانه وتتنور به القلوب المظلمة بعد موته وبعد إقباره في الأرض ، ويخلد في الجنة أبد الأباد ولا يموت فيها قط بعد موتته الأولى ، والشمس ليست كذلك ، لا يستفاد من نورها ولا من ضوئها ، بعد تكويرها وإظلامها ، ولا خلودٍ لها في الجنة بل ولا دخول لها وقد قال تعالي ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ الإنسان : ١٣ ، (فالمعنى لا يرون فيها - أي في الجنة - شمسا كشمس الدنيا ولا قمراً كقمر الدنيا) قاله القرطبي رحمه الله .

وذكر صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» في تفسير قوله تعالي : ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ التكوير : ١ :

وقيل : معنى ﴿كوّرتْ﴾ ألقيتْ من فلكها في النار ، وقد ورد «إن الشمس والقمر نوران مكوران في النار يوم القيامة» أخرجه البزار في مسنده عن أبي هريرة مرفوعا انظر الدر المنثور : ٦ / ٣١٨ .

● ثم قال : فإلقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ، ولكنْ لإزدياد الحر في

جهنم اهـ ما ذكره صاحب «تنوير الأذهان» . والله تعالى أعلم بالصواب .

● خلاصة الباب : ومما يجب على أهل الحرمين من التجار وغيرهم : القيام بشكر النعمة ، بحسن إستقبال القادمين ، وحسن معاملتهم في جميع أحوالهم والصبر على ما أصابهم من هؤلاء الغرباء في أقوالهم وأفعالهم ، وصادق مودتهم ، حيث هذه صفة الأنصار من قبل كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ الحشر : ٩ ، والتواضع وحسن العشرة ، وإيثار الغير على النفس ، والنصح لكل مسلم من كان وحيث كان .

وما أجود للناس من حيث التجارة الرابحة الذي أرشدهم إليه رب الناس وخاطب فيه أهل الإيمان خاصة فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون يغفرلكم ذنوبَكم ويُدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ الصف : ١٠-١٢

● ومن أروع الأمثلة في النصح ما ذكره النووي شارحاً لحديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم» متفق عليه . كما في المشكاة «باب الشفقة والرحمة على الخلق» .

● قال النووي رحمه الله : روي أن جريراً - راوي الحديث - رضي الله عنه اشترى له فرساً بثلاثمائة درهم ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من ثلاثمائة درهم ، أ تَبيعُه بأربعمائة ؟ قال : ذلك إليك يا عبدالله ! فقال : فرسك خيرٌ من ذلك ، أ تَبيعُه بخمسمائة ؟ ثم لم يزل يزيده مائة مائة حتى بلغ ثمانمائة ، فاشتراه بها ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصح لكل مسلم . » كما في المرقاة شرح المشكاة ٩/ ٢٢٦ .

هؤلاء آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

● وكذلك من واجب أهل الحرمين من الدعاة أن يدعوهم إلى ربهم بحكمة بالغة وموعظة حسنة حتى يصير العدو صديقا حميماً ، و لكي ينالوا الفلاح من الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وفقنا الله الجميع لما يحب ويرضى . آمين .

الباب الثاني

في الفضائل والبشائر لمنسوبي الحرمين من الساكنين والواردين فيهما ومكانة الحرمين عند المسلمين

وفيه ثلاثة فصول وهي :

الفصل الأول : البشائر لأهل الحرمين ومقتضاها

الفصل الثاني : فضل الحرمين على سائر البلاد والمفاضلة بينهما

الفصل الثالث : بعض البشائر والخصائص للمدينتين الكريمتين التي يستفيد منها القاطنون والحجاج والمعتمرون

الفصل الأول

البشائر لأهل الحرمين ومقتضاها

● إعلم يا أخي المكي والمدني ! أن للحرمين الشريفين فضائل ومزايا ، وفي الحقيقة ما هي إلا النعم والبشائر لأهلهما خاصة وللمسلمين عامة .

وينبغي أن تعلم أن من سنة الله سبحانه أنه يذكّر عباده النعم التي أنعم الله بها عليهم من نعم الدنيا والآخرة ، وذلك تشجيعا لهم وترغيبا في الأعمال الصالحة ليكون هؤلاء من الفائزين يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وإن للحرمين الشريفين حقاً وديناً في عنق كل مسلم ، وعليه وفاءه ، ولا بد أن يكون أهلهما أكثر وفاءاً بحقوقهما من غيرهم ، لأن لأهلهم من البشائر والمزايا والنعم ما لا تتوفر لغيرهم من المسلمين في بلادهم ، كما سأذكرها في الصحائف الآتية إن شاء الله .

✪ولا شك أن أهل الحرمين الشريفين أشد مسئولية من غيرهم ، حيث إنهم اختيروا ليكونوا مجاورين لخير البرية ﷺ ولبيت الله الحرام .

فأهلهما إن لم يقوموا بما جاء به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم لغيرهم من الناس أحرى أن لا يقوم به . وكذلك فإنهم أحرى ألاّ يجاوروا فيهما .

وقال الشاعر الفارسي مامعناه : إذا رفع الإيمان من الكعبة المشرفة - أى من قلوب أهلها - فأين يذهب المسلم لحصوله ويختبيء نفسه من شرّ شّر البرية ؟ وقال آخر :

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا
فشيمة أهل الدار كلّهم الرقص

● وينبغي أن تعلم يا ساكن الحرم ! أنه من شعار الصالحين أنهم إذا وجدوا نعمة من نعم الله تعالى عندهم ، يطلبون الإلهام من ربهم على شكرها ، وكذلك يطلبون منه التوفيق للأعمال الصالحة ، ويشتاقون إلى عمل يحبه الله ويرضاه كما قال سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام لربه جلت عظمته : ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك

التي أنعمتَ عليّ وعلى والدَيّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ النمل : ١٩ .

✪ وقال د/ملا خاطر حفظه الله تعالى في «فضائل المدينة» ٣/٣٦٣ : فمن أولى واجباتهم - تجاه الحرمين الشريفين - أن يكونوا على قدر المسئولية التي نيطت بهم حيث إنهم اختيروا ليكونوا مجاورين وساكنين الحرمين ، وهذه نعمة تحتاج إلى شكر ، مع استحضار هذه النعمة ، والقيام بواجبها تجاه المولى عز وجل ، الذي اختارهم لهما .

وعلى الساكن أن يعلم أن هذا ابتلاء من الله تعالى ، ليشكر العبد فيكرَم أو يغفل فيهان .

✪ كما عليه أن يعلم كم من إنسان من المسلمين يتحرّق ليرى - مجردَ رؤية - ويمرَّ بتلك الديار ، ولو لبعض الوقت ، ولو لحظات ، لتكتحل عينُه ، وقد يموت ولا يرى ، ولا يسعدُ به ، وأنت - أيها الساكن - ترتع بهذه النعمة ، غير مقِّدر لها ، ولا شاكر لمن أنعم بها عليك ، ولست قائماً بهذه المسؤولية الملقاة على عاتقك .اهـ

وقال الدكتور أيضاً : لو علم المقيمُ في المدينة - ومثلُه في مكة - ماله من الله تعالى من الثواب الجزيل ، والأجر العميم ، والفضل الكبير - إنْ هو اتقى الله تعالى وأحسن عبادتَه ، وقام بأداء الحقوق المترتبة عليه - لو علم ذلك لبقي عاجزاً عن شكر الله تعالى على هذه النعمة ، إضافة إلى نعم الله تعالى على العبد المسلم المؤمن والله تعالى أعلم . المصدر السابق : ٣/ ٣٧٠ .

● **قال بعضهم :** علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ، ويشغل قلبه عن التفكير في آلاء الله ونعمه عليه والقيام بشكرها ، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب واللغو والغيبة والبهتان ، واشتغاله عن الحق بسماع اللغو من الأغاني والهذيان ، فعلى الإنسان أن يحاسب نفسه .

وذكر صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» ٢/ ٣٠ مفسراً لقوله تعالى ﴿ والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيِّرا نعمةً أنعمها على قوم حتّى يغّيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ الأنفال : ٥٣ فقال :

● **قال الإمام الغزالي :** إن النعمة إنما تسلب ممن لا يعرف قدرها ، واقنع في هذا الباب بمثال : «ملِكٌ يكرم عبداً له ، فيخلع عليه خاصة ثيابه ، ويقربه منه ، ويجعله

فوق سائر حجابه وخدامه ، ويأمره بملازمة بابه ، ثم يأمر أن يبتني له في القصور ، وتوضع له الأسرة ، وتنصب له الموائد ، وتزين له الجواري ، حتى إذا رجع من الخدمة أجلس هنالك ملكاً معزَّزاً مكرماً مخدوماً ، وما بين خدمته إلى ملكه وولايته إلا ساعة من نهارٍ أو أقلٍ ، فإن أبصر هذا العبد بجانب باب الملك ، سائساً للدواب ، يأكل رغيفاً ، أو كلباً يمضغ عظماً ، فجعل يشتغل عن خدمة الملك بنظره إليه وإقباله عليه ، ولا يلتفت إلى ما له من الخلع والكرامة ، فيسعى إلى ذلك السائس ويمد يده ويسأله كسرة من رغيفة ، أو يزاحم الكلب على العظم ، ويعظمهما ويعظم ما هما فيه ، أليس الملك إذا نظر إليه على مثل هذه الحالة يقول : هذا السفيه لا يعرف حق كرامتنا ، ولم ير قدر إعزازنا إياه بخلعنا والتقرب إلى حضرتنا مع صرفنا إليه من عنايتنا وأمرنا له من الذخائر وضروب الأيادي ، ما هذا إلا ساقط عظيم الجهل قليل التمييز ، اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا .

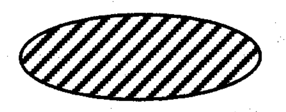
فهذا حال العالم إذا مال إلى الدنيا ، والعابد إذا اتبع الهوىٰ ، فعليك أيها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف نعم الله تعالى عليك ، واحذر من أن تكون النعمة نقمة ، والولاء بلاء ، والعز ذلا ، والإقبال إدبارا ، فإن الله تعالى غيور .

والمقصود أن من عرف الله ، وعرف قدر نعمته ، عليه ترك الالتفات إلى الدنيا فإن الله أجلُّ من كل شيء ، وذكره أفضل من كل ذكر وكلام .

● **وحكي** أن سليمان بن داود عليهما السلام مرَّ في موكبه ، والطير تظلُّه والدواب من الوحوش والأنعام والجن والإنس وسائر الحيوانات عن يمينه ويساره ، فمر بعابد من عبّاد بني إسرائيل ، فقال : والله يا ابن داود ! لقد آتاك الله ملكاً عظيماً ، - وفي قصة أخرى : قال العابد : سبحان الله لقد آتاك الله ملكاً عظيماً - فسمع ذلك سليمان ، فقال : لتسبيحة في صحيفة مؤمن - أو قولك : سبحان الله - خير مما أُعطي بن داود ، فإن ما أعطي ابن داود يذهب ، والتسبيحة تبقىٰ .

فهذا إرشاد عظيم لمن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها ، وتوجه إلى الحضرة العليا فارغا عن شواغل الدنيا . اهـ ما ذكره في «تنوير الأذهان» .

وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب



الفصل الثاني

فضل الحرمين على سائر البلاد والمفاضلة بينهما

الحجاز ! وما الحجاز ؟ وما أدراك ما الحجاز ؟

✪هو مولد الإسلام ، ومبعثُ النور ، ومصدرُ الهدى ، تتجه إليه القلوبُ والأوجهُ كلَّ حين ، ويملأ كل قلب إليه حنين .

مَدْرج الإسلام ومنشأه ، تُقتفى هناك خُطاه ، في كل مكان أثرٌ مشهورٌ ، وفي كل بقعةٍ قولٌ مأثورٌ ، كأن أحجاره ورمالَه وسُهوله وجبالَه : ألواحٌ فيها سيرةُ الرسول وأقوالُه ، ومَشاهدُه وأفعالُه صلوات الله وسلامه عليه .

وفيه صدى القرآن ، وآياتُ الوحي والفرقان ، وهناكَ منازل القرآن ، ومدارسُ سُوَره ومَهبطُ بشائره ونُذره .

وفي الحجاز كُتبتْ بَسْملةُ التاريخ الإسلامي وفاتحته ، وعنوان الحضارة العربية السنية ، وما تزالُ الذِّكَرُ - الذكريات - المجيدةُ تُوحَى من الحجاز ، وما تزالُ السِّيَرُ تُذكّرُ به .

وفي الحجاز نُشِّئتْ الجماعة الأولى ، علي هدي القرآن وآدابه ، ورُشِّحَتْ لتُسَيْطرَ على العالم بأحكامه . ورُبِّيَ خلفاءُ العالم ووُلاتُه وقُوّادُه وقُضاتُه ، ليحكُموا بعدلَ الله بين خلقه ، ويقسموا رزق الله بين عباده .

وما يزالُ الحجازُ ولن يزالَ : قُطباً تَتّجهُ إليه القلوبُ والوجوهُ اتّجاه المغناطيس إلى قُطْبه ، ومَورداً تَهْفوا - تتجه - إليه الأفئدةُ كما تهفوا الطير إلى المناهل ، استجابة لدعوة الخليل عليه السلام : ﴿ ربنا إني أسكنتُ من ذُرِّيتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ عند بيتك المحرّم ربنا ليُقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ إبراهيم : ٣٧ .

وفي الحجاز ذكرَى الأخلاق العربية المحمدية ، والشمائل الحجازية . وقصص الشعر

وأقوالاً وأفعالاً ، وقصائدُ ووقائعُ يُدَوِّي بها الشَّمالُ حيث بنو عُذرةَ - قبيلة عربية كانت تسكن في وادي القُرى شمال المدينة - وجيرانهم إلى الجنوب حيثُ هُذيلُ - قبيلة عربية تسكن حول مكة والطائف - وأوطانهم . وفُتُوَّةُ العرب في المواسم ، وأمثالُهم في المكارم تُردِّدُها مجامعُ الحجيج منذ الجاهلية في مكة ومِنى وعرفات ، وتَصْدَى - الصدى : رجع الصوت - بها محافل الأسواق في عُكاظَ ومَجَنَّة وذي المجاز .

أسفار من التاريخ للدنيا وللدين ، وصفحات من السِّيَر والعِبَرِ للمعتبرين . (قاله عبدالوهاب عزّام كاتب وأديب مصري رحمه الله)

✪ وقال بعضهم : ففي هذه البقعة المباركة التي تضمُّ مكة والمدينة ، نزل الوحي ، وبُعث سيد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لهداية البشرية ، وانبثق نور الإسلام قويا يجذب الأبصار ، ويملأ القلوب ، ووُضعت الأسس والمباديءُ لحضارة إسلامية ازدهرت عدّة قرون .

وأصبحت هذه البقاع مَهوَى أفئدة المسلمين في شتي أقطارهم ، فمكة قبلة المسلمين حيثُ الكعبة المشرفَة والمسجد الحرام ، ومشاعرُ الحج .

والمدينة مقرُّ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام والمسجد النبوي ، والمكانُ الذي شهد انتصارَ الإسلام ، واندحارَ الشركِ .

ولطالما شهدت هذه الأماكن ألوانا من أمجاد العرب وأخلاقهم السنية وبطولاتهم وقصصهم وأشعارهم التي سجلها التاريخُ وردَّدتْها المحافل .اهـ .

✪ وما أعظم شأن الحجاز ، فيه بيت الله الحرام الذي نسبه سبحانه إلى نفسه الشريف قائلا : ﴿ طهرا بيتي ﴾ هو بيت الله الحرام وقد ذكره سبحانه في كتابه العزيز في خمسة عشر موضعا إضافة إلى كلمة ﴿ البيت الحرام ﴾ في موضعين ، وهي :

(١) ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولّينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ البقرة : ١٤٤ .

(٢) ﴿ ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ البقرة : ١٤٩ .

(٣) ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ البقرة : ١٩١ .

(٤) ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ البقرة : ١٩٦ .

(٥) ﴿ وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾ البقرة : ٢١٧ .

(٦) ﴿ ولا آمّين البيت الحـــرام يبتغون فضلاً من ربه ورضوانـا ﴾ المائـدة : ٢ .
(٧) ﴿ ولا يجرمنّكم شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجـد الحرام ﴾ المائـدة : ٢ .
(٨) ﴿ جعـل الله الكعبـة البيـت الحـرام قيـاما للنـاس ﴾ المائـدة : ٩٧ .
(٩) ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ الأنفال : ٣٤ .
(١٠) ﴿ الذين عـاهدتم عند المسجد الحـرام فما استقاموا لكم ﴾ التوبة : ٧ .
(١١) ﴿ أجعلتم سقايـة الحاج وعمـارة المسجـد الحرام . . . ﴾ التوبة : ١٩ .
(١٢) ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجـد الحـرام ﴾ التوبـة : ٢٨ .
(١٣) ﴿ سبحـان الذي أسـرى بعبـده ليـلا من المسجـد الحرام إلى المسجـد الأقصى ﴾ الإسراء : ١ .
(١٤) ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله و المسجد الحرام ﴾ الحج : ٢٥ .
(١٥) ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ﴾ الفتح : ٢٥ .
(١٦) ﴿ لتدخلُنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ الفتح : ٢٧ .

✪ وهناك قبور بعض الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم بمكة المباركة وبداخل المسجـد الحرام تدل على فضل هذه البقعة المباركة أيضاً ، كما ذكره القرطبي في تفسيره ٢ / ٨٨ وقال :

وروى محمد بن سابط عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «كان النبي من الأنبياء إذا هلكتْ أُمّته لحق بمكة فتعبّد بها هو ومن آمن معه حتى يموتوا ، فمات بها نوح ، وهود ، وصالح ، وقبورهم بين زمزم والحِجر» .

وذكر ابن وهب أن شعيباً عليه الصلاة والسلام مات بمكة هو ومن معه من المؤمنين فقبورهم في غربي مكة بين دار الندوة وبين بني سهم .

وقال ابن عباس : - رضي الله عنهما - في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما : قبر إسماعيل وقبر شعيب عليهما السلام ؛ فقبر إسماعيل في الحِجْر ، وقبر شعيب مقابل الحجر الأسود .

وقال عبدالله بن ضمرة السلولي : مابين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبياً ، جاؤوا حجاجاً فقُبروا هنالك ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اهـ .

وذكر ابن إسحاق وابن هشام وابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهم من المؤرخين : أن إسماعيل وأمه مدفونان في الحجر .

✪ وينبغي أن تعلم ! أن من الفضائل لهاتين البقعتين المباركتين أنهما أحب البلاد إلى الله ورسوله ﷺ على وجه الأرض وأنهما مفتاحان للإيمان ، ونشر الإيمان

والإسلام من هاتين المدينتين إلي أنحاء العالم بأسرها ، ومن عظم مكانتهما أن الذي أعطاهما هذا الفضل والتبجيل وجعلهما محرّمتين إلى يوم القيامة هو الله سبحانه ليس غيره جلت عظمته .

وقد وردت نصوصُ تحريم مكة المكرمة في كتاب الله الكريم وفي الأحاديث النبوية ، وكما وردت النصوص في تحريم المدينة النبوية حيث رواها بضع وعشرون صحابيا ، ومن تلك النصوص :

قال الله تعالى ﴿ إنما أمرتُ أن أعبدَ رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرتُ أن أكون من المسلمين ﴾ النمل : ٩١

وقد ورد قوله صلى الله عليه وآله وسلم في بيان تحريم البلدتين وهو : «اللهم إنَّ إبراهيم حرّم مكة ، ودعا لأهلها ، وإني حرّمتُ المدينة كما حرَّم إبراهيمُ مكةَ ...» رواه البخاري في كتاب البيوع «باب صاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانظر أيضا صحيح مسلم كتاب الحج «باب فضل المدينة» رقم (٤٥٤) .

ومن عظيم مكانة الحرم المكي أنه سبحانه وتعالى جعل هذا الحرم آمناً كما قال تعالي : ﴿ وقالوا إن نتبعِ الهدى معك نُتخطَّفْ من أرضنا أولم نمكّن لّهم حرماً آمناً يُجْبَى إليه ثمرات كلَّ شيء رزقاً من لّدُنّا ولكن أكثرَهم لا يعلمون ﴾ القصص: ٥٧ .

وقال تعالى : ﴿ أوَلَم يروا أنّا جعلنا حرماً آمناً ... ﴾ العنكبوت : ٦٧ .

وأما ما ورد في أن الله تعالى هو المحرم لهما : فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومَ فتح مكة: «إن هذا البلدَ حرّمه الله يوم خلق السموات والأرضَ ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ...» كما في صحيح البخاري كتاب الحج «باب لا ينفر صيد الحرم» وصحيح مسلم رقم :٤٤٥ ، كتاب جزاء الصيد «باب تحريم مكة» .

✪ وأما الحرم المدني فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «حُرّم مابين لابتَى المدينة على لساني» رواه البخاري ، كتاب فضائل المدينة : «باب حرم المدينة» . وفي رواية لأحمد ٢ / ٢٨٦, ٣٧٦ - بسند البخاري - : «إن الله حرم على لساني ما بين لابتي المدينة» انظر فتح الباري أيضاً (٤ / ٨٤) .

فثبت بذلك أن الحرمين الشريفين أفضل بقاع الأرض قاطبة وأكرمها وأعزها ، ولم يرد في غيرهما ما ورد في فضائلهما ، بل لم يبلغ جزءاً مما ورد فيهما .(إلا بيت المقدس) قاله الدكتور ملا خاطر حفظه الله .

المفاضلة بين الحرمين الشريفين

● قد ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه «بدائع الفوائد» حيث قال : فإن ابن عقيل الحنبلي لما سئل عن المفاضلة بين الحجرة والكعبة فقال : «إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل ، وإن أردت وهوصلى الله عليه وآله وسلم فيها ، فلا والله ! لا العرش وحملته ، ولا جنات عندن ، ولا الأفلاك الدائرة ، لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح اهـ .

وقال النووي : المختار الذي عليه الجمهور أن السموات أفضل من الأرض ، أي ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة ، وأجمعوا بعد على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد ، واختلفوا فيهما :

✪ فذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض الصحابة وأكثر المدنيين - كما قال القاضي - إلى تفضيل المدينة ، وهو مذهب الإمام مالك ، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد ، والخلاف فيما عدا الكعبة الشريفة ، فهي أفضل من بقية المدينة اتفاقا ذكره الصالحي في «فضائل المدينة» ص ١٠٦-١٠٧ .

وقال الحكيم الترمذي في «نوادره» : سمعت الزبير بن بكار يقول : صنّف بعض أهل المدينة في المدينة كتابا ، وصنف أهل مكة في مكة كتاباً ، فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة ، يريد كل واحد منهما أن يبرز على صاحبه بها ، حتى برز المدنيُّ في خَلّة واحدة عجز عنها المكيُّ ،

✪وأن المدني قال : إن كل نفس إنما خلقت من تربته التي يُدفن فيها بعد الموت ، وأن نفس الرسول ﷺ إنما خُلقت من تربة المدينة . فحينئذ تلك التربة لها فضيلة على سائر الأرض» من «وفاء الوفاء» للسمهودي ١ / ٣١-٣٢ .

● قال مصعب : لما قدم المهديّ المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال فلما بصر بمالك انحرف المهدي إليه فعانقه وسايره ، فالتفت إليه مالك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة ، فتمر بقوم عن يمينك ويسارك ، وهم أولاد المهاجرين والأنصار ، فسلّم عليهم ، فإن ما على وجه الأرض قومٌ خيرٌ من أهل المدينة ولا خيرٌ من المدينة ، قال : ومن أين قلتَ يا أبا عبدالله ؟ فقال : لأنه لا يُعرف قبرُ نبيٍّ اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن كان

قبرُ محمد ﷺ عندهم فينبغي أن يُعرف فضلُهم على غيرهم ، ففعل المهدي ما أمره به . «وفاء الوفاء» للسمهودي ١ / ٥٢ . و«فضائل المدينة» للصالحي ص ١٠٠ .

● وقال الصالحي الشامي رحمه الله بعد إيراده هذه القصة في كتابه المذكور :

«وفيه إشارة إلى التفضيل لمجاورة قبر رسول الله ﷺ ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورِّثه» متفق عليه . ولم يخص جار دون جار .

● ومن تأمل هذا الفضل لم يرتَب في تفضيل سُكنى المدينة على مكة ، مع تسليم مزيد المضاعفة لمكة ، فتلك لها مزيد العدد ، وهذه تُضاعفُ البركةَ والمدَدَ ، ولتلك جوار بيت الله . ولهذه جوار حبيب الله وأكرم الخلق على الله ﷺ اهـ .

● قال أبو طلحة : يُروى أن رجلا كان جاراً لأبي دلف ببغداد ، فأدركته حاجة ، وركبه دين فادح ، حتى احتاج إلى بيع داره ، وطلب ثمنًا لها ألف دينار ، فقالوا له : إن دارك لا تساوي أكثر من خمسمائة دينار ، فقال : أجل ولكنني أبيعها بخمسمائة ، وأبيع جوارها بخمسمائة أخرى ، فبلغ القول أبا دلف ، فأمر بقضاء دينه ووصله وواساه . ولله در القائل :

يلومونني قد بعت بالرخص منزلي	ولم يعلموا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فإنما	بجيرانها تغلو الديار وترخص

● فإذا كان هذه حالة الدور التي بجوار دار أبي دلف تغلو قيمتها وتكثر ، فما بالك في الدور التي بجوار سيدة الدور .

ألا وهي دار سيد المرسلين وأفضل مخلوقات الله أجمعين ، النبي الأعظم والرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

● ونعم ما قال من قال : وما هي قيمة القبر - الدار أو الحجرة الشريفة - بدونه صلى الله عليه وسلم ، بل ما هي قيمة المسجد بدونه صلى الله عليه وسلم ، بل ما هي قيمة المدينة بدونه صلى الله عليه وسلم ، بل ما هي قيمة المسلمين كلهم بدونه صلى الله عليه وسلم ، فإنهم لو لا الله . ثم لو لاه صلى الله عليه وسلم ، ولو لا رسالته والإيمان به ومحبته والإقرار بالشهادة التي لا تصح إلا به ، ما كانوا ولا قاموا ولا فازوا ولا نجوا اهـ .

● وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يُقبض النبيّ إلا في أحبْ الأمكنة إليه» . رواه أبويعلى الموصلي في مسنده رقم : ٢٢-٢٣ وإسناده ضعيف فيهما .

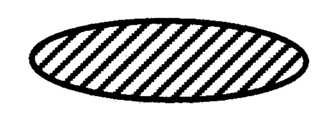
وذكر الصالحي في الباب الثامن من كتابه «فضائل المدينة» بعد ذكر هذا الحديث : قال السيد : وأحبها إليه أحبها إلى ربه ، لأن حبه تابع لحب ربه ، وما كان أحب إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، كيف لا يكون أفضل ؟ قال : وقد سلكت في تفضيل المدينة إلى هذا المسلك .

فقد صح قوله ﷺ : «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» أي بل أشد أو وأشد كما رُوي به ، وأجيبت دعوته ﷺ حتى كان يحرك دابته إذا رآها من حبها» صحيح البخاري رقم : ١٨٨٦ اهـ .

● **فلا عطر بعد المدينة** أي مدينة المصطفىٰ صلوات الله وسلامه عليه ، وقد تعطر جو المدينة بنَفَسه الطاهر ، واختلط أثيرُها بنبرات صوته الكريم عليه وآله الصلاة والسلام ، ولثمت الأرض جبهته صلى الله عليه وآله وسلم في سجوده ، وأقدامه الشريفه في مشيه ، وجنبَه الكريم في نومه ، ويديه في صلاته ، وتروّت ذراتها بدموعه ، وسعدت حيطانها وجدرانُها بالنظر إلى وجهه الكريم عليه وآله الصلاة والسلام ، وجبالها بالصعود عليها .

وأضاءت المدينة يوم دخوله صلى الله عليه وآله وسلم إليها ، وسّبحتْ بيدِه حصباؤها ، واشتاقت إليه منابرها ، واهتزّت تحته - طربا - جبالُها ، - ورهبة - منبرها ، ونبعتْ من بين أصابعه مياهُها ، ونما وتكاثر بين يديه طعامُها ، وبكت بين يديه جمالُها ، وسبّح بين يديه طعامُها ، وأشبع العددَ الكثيرَ من لبنها .

وأحبه ﷺ أهلها ، فبادلهم صلى الله عليه وآله وسلم الحبَّ والوئام ، فأحبهم حباً لا يداني ، وأحبّ أطفالَهم ، ونساءَهم وأرضَهم ، وجبالَهم ، ومدينتَهم ، بل جعلِ آية الإيمان حبّهم ، ومن أحبّهم أحبه الله تعالى ، وهم موضعُ سرِّه وأمانته ، وهم شعارُه ، والناس دِثار ، والمحيا محياهم ، والمماتُ مماتهم ... ذكره الدكتور ملا خاطر .



...

الفصل الثالث

بعض الفضائل والخصائص للمدينتين الكريمتين

● اعلموا يا أهالي الحرمين ! إن لهاتين المدينتين خصائص وفضائل لا تكاد تعد ولا تحصى ، فقد ذكرها بعض العلماء فزاد بعضهم على بعض .

✪ وسأذكر ههنا بعض الفضائل والمزايا والبشائر التي فيها دلالة لأهلهما في اكتساب الخيرات خاصة ولغيرها من الناس عامة ، وذلك إرشادا لهم وتحريضا على إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر فأكثر ، لأن الحصول على هذه الأعمال الصالحة والوصول إليها والعمل بها في هذه الأماكن الطيبة أسهل وأوفر لأهلهما من الواردين والوافدين إليهما ، ولأن لأهلهما مشابهة بآبائهم من المهاجرين والأنصار من حيث السكن بجوار بيت الله الحرام وبجوار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فلا بد إذا أن يكون طريق أبنائهم طريقا واحدا للوصول إلى جناب الله وجناب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن هذه الخصائص والبشائر

إختيار الله تعالى إياهما لأحب الخلق إليه

● ومن فضلهما وعظم مكانتهما أنه سبحانه جعل مكة مولد سيد المرسلين ﷺ ومنشئه ، ومبعثه ، فقد ولد صلوات الله وسلامه عليه في مكة المكرمة حتى بلغ ﷺ ، ثم تزوج بخديجة رضي الله عنها هناك إلى أن بلغ نبي الله صلى الله عليه

وسلم أربعين سنة من عمره المبارك حيث أعلن برسالته بأمر من المليك المقتدر .

✪فلما اشتد أذى الكفار والمشركين بالنبي الرحمة ﷺ وبأصحابه الكرام رضي الله عنهم ، وضيقوا على هؤلاء المؤمنين الأرض المقدسة بأخلاقهم السيئة حسدا من عند أنفسهم كما قال عمرو بن الأهتم التميمي رضي الله عنه :

لعَمــرُكَ ما ضاقتْ بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجــال تضيق

وقال أحـدهم :

إذا دخـل الثقيل بـأرض قـوم فما للساكـنـين سـوى الرحيل

● **وقيــل** : أذيق السجون معاشرة الأضداد ، وقال الأصمعي : دخلت على الخليل وهو جالس على الحصير الصغير ، فأشار إليّ بالجلوس ، فقلت : أضيّق عليك ، فقال : مه إن الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين ، وإن شبراً بشبر يسع المتحابين ، ولله در القائل :

رحب الفلاة مع الأعداء ضيّقة سمّ الخياط مع الأحباب ميدان

● وأذاقوهم أنواع العذاب ، ولم يسلم من عذابهم شريف ولا ضعيف حتى النبي الأكرم الذي كان يُعرف بينهم بالأمين ، الصادق ، الوفي في ما يقول صلوات الله وسلامه عليه ، لذا أذن الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة من مولده أم القرى إلى المدينة . فالآمر هو الرب سبحانه ، وهو الذي أختار لنبيه ﷺ هذه البلدة الطيبة ، لتكون مهاجراً ومسكناً ومضجعاً له ،ﷺ وهكذا أكرم الله سبحانه أختها (مكة) بالولادة فيها والنشأة والبعثة .

✪فيا سلالة الأكرمين ! أختار الله تعالى لكم ولآبائكم هذه البلدة الطيبة - ومثلها مكة المكرمة - لتسكنوا فيها ، فهذه نعمة سنية أنعم الله بها عليكم ، فاشكروه على نعمه ثم اجتهدوا في اكتساب الطيبات من الأعمال والأقوال فيهما ، لأن ﴿الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ حتى تكونوا أحباء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان آباؤكم من المهاجرين والأنصار أحب الخلق إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقد فعلوا ما أمروا بدون أي تأخير وتسويف .

✪ فقال يزيد بن أبي حبيب : أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة . ولا يلبسون ثياباً للجمال ، ولكن كانوا يريدون الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقوّيهم على عبادة ربهم ، ومن اللباس ما يستر

عـوراتهم ويكنـهم عن الحر والبرد . اهـ من التفسير القرطبي رحمه الله ١٣ / ٥٠ .

✪ فـيا عـباد الله ! أفـيضـوا بالخـيرات وافعلوها دائما ما استطعتم بأقلامكم وألسنتكم وبجاهكم وسلطانكم وبأموالكم وأنفسُكم ، وليكن محياكم ومماتكم وحركاتكم وسكناتكم لله رب العالمين ، ولكم في حياة آبائكم قدوة طيبة ، فكانوا يعيشون لإسعاد الناس ، ويجوعون ليشبع الناس ، ويشقون ليسعد الناس ، ويسهرون لينام الناس ، ويحترقون ليستضيء الناس حتى أنزل الله في شأنهم ومن تبعهم منهم ومنا إلى يوم القيامة فقال : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهر ﴾ التوبة : ١٠٠ .

والآية مدنية تدل على ثناء أهل مكة والمدينة من المهاجرين والأنصار وليس في ذلك حظ لمن لم يعمل على شاكلتهم .

ومن المعلوم أن الله سبحانه أختار أهل الحرمين السابقين لنصرة دينه ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وحرّضهم على ذلك قائلا : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ وكذلك جعلها الله تعالى - المدينة - مظهر الدين والإيمان ، وذلك بسبب أهلهما وعلى رأسهم سيد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

✪ ومن المعلوم أيضاً أن أهل الحرمين السابقين أول من شرفهم الله من حيث أنه أنزل القرآن بلغتهم ، وهم أفهم الناس له ، وكانوا أساتذة العجم ، والعجم تلاميذ آبائكم يا أهل الحرم ! فينبغي أن تكونوا أقوم الناس بالقرآن والسنة وأعلمهم بمقتضاها ، وهكذا كان خياركم وصفوتكم من الخلص من المهاجرين والأنصار ومن شابههم وتابعهم رضي الله عنهم أجمعين .

✪ وهذا رب محمد ورب قومه صلى الله عليه وآله وسلم يوحي إليه ويقول : ﴿ فاستمسك بالذي أوحِي إليك إنك على صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ﴾ الزخرف : ٤٤ .

أى خذ القرآن المنزل على قلبك ، فإنه هو الحق وما يهدي إليه هو الحق المفضى إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنات النعيم الخير الدائم المقيم .

قوله تعالى : ﴿ وسوف تسئلون ﴾ أى عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له ؟ قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله . ● وقد ذكرنا خطبة سيدنا معاوية رضي الله عنه فيما سبق حيث قال : «يا معشر العرب ! لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به . اهـ .

● وهذا مشعار بن ذي المشعار الهمداني رضي الله عنه أحد العرب يعظ قومه قوم همدان ويحرضهم على نصرة الدين ويقول : كما ذكره ابن سيدنا الناس وقال : (وكان ملك أهل ناحبته ، وكان متألها - متعبداً - فقال : يا معشر همدان ! إنه يقال للمحقّ : صدق فوك . ويقال للرامي : لا يشلل يدك ، إن الكذب يزري بالدين والفحش يزري بالحسيب . وقد قامت لكم الخطباء نعَمتْ أفواههم ، ورماة لكم شُلّتْ أيدهم فكذّبوا الحق وسفّهوا الحليم ، فانصروا هذا الدين الذي به نُصرتم ، واذكروا اليوم ما كنتم فيه أمس من العافية والعز ، ولا تقولوا لا نطيع مادام فيهم عاص ؛ فإن الدنيا لا يكون إلا فيها عاص ومطيع .

واعلموا أنه لو أراد الله أن لا يجعل دون يده يداً ناصرةً ولا خاذلةً ، ولا يجعل بينه وبين خلقه رسلاً ناهيةً ولا آمرةً ، وأن يقطع الأسباب من العباد ؛ حتى يديل منه إلى خلقه ، فَعَلَ . ولكنه أظهر الأسباب وحجب الغيوب ليعمل الناس على اليأس والرجاء . وقد كان من فضلكم أن رسول الله ﷺ كتب إليكم في رحالكم وأوصى بعضكم ببعض ، وأعطاكم أرض البون فلكم بها الفضل على الناس» كما في الإصابة ٣ / ٤٩٦ . ومنح المدح ص ١٦١ .

اللهم وفق جميع المسلمين أن يتمسكوا بالذي أوحي إلى نبيهم ﷺ ، واجعل أهل الحرمين كما يظُن بهم المسلمون في بلادهم ، وكما سمع الناس عنهم الخير ، إنهم سيكونون مثالا ومجسما للإسلام ظاهراً وباطناً ، فيتأثر الوافدون بدينهم وأخلاقهم ويقتدون بهم ، ثم يعودون إلى أوطانهم وفي جعبتهم هدية الدين الثمينة . آمين .

القيام في الحرمين و الحث على الموت بهما

● ومن البشائر أيضاً أن جعلهما الله تعالي محلا للقيام فيهما ، وللذكر والعبادة فيهما ، لذا أمر الله سبحانه وتعالي أبانا إبراهيم عليه السلام بتطهير البيت من الأوثان والشرك والأنجاس والدماء حتى يكون صالحا للصلاة والذكر والعبادة فقال سبحانه تعالى عن مكة المكرمة : ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾ .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية ٧ / ٢٠٩ : ﴿قياما للناس﴾ أي صلاحا ومعاشا ، لأمن الناس بها ، ولهذا يكون «قياما» بمعنى يقومون بها .

● ثم ذكر بعد قليل وقال : « ... فعظم الله سبحانه في قلوبهم البيت الحرام ، وأوقع في نفوسهم هيبته ، وعظم بينهم حرمته ، فكان من لجأ إليه معصوما به ، وكان من اضطُهد محميّا بالكون فيه ، قال الله تعالي : ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويُتخطّف الناس من حولهم﴾ العنكبوت : ٦٧ . اهـ .

وقال تعالى عن مكة أيضاً ﴿وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ الحج : ٢٦ .

قال ابن كثير : فالطائف به - أي البيت - معروف وهو أخص العبادات عند البيت فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها اهـ ٣ / ٢١٧ .

وقد أخبر سبحانه وتعالى عن بركة مكة المكرمة في كتابه الكريم وجعله مباركاً على لسانه وهدى للعالمين فقال :

﴿إن أوّل بيت وضع للناس لَلذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ۝ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ...﴾ آل عمران : ٩٦-٩٧ .

يا بشرى هذه مكة

● وما أعظم شأنها ، قال د/ ملا خاطر : قد تعطر جوّ مكة بنفَسه الطاهرِ عليه وآله الصلاة والسلام ، وبيوتاتُها بنبرات صوته الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولثمت ساحات حرمِها وأباطحُها وعرصاتُها جبهتَه الكريمَةَ في سجوده ، وأقدامَه الشريفةَ في مشيه ، وجنبَه الكريمَ في نومه ، ويديه في صلاته ، وتروّت ذراتُها بدموعه ، وسعدت حيطانها وجدرانها بالنظر إلى وجهه الكريم عليه وآله الصلاة والسلام ، وجبالها بالصعود عليها .

✪ **(مكة)** سعد غارُها الأول في تنزّلِ الوحيِ عليه ، وغارُها الثاني في إيوائه ليالي هجرته صلى الله عليه وآله وسلم ، وجبالُها في ارتجافها تحت قدميه صلى الله عليه وآله وسلم ، وشجرُها وحجارتُها بالسلامِ عليه صلى الله عليه وآله وسلم

✪ **(مكة)** تعبت فيها قدماه - وما كلّت وما ملّت - وهو يلاحق القبائلَ في أسواقها والوجهاءَ في خيامها ، وهو يعرضُ عليهم الإسلامَ ، فما استجابوا أولاً ، ثم جاءوا طائعين مختارين ، بإرسال وفودهم بتقديم إسلامهم ، فقبل ذلك منهم صلى الله عليه وآله وسلم .اهـ من كلام د/ ملا خاطر .

فهذه الفضائل وغيرها - كما سيأتي بعد قليل - تدعونا إلى المجاورة بالحرم المكي فكما أن من مات بالمدينة يبعث يوم القيامة من الآمنين ويشفع له النبي صلى الله عليه وسلم ، فكذلك من مات في مكة بُعث يوم القيامة من الآمنين ، وذلك لنيل الشفاعة ، ولحشره مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من مات في أحد الحرمين بُعث آمناً يومَ القيامة» مجمع الزوائد (٢ / ٣١٩) والبيهقي في شعب الإيمان ٨ / ٨٩- ٩٠ . وكشف الخفا ٢ / ٢٨٠ .

تنبيه : قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه موسى بن عبدالرحمن المسروقي ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وفيه عبدالله بن المؤمل ، وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه أحمد وغيره ، وإسناده حسن . اهـ

قلت : أما موسى فهو ثقة من رجال التهذيب ، قال الحافظ في التقريب (٢ / ٢٨٥) ثقة من كبار الحادية عشرة .

وأما ابن المؤمل : فقد وثقه ابن سعد وابن نمير ، وقال ابن معين - في رواية الدوري - : صالح الحديث ، وقال ابن أبي مريم عنه : لا بأس به . والله أعلم . ذكره د/ ملا خاطر في «مكانة الحرمين الشريفين عند المسلمين» ص ١٣٩ .

✪فكذلك أهل الحرمين الشريفين هم أول الناس بعثاً ثم حشراً مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم في الدنيا جيرانه صلى الله عليه وآله وسلم وجيران بيت الله العتيق ، و في الآخرة في زمرته صلوات الله وسلامه عليه ، وإن شاء الله تعالى يكونون معه في جنات النعيم بشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم : على سُررٍ موذونة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يُصَدّعون عنها ولا يُنزِفون ، وفاكهة مما يتخيرون ولحمِ طيرٍ مما يشتهون ، وحورٌ عينٌ ، كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، ويشربون معه ﷺ من لبن لم يتغير طعمه . وما ذلك علي الله بعزيز .

فعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : «أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم أبو بكر ثم عمر ، ثم آتي أهل البقيع ، فيحشرون معي ، ثم انتظر أهل مكة ، فأحشر بين الحرمين» . كما في سنن الترمذي رقم : ٣٦٩٢ . وصحيح ابن حبان : ٩ / ٢٣-٢٤ .

وقوله ﷺ في الشفاعة لأهل الحرمين الشريفين والطائف : «أول من أشفع له من أمتي : أهل المدينة ، ثم أهل مكة ، ثم أهل طائف» كما في المعجم الأوسط ٢ / ٤٩١ ومجمع الزوائد ١٠ / ٥٣ ، وذكره الحافظ في الإصابة ٤ / ٣٨٢ .

فهذه الفضائل المذكورة في الأحاديث وغيرها كثير تحرض على القيام واتخاذ الأصل بمكة ، ومثل ذلك في المدينة بل أكثر منها .

يا بشرى هذه مدينة المصطفى ﷺ

● فمن أراد أن ينال نفس هذه الفضائل - بل أكثر منها - ومن أراد من أهل المدينة أن يموت بها وتكون أرضها مسكناً ومضجعاً له ، وينال بذلك شفاعة النبي صلوات الله وسلامه عليه فعليه أن يسكن في المدينة فقد قال النبي ﷺ :

«من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها» . رواه أحمد في مسنده ٢ / ٧٤ والترمذي في سننه : ٣٩١٧ وصححه ، وابن حبان في صحيحه ٦ / ٢١ وصححه ، وابن ماجه رقم : ٣١١٢ .

✪ قوله ﷺ : «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ...» الحديث قال الطيبي رحمه الله شارحاً لهذا الحديث : أمر له بالموت بها ، وليس من استطاعته ، بل هو إلى الله تعالى ، لكنه أمر بلزومها ، والإقامة بها بحيث لا يفارقها ، فيكون ذلك سببا يموت فيها ، فأطلق المسبب وأراد السبب كقوله تعالى : ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ كما في تحفة الأحوذي ١٠ / ٤١٩ .

وقال السمهودي رحمه الله في «وفاء الوفاء» ١٣ / ٢٧٦ : وبالجملة فالترغيب في الموت في المدينة لم يثبت مثلُه لغيرها ، والسكنى بها وُصلةٌ إليه ، فيكون ترغيبا في سكناها وتفضيلا لها على غيرها ، واختيار سكناها هو المعروف من حال السلف ، ولا شك أن الإقامة في حياته صلى الله عليه وآله وسلم أفضل إجماعا ، فنستصحب ذلك بعد وفاته ﷺ حتى يثبت إجماع مثله برفعه ... اهـ .

● قال أبو طلحة : فمغبون ومحروم من لم يختار المجاورة والسكن في المدينة مع القدرة والإمكان ، والمدينة منبع فيض بحار أنوار الملة الإسلامية وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء ٢ / ٥٨ وقال :

«وجدير لمواطنَ عُمرتْ بالوحي والتنزيل ، وتردد بها جبريل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجّت عرصاتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ﷺ ، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ﷺ ما انتشر مدارسُ آيات ومساجد وصلوات ومشاهدُ الفضائل والخيرات ، ومعاهدُ البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ، ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم

النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، حيث انفجرت النبوة ، ومواطنُ طويت فيها الرسالةُ ، وأول أرض مسّ جلدَ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ترابُها ، أن تُعظَّم عرصاتُها وتتنَسَّم نفحاتها وتقبّل رُبوعها وجُدرانها اهـ . (لا يشرع تقبيله إلا الحجر الأسود كما هو معروف) .

✪ وذكر صاحب «عمدة الأخبار في مدينة المختار ﷺ» ص ٢٧ : وقال : «روينا بسند صحيح أن الرشيد لما حج سأل مالكاً فقال : هل لك داراً ؟ فقال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال : اشتر بها داراً ، فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخوص - الرحيل - قال لمالك : ينبغي أن تخرج معي إني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان على القرآن . فقال : أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل ، لأن أصحاب النبي ﷺ افترقوا بعده في الأمصار ، فحدّثوا ، فعند أهل كل مصر علم ، وقد قال ﷺ : «اختلاف أمتي رحمة» ، وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال ﷺ : «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» . وقال ﷺ «المدينة تنفي خبثها» وهذه دنانيركم هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها» يعني أنك تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته إليّ ، فلا أوثر الدنيا على المدينة .

واعلم أنه لا يختار مجاورة المدينة الشريفة ، ولا يؤثر استيطانها غالباً إلا من يدعي محبة هذا النبي الكريم ﷺ فليكن لدعواك شواهد وعلامات وقرائن وأمارات ... الخ . اهـ ما ذكره صاحب «عمدة الأخبار» .

المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون

● فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إني أحرم ما بين لابتَي المدينة ، أن يقطع عضاهها ، أو يُقتل صيدُها . وقال : «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعُها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدلَ الله فيها من هو خير منه ...» الحديث رواه مسلم في كتاب الحج رقم : ٤٥٩ .

ذكر الحافظ في الفتح : ٤ / ٩٣ : قال البيضاوي : المعنى أنه يفتح اليمن فيعجب قوما بلادها ، وعيش أهلها ، فيحملهم ذلك على المهاجرة إليها بأنفسهم وأهليهم حتى يخرجوا من المدينة ، والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم ، لأنها حرم الرسول وجواره ﷺ ومهبط الوحي ومنزل البركات ، لوكانوا يعلمون ما في الإقامة بها من الفوائد الدينية بالعوائد الأخروية التي يستحقر دونها ما يجدونه من الحظوظ الفانية

العاجلة بسبب الإقامة في غيرها اهـ .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إلا أبدل الله فيها من هو خير منه» قال في المرقاة شرح المشكاة ٢ / ١٥ : «والمعنى أنه لا يضر المدينة عدمه بل ينفعها فقده ، وذهب إلى غيرها شره ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ محمد : ٣٨ .

✪ وفيه تنبيه أنه ينبغي للمؤمن أن يكون صابراً بل شاكراً على إقامته في الحرمين الشريفين ، ولا ينظر إلى ما فيما عداهما من النعم الصورية ، لأن العبرة بالنعم الحقيقية الأخروية لحديث : «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» .

(قال أبو طلحة : وقال تعالى : ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ ولا دوام لها ﴿وإن الدارالآخرة لهي الحيوان﴾ العنكبوت : ٦٤ ، أي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها ، قاله المفسرون . فالعاقل يؤثر ما يبقى على ما يفنى ، وقال بعضهم : الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها) اهـ

وقد قال عز وجل : ﴿ألم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ العنكبوت : ٦٨ ، وقال : ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ قريش : ٣-٤ ، وأصل الحياة الطيبة في وصول الرزق وحصول الأمن الذي به كمال الرفق اهـ ماذكره صاحب المرقاة

✪ قوله ﷺ : «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» قاله ثلاثا كما في رواية البخاري . وقد قال تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ النجم : ٣-٤ ، فهذه منقبة عظيمة ، ومزية فريدة ، وفي ذلك كفاية في فضل المدينة النبوية على غيرها والترغيب في سكناها .

● ويرحم الله الإمام أبا عبدالله محمد بن أحمد الأندلسي الأعمى حيث قال :

فيا راحلا عنها لدنيا يصيبها ... أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى

أتخرج من حوز النبي وحرزه ... إلى غيره ؟ تسفيه مثلك قد حقّا

فكم قاعد قد وسّع الله رزقه ... ومُرتحِلٍ قد ضاق بين الورى رزقا

فعِش في حمى خير الأنام ومت به ... إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى

إذا قمتَ فيما بين قبر ومنبر ... بطَيبَةَ فاعْرف أين منزلك الأرقى

لقد أسعد الرحمن جار محمد ... ومَن حار في ترحاله فهو الأشقى

● وأنشد أبو محمد عبدالله بن أبي عمران البِسكري المتوفى سنة ٧١٣هـ :

لا تجعلوا عنهـا الرحيل صناعـة　　إني أرى ذاك الـرحيـل إضاعـة
وإذا أقـمتم كان ذلـك طـاعـة　　(فـلكَم أراكـم قـافلين جماعـة
في إثـر أخـرى طـالبين سواهـا)
فـإذا امـرُؤٌ لـم يرتحل من شـدة　　فيـها وعـاش بـها بأيسـر بُلغـة
فـاقـنـع هنـاك ولو بـأدنى لقمـة　　(أفٍّ لمـن يبـغي الكثير لشهوة
لرفـاهـة لـم يـدر ما عقبـاها)

✪ قـال أبـو طـلحة : ومن ترك المدينة - وكذلك مكة - للُقمة : فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» اهـ .

فضل أربعين صلاة في مسجد رسول الله ﷺ

● ومن البشائر لأهل المدينة وغيرها من المسلمين : أن من صلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين صلاة متواصلة لا تفوته منها صلاة ، أعطاه الله سبحانه وتعالى ثواباً جزيلاً ويمنح للمصلي مزايا جليلة ، وكذلك يكرمه ربه سبحانه بعدد من الإكرامات ما لا توجد في غيرها من المساجد على وجه الأرض .

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من صلى في مسجدي هذا أربعين صلاة ، لا تفوته صلاة ، كُتبت له براءة من النار ، ونجاة من العذاب ، وبرىء من النفاق» . رواه أحمد في مسنده ٣ / ١٥٤ .

وفيما يلي خلاصة آراء المتقدمين والمعاصرين حول هذا الحديث

● قال الهيثمي بعد أن أورد هذا الحديث : «رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ، كما في مجمع الزوائد ٤ / ٨ «باب فيمن صلى بالمدينة أربعين» .

وقال الحافظ المنذري : «رواه أحمد ورواته رواة الصحيح ، والطبراني في الأوسط وهو عند الترمذي بغير هذا اللفظ» راجع الترغيب والترهيب للمنذري : ٢ / ٢١٥ «باب الترغيب في صلاة المسجد الحرام ومسجد المدينة» .

وقال ابن حجر : «نبيط بن عمر - أحد رواة الحديث - ذكره ابن حبان في الثقات» .

● **ويرى الألباني حفظه الله** : أن سند هذا الحديث ضعيف، لأن فيه نبيطاً وهو لا يُعرف إلا في هذا الحديث ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات على قاعدة توثيق المجهولين وهو عمدة الهيثمي في قوله في المجمع (٤ / ٨) «ورجاله ثقات» ، وأما قول المنذري في الترغيب : «ورواته رواة الصحيح» فوهم واضح ، لأن نبيطا هذا ليس من رواة الصحيح ، بل ولا روى له أحد من بقية الستة . ذكره الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» ١ / ٣٦٦ رقم الحديث : ٣٦٤ .

● **قال الشيخ عطية محمد سالم حفظه الله** في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» ٨ / ٥٧٣ رداً على من ضعف هذا الحديث :

«اجتمع على توثيق نبيط كل من : ابن حبان، والمنذري ، والبيهقي ، وابن حجر ولم يجرحه أحد من أئمة هذا الشأن ، **فمن ثَمّ لا يجوز لأحد أن يطعن ولا أن يضعف من وثقته أئمة معتبرون ولم يخالفهم إمام من أئمة الجرح والتعديل** .

ذلك ولو فرض وقدر جدلاً أن في السند مقالا ، فإن أئمة الحديث لا يمنعون إذا لم يكن في الحديث حلال أو حرام أو عقيدة ، بل كان باب فضائل الأعمال لا يمنعون العمل به، لأن باب الفضائل لا يشدد فيه هذا التشديد . اهـ

✪ قول الشيخ عطية سالم : «لا يجوز لأحد أن يطعن ... الخ»

● **قال أبو طلحة :** نعم القول قول الشيخ عطية في هذا المقام ، وقوله هذا من باب النصيحة للمؤمنين - جزاه الله خيراً - وإني إلى تصديق قوله قاصد ولي في ذلك شهادة من قول يحيى بن معين ومن بعض الآثار والآيات ، أذكرها إتماما للفائدة والنصيحة للمسلمين .كما ذكره الذهبي في «التذكرة» فقال :

● قال محمد بن مهرويه : سمعت ابن الجنيد سمعت يحيى بن معين يقول : «إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة . قال محمد : فدخلت على ابن أبي حاتم وهو يحدث بكتاب الجرح والتعديل ، فحدثتُه بهذا فبكى وارتعدت يداه وسقط الكتاب وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية اهـ من «تحفة الأحوذي» ١٠ / ٣٣٠ .

فحذار من التضعيف والطعن فيمن وثقته أئمة معتبرون من الجرح والتعديل لأن الحديث من باب الفضائل وهو الذي عليه الجمهور وقالوا : يعمل به في الفضائل دون الأحكام كما ذكر السخاوي في «القول البديع» ص ٢٥٨ فقال :

قال شيخ الإسلام أبو زكريا النووي رحمه الله في «الأذكار» : قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً . . . إلى آخر البحث .

● ولأن باب الفضائل لا يشدد فيه مثل هذا التشديد ، ● وما أجود ما عرض للإمام مالك رحمه الله في هذا الشأن فعمل به مع أنه كان خلافاً لمذهبه خشية أن يكون من الذين : ﴿ إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ كما ذكر القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ١٩ / ١٠٩ فقال :

✪ «يُذكر أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر ، وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر ، فجلس ولم يركع ، فقال له صبيّ : يا شيخ قم فاركع . فقام فركع ولم يحاجّه بما يراه مذهباً ، فقيل له في ذلك ، فقال : خشيت أن أكون من الذين : ﴿ إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ المرسلات : ٤٨ اهـ

✪ قلت : وهناك قول آخر مثله وهو قوله تعالى : ﴿ أرأيت الذي ينهى ○ عبدا إذا صلى ○ ﴾ العلق : ٩-١٠ . فحذار من الوقوع فيه أيضاً .

✪ وذكر في «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» ٤ / ٥٧٣ : فقال : قال أبو الليث رحمه الله : والآية (المذكورة) عظة لجميع الناس ، وتهديد لمن يمنع عن الخير وعن الطاعة .

✪ وقال ابن الشيخ في حواشيه : وهذه الآية وإن نزلت في حق أبي جهل ، لكن كل من نهى عن طاعة فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد ، وقد احتاط فيه بعض الأكابر .

✪ حتى روي عن علي رضي الله عنه ، أنه رأى في المصلَّى أقواماً ، يصلّون قبل صلاة العيد ، فقال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك فقيل له : ألا تنهاهم ؟ فقال : أخشى أن ندخل تحت وعيد قوله تعالى ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى ﴾ فلم يصرح بالنهي عن الصلاة احتياطاً .

✪ وأخذ أبو حنيفة هذا الأدب الجميل ، حتى قال له أبو يوسف : أيقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع «اللهم اغفرلي ؟» قال : يقول : «ربنا لك الحمد» ويسجد ، ولم يصرح بالنهي . اهـ .

● وقال تعالى : ﴿ ومن أراد الآخرة ﴾ أي الدار الآخرة ﴿ وسعى لها سعيها ﴾ أي عمل لها عملها من الطاعات . ﴿ وهو مؤمن ﴾ لأن الطاعات لا تقبل إلا من مؤمن .

﴿فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ أي مقبولا غير مردود . وقيل : مضاعفاً . أي تضاعف لهم الحسنات إلى عشر ، وإلى سبعين وإلى سبعمائة ضعف ، وإلى أضعاف كثيرة ؛ كما روي عن أبي هريرة وقد قيل له : أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «إن الله ليَجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟» فقال سمعته ﷺ يقول : «إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة» انظر تفسير القرطبي ١٠ / ١٥٤ .

وذكر القرطبي في تفسيره ٢ / ٨٠ : وفي حديث أبي ذر : «الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل» خرجه الآجري . اهـ

فحذار من الوقوع في مثل هذه الأقوال في باب الفضائل حتى لا نشابه أعداء الله لعنهم الله اهـ.

وبناء على هذا المبدأ المتعارف لدى المحدثين قال أبو بكر جابر الجزائري في «منهاج المسلم» ص ٣٦٤ :

«وقد ورد الترغيب في صلاة أربعين صلاة في المسجد النبوي الشريف» اهـ .

فثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن من صلى أربعين صلاة في المسجد النبوي الشريف كتبت له براءة من النار والعذاب والنفاق .

وقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى فيها : كتبت له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق» حديث حسن . كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني ٤ / ٦٢٨-٦٣١ .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في مضاعفة الأجر في الصلاة في مسجد الرسول ﷺ حتى جعلها خيراً وأفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وهذا الأجر عام في صلاة الفرض والتطوع كما قاله العلماء .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام» . رواه البخاري في كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الحج رقم الحديث : ٥٠٥ - ٥٠٨ .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فيما سواه» رواه أحمد ٣ / ٣٤٣-٣٩٧ .

● فطوبىٰ لمن يوفق لأداء الصلوات كلها في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بيت الله العتيق ، وهو مقبل إلى ربه بقلب خاشع خاضع متذلل حتى ينال الأجر المذكور في الأحاديث .

أتدري أيها الزائر ويا ساكن الحرم !!؟

● أتدري إذا صلى أحدكم صلاة واحدة في مسجدى الحرمين الشريفين ماذا يكسب من الأجر؟

● اعلم أن هذه الصلاة الواحدة التي وفقك الله لأدائها في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، ولم يستطع الإنسان أن يصلي ألف صلاة إلا في مدة ستة أشهر وعشرين يوما ، وذلك بحساب خمس صلوات يوميا ، ومن صلى خمس صلوات يوميا من الصلوات المفروضة فكأنه صلى سنتين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، وذلك من حيث الأجر والثواب لا في العدد .

● وكذلك من صلى في الحرم المكي صلاة واحدة ، فهي أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ، ولم يستطع الإنسان أن يصلي مائة ألف صلاة إلا في مدة ٥٥ سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، ومن صلى الصلوات الخمس في الحرم المكي في كل يوم فكأنه صلى (٢٧٧) مائتي سنة وسبعة وسبعين سنة و (٧) سبعة أشهر و (١٠) عشرة ليال .

ولو راعينا أجر الجماعة ٢٥ أو ٢٧ درجة ليعجز مثلي عن حساب أربعين صلاة في الحرمين الشريفين . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وهو الذي يوفق لأداء الصلوات في بيته لمن يشاء . لأن صاحب البيت لا يسمح الدخول في بيته إلا لأحباءه وأولياءه ، فكيف في بيت الله المليك المقتدر .

وقال الشيخ عطية : وليعلم أن الغرض من هذه الأربعين هو التعود والحرص على الجماعة ، أما لو رجع وترك الجماعة وتهاون في شأن الصلاة - عياذا بالله - فإنها تكون غاية النكسة ، نسأل الله العافية . اهـ

فيا كاسب الدنيا وتاجرها الذي يجمع المال ويعدده ، ويحسب كل يوم ماذا اكتسبه وماذا أهلك وأنفق !؟؟ أنظر إلى هذا الكسب كسب الآخرة ، ثم انظر إلى جود الجواد الكريم على عباده على عمل بسيط .

● أخي في الله آثِر الدين على الدنيا وكسبها ، وآثِر ما يبقى على ما يفنى ، فهذا الشباب وهذه الحياة لا يدومان ، فاتجر مع الله سبحانه تجارة لا تبور ، واعط من وقتك ساعة واحدة لله سبحانه من ٢٤ ساعة في اليوم والليلة (وفي ذلك كفاية لأداء الصلوات الخمس) فاحرص على الصلوات الخمس في الحرمين الشريفين أو حسب ما تيسر لك ، واكتسب الأجر المذكور الذي بينه الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ولا تكن من الغافلين الساهين المرتابين .

ولقد أحسن من قال :

وإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن بغيرالدين يَرضى به الله تُشغَلُ
ولن يصحب الإنسان من قبل موته ومن بعده إلا الذي كان يعمَلُ
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله يقيم قليلاً بينهم ثم يَرحل

● أخي في الله ! قد أعطاك الله مركبًا جميلاً ، ووقتاً فارغاً طويلاً ، فاستعمله في الذهاب إلى أكرم بيوت الله على وجه الأرض طوعاً أو كرهاً ، وقد «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» كما في صحيح مسلم .

وحذار من إيثار الدنيا على الآخرة وقد قال تعالى : ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا ○ والآخرة خير وأبقى ○﴾ عبس : ١٦-١٧ .

✪ فكن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة ، فبادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة . قاله الإمام الذهبي .

وقد أخبر النبي ﷺ : «نعمتان مغبون - الخاسر - فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ» رواه البخاري في صحيحه .

وقد قال الله جلت عظمته في كتابه الكريم : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ فاطر : ٣٢ .

✪ أخي في الله ! ولا تكن من هؤلاء المغبونين الكثيرين الذين أخبر عنهم النبي ﷺ ، واختر لنفسك ما شئت من أوصاف هؤلاء المذكورين المنقسمين في الآية إلى ثلاثة أصناف : (١) ظالم لنفسه (٢) مقتصد (٣) وسابق بالخيرات .

وقد ذكر القرطبي في تفسيره ١٤ / ٢٢٢ : وقيل : السابق الذي يدخل المسجد

قبل تأذين المؤذن ، والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد أذن ، والظالم الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة ، لأنه ظلم نفسه الأجر فلم يحصِّل لها ما حصّله غيره اهـ

أخي الكريم ! فكر في نفسك من أي صنف أنت من هذه الأصناف المذكورة أعلاه .

واعلم أنه لا يوفق لأداء الصلوات في الحرمين الشريفين غالبا إلا أهل السعادة ومن سبقت له الحسنى وزيادة وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

● **ألا ترى أن** النبي ﷺ شجع أصحابه داخل المدينة وخارجها على الصلوات بجواره وبمسجده ﷺ (وطلب من الصحابة رضي الله عنهم الذين يسكنون البادية أو خارج المدينة إذا نزل أحد منهم إلى المدينة النبوية ألاّ يرجع إلى أهله حتى يأتيه مسجده صلى الله عليه وآله وسلم ، فيركع فيه ركعتين ، وهذا يدل على مدى اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم به ، ولكي ينالوا الأجر الكثير من الله تعالى .

فعن مسلم بن أسلم بن بَجرة - أخي الحارث بن الخزرج - وكان شيخا كبيراً قد حدّث نفسه رضي الله عنه قال : إن كان ليدخل المدينة فيقضي حاجته بالسوق ، ثم يرجع إلى أهله ، فإذا وضع رداءه ، ذكر أنه لم يصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ فيقول : والله ما صليت في مسجد رسول الله ﷺ ، فإنه قد قال لنا : «من هبط منكم إلى هذه القرية فلا يرجعن إلى أهله ، حتى يركع ركعتين في هذا المسجد ، ثم يرجع إلى أهله» رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات (المعجم الكبير ١٩ / ٤٣٥ ومجمع الزوائد ٤ / ٨ .

فيرجع من أهله لأنه لم يدخل مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى يأتيه فيصلي فيه . رضي الله عنه وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) مابين القوسين من «فضائل المدينة» ٢ / ٢٣٩ لملا خاطر .

✪فيا أهل الحرمين ! وهذا رجل من الأنصار من آبائكم الأولين كان بيته أقصى بيت في المدينة ، وكان دائما يصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان لا يخطيء الصلاة معه صلى الله عليه وآله وسلم - كما في الحديث الآتي - فاقتدوا بهدي آبائكم ، لتنالوا ما كتب الله لكم من الأجر والثواب المضاعف ، وكونوا من السابقين إلى الخيرات بفضل الله وذلك هو الفضل الكبير .

● اللهم حبب إلينا إقتداء آثار آبائنا المؤمنين من الأنصار والمهاجرين ، أشد من حب الكفرة الفجرة لآثار آبائهم الكافرين الذين قالوا واضحا : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ الزخرف : ٤٣

و﴿قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ الزخرف : ٢٣ .
وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

● فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة ، وكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم ، قال : فتوجعنا له ، فقلت : يا فلان ! لو أنك اشتريت حمارا يقيك من الرّمضاء ، ويقيك من هوام الأرض ، قال : أمَ والله ما أحبُّ أنّ بيتي مُطنَّبٌ ببيت محمد ﷺ ، قال : فحملت به حملا ، حتى أتيت نبي الله ﷺ فأخبرته ، قال : فدعاه ، فقال له مثلَ ذلك ، وذكر له أنه يرجو في أثَره الأجر ، فقال له النبي ﷺ : «إن لك ما احتسبتَ» رواه مسلم في صحيحه «كتاب المساجد» رقم : ٢٧٨ .

وفي «فضائل المدينة» لملا خاطر ٢ / ٣٤٧ : إن من فضائل هذا المسجد الشريف مسجد رسول الله ﷺ أن من خرج من بيته متطهِّرا لا يريد إلا هذا المسجد للصلاة فيه كان له من الأجر حجة كاملة - أي نال أجر حجة كاملة - وهذا كله فضلٌ من الله تعالى ومِنّةٌ وتكرم ، أُكرم بها مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس هذا بمستكثر ، إذ من خرج من بيته متطهراً إلى مسجد قباء : كان له من الأجر كأجر عمرة كاملة ...» .

فعن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف رضي الله عنهما ، عن أبيه قال : قال النبي ﷺ : «من خرج على طهر لا يريد إلا مسجدَ قباءَ ليصلي فيه : كان بمنزلة عمرة ، ومن خرج على طهرٍ لا يريد إلا مسجدي هذا - يريد مسجد المدينة - ليصلِّي فيه : كان بمنزلة حجة» رواه البخاري في تاريخه ، والبيهقي في الشعب . وفي إسنادهما : يوسف بن طهمان ، ذكره البخاري في تاريخه ولم يذكر فيه شيئا ، وذكره ابن حبان في ثقاته ، وذكره ابن عدي في كامله ، والعقيلي في الضعفاء . لكن لم ينفرد بهذا الحديث ، فقد ذكره البخاري من طريق آخر عن أبي أمامة مثله . وله شاهد آخر عنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه لكن في إسناده محمد بن سليمان الكرماني القبائي، قال الحافظ عنه في التقريب : مقبول . فالحديث بطرقه وشواهده : حسن ، إن شاء الله تعالى ، والله تعالى أعلم اهـ ما ذكره ملا خاطر .

هذا ما قيل في فضل الصلاة في مسجد النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، فما بالك في مسجد البلد الأمين ، وقد قال رسول رب العالمين ﷺ : « ... وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» كما مر .

● ثواب المتابعة بين العمرة وما يقابله بالمدينة

● ومن عظم مكانة الحرمين الشريفين، وزيادة فضلهما، ورفعة شأنهما، وعلو مقامهما ما أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم أن العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما كما أن المتابعة بين الحج والعمرة ينفيان الذنوب والفقر، ولا يكون ذلك إلا فيهما

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «العمرة إلى العمرة، كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» متفق عليه، راجع صحيح البخاري «كتاب الحج» باب وجوب العمرة وفضلها. وصحيح مسلم رقم الحديث: (٤٣٧).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حج لله فلم يرفُث ولم يَفْسُق، رجع كيومٍ ولدتْه أمه» متفق عليه. واللفظ للبخاري، كتاب الحج باب فضل الحج المبرور، وصحيح مسلم رقم (٤٣٨).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الذنوب والفقرَ...» مسند أحمد ١ / ٣٨٧، سنن الترمذي رقم (٨١٠) رواه النسائي وابن حبان أيضاً. هذا كله من «مكانة الحرمين الشريفين عند المسلمين» لدكتور ملا خاطر ص ١٠٩-١١٠.

✪ ويقابل ذلك في المدينة، أن الصلاة في مسجد قباء تعدل عمرة كاملة، ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يتعهد المجيء إليه، وكان يأتيه صلى الله عليه وآله وسلم راكبا وماشيا، ولا يمرّ أسبوع إلا ويأتيه فيه، صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يدل على مدى مكانة هذا المسجد الشريف عنده صلى الله عليه وآله وسلم، وعنايته به، وهو أول مسجدٍ يُقام لجماعة المسلمين بشكل علني، بناه صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يصل إلى المدينة النبوية، ويبنى فيها مسجده.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي مسجد قباء، راكباً وماشياً، فيصلي فيه ركعتين. متفق عليه. ينظر صحيح مسلم كتاب الحج: «باب فضل مسجد قباء رقم: ٥١٦».

✪ فعلم من هذا الحديث عظم مكانة هذا المسجد المبارك، حتى صار النبي ﷺ يأتيه ويكثر الإختلاف إليه، ماشياً وراكباً حسب ما تيسر له صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن فضائل مسجد قباء: أن من أتاه وصلى فيه ركعتين، كان له من الأجر كأجر

عمرة كاملة ، وهذا فضل من الله تعالى ونعمة أنعم الله بها على عباده ، وتكرم بها على أهل المدينة ، ومن نزل بها .

وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي ﷺ قد عرفوا قدر هذا المسجد الشريف فعظموه وأكرموه وكرروا المجيء إليه ، وذلك اتباعاً بالمحبوب ﷺ .

فهل لنا في ذلك نصيب ؟ أي في إحياء هذه السنة النبوية لإكتساب هذا الأجر .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه صلاة ، كان له كأجر عمرة» .كما مر

لمثل هذا فاليعمل العاملون وفي ذلك فاليتنافس المتنافسون .

«هذه شديدة» لأهل المدينة ولمن أحدث فيها حدثا

● قوله : «هذه شديدة» قاله أنس بن مالك رضي الله عنه حينما سأله عاصم

وقال : قلت لأنس بن مالك : أحرّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينةَ ؟ قال : نعم ، ما بين كذا إلى كذا ، فمن أحدث فيها حدثا - قال : ثم قال لي : هذه شديدة - «من أحدث فيها حدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يَقبَلُ الله منه يوم القيامة صَرْفا ولا عدلا» قال : فقال أنس : أو آوى مُحدثا» متفق عليه واللفظ لمسلم ، صحيح البخاري كتاب الاعتصام «باب اثم من آوى محدثا» وصحيح مسلم رقم ٤٦٣ .

وفي رواية البخاري ومسلم قال النبي ﷺ : «المدينة حرم ما بين عَير إلى ثور ...» الحديث صحيح مسلم رقم ٤٦٧ .

ذكر النووي في شرح مسلم ٩ / ١٤٠-١٤١ : فمن أحدث في الدين حدثاً ، أو آوى محدثا ، وضمه إليه وحماه : فعليه لعنة الله ... وهذا وعيد شديد لمن ارتكب هذا ، لأن اللعن لا يكون إلا في كبيرة ، ولذا استدلوا بهذا اللفظ على أن ذلك من الكبائر ، ولعن الله كافٍ في إبعاده عن رحمة الله ... اهـ .

✪ ذكر الحافظ في الفتح :١٣ / ٢٨١ : وقال ابن بطال رحمه الله تعالى : دل الحديث على من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً في غير المدينة ؛ أنه غير متوعد بمثل ما تُوُعِّد به من فعل ذلك بالمدينة ؛ وإن كان قد عُلم أن من آوى أهل المعاصي أنه يشاركهم في الإثم ، فإن من رضيَ فعل قوم وعملهم ؛ التحق بهم .

ولكن خُصّت المدينة بالذكر لشرفها ، لكونها مهبط الوحي ، وموطنَ الرسول

عليه الصلاة والسلام ، ومنها انتشر الإسلام (سلطان الأديان) في أقطار الأرض ، فكان لها بذلك مزيد فضل على غيرها اهـ .

قوله ﷺ : «من أحدث فيها حدثا» قال القاري في المرقاة شرح المشكاة :٧/ ١٤ : أى أظهر في المدينة منكرا أو بدعة ، وهي ما خالف الكتاب والسنة ... اهـ

● قال أبو طلحة : لو نظرنا إلى قوله ﷺ : «فمن أحدث فيها حدثاً» إلى آخر الحديث وإلى ما قيل في معناه : هو ما خالف الكتاب والسنة ، فكم من أعمال في قالب الإنسان من حيث الظاهر والباطن ، وما عدا ذلك في التعامل فيما بين الناس ما يخالف الكتاب والسنة ، فوالله إن الأمر لشديد ، وإنه لوعيد يندى له الجبين ، وهذه هي «شديدة» لأهل المدينة وغيرها ، ذكرها أنس بن مالك رضي الله عنه - لأن الخارج من المدينة غير متوعّد بمثل ما تُوعّد به ساكنها .

فهل نتنبه لأقوالنا وأعمالنا وننأى بها عن مخالفة الكتاب والسنة ؟ وقد قال سيدنا يوسف ﷺ عن نفسه كما في سورة يوسف : ٣٥ : ﴿وما أبرّي نفسي إن النفس لأمّارة بالسُّوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ .

فعلينا أن نحاسب أنفسنا في هذا الأمر خاصة - ونحن في المدينة - قبل نزول عزرائيل لأخذ أرواحنا ، وقبل أن نظن أنه الفراق والتفّت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق ، وقبل نزول ليلة نبيت مع الموتى فنجاور جيراناً لم ير مثلهم ، وعلينا أن نستحضر جميع الأوقات بأننا جيران النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي أحب البقاع الأرض إلى الله اهـ

✪ولقد قال العلامة ابن الجوزي في ذلك : « ... إعلم أن من دخل المدينة فليخطر على قلبه أنها المدينة التي اختارها الله تعالى لنبيه ﷺ ليتخيَّل تردده ﷺ فيها ، ومشيه في بقاعها ، فكلها شريفة ، وإن خصت منها مواضع» ذكره في «مثير العزم الساكن إلى أشرف البقع والأماكن» ورقة ٢٣١أ و ب .

● ومن المعلوم أنه لا يختار أحد مجاورة المدينة ولا يؤثر استيطانها غالباً إلا من يدعي محبة المصطفى ﷺ ، فليكن لدعوانا هذه شواهد وعلامات وقرائن وأمارات في جميع شئون الحياة حتى لا تكون حسرة وندامة يوم يَردنّ عليه أقوام ، ثم يحال بينه وبينهم ؛ فيقول صاحب هذه البلدة الطيبة صلى الله عليه وآله وسلم وهوعلى الحوض : « ... إنهم مني ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن غيّر بعدي» رواه البخاري ومسلم كما في المشكاة «باب الحوض والشفاعة»

النكتة

● قال أبو طلحة : لقد كان يقال للمدينة قبل مجيىء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليها : يثرب ، فلما جاء صلى الله عليه وآله وسلم إليها سماها المدينة ، وطيبة وطابة ، ونهى عن تسميتها يثرب .

وفي رواية : « ... يقولون : يثرب ، وهي المدينة» متفق عليه .

فالذين كانوا يقولون يثرب : هم المنافقون ، وإلا فلا يجوز أن يقول المؤمنون ذلك لها بعد ما سمعوا تسميتها من النبي ﷺ بالمدينة : طابة ، طيبة .

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من سمى المدينة يثربَ ، فليستغفر الله عز وجل ، هي طابة ، هي طابة» .

رواه أحمد في مسنده : ٤/ ٢٨٥ ، ومجمع الزوائد : ٣/ ٣٠٠ ، ومصنف عبد الرزاق : ٩/ ٢٦٧-٢٦٨ ، ورواه أبو يعلى وابن شبة ورجاله ثقات (من فضائل المدينة) ١/ ١٦٤ لملا خاطر .

وروى ابن شبه أيضا من حديث أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب . وذكره الحافظ في الفتح ٤/ ٨٧ وسكت عنه .

✪ولا يكون الاستغفار إلا عن ذنب . ولو صغيراً . ولهذا قال عيسى بن دينار رحمه الله - أحد أئمة المالكية - من سمى المدينة يثرب كُتبت عليه خطيئة . شرح النووي ٩/ ١٩٤ ، وفتح الباري : ٤/ ٨٧ .

✪وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « ... والله إن تربتها - المدينة - لمؤمنة ، سماها رسول الله ﷺ طيبة» رواه ابن أبي حاتم في العلل ١/ ٢٩٩ وابن عدي في الكامل ٣/ ١٠٨٢ . وفيه موسى بن يعقوب «صدوق سيء الحفظ» كما في التقريب لابن حجر (رقم : ٧٠٢٦) .

● علم من الأحاديث المذكورة منقبة المدينة النبوية وفضلها على غيرها من البلاد وفيها أن النبي صلى اله عليه وآله وسلم نهانا أن نتشبه بالمنافقين في مقالهم فما بالك في التشبه بفعالهم ، وهذا كما نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم بقوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾ البقرة : ١٠٤ .

● **فإذا كان تكتب الخطيئة** على من سمى المدينة يثرب ـ وقد سماها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ : «طابة» ، «وإن تربتها لمؤمنة» ـ وأمرنا بالإستغفار على ذلك الذنب ولو صغيراً ، فما بالك في الذي يجرّىء نفسه على ارتكاب الكبائر وهو في قلب هذه المؤمنة المباركة وبجوار الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . وقد قال تعالى : ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ الزلزال : ٨ .

وهذه مرغوبة ولكنها خطيرة أيضاً لساكني الحرمين

● ومما يعد في فضائل بيت الله الحرا م - وكلها فضائل ومزايا - أن الأعمال الصالحة فيها يضاعف أجرها إلى مائة ألف عما سواه من البلاد .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام» . رواه البخاري في كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الحج رقم : ٥٠٥ - ٥٠٨ .

وقال علي القاري في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» الجزء ٢ ص ١٨٨ : وفي رسالة الحسن البصري إلى الرجل الزاهد أراد الخروج من مكة قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى في المسجد الحرام ركعتين فكأنما صلّى في مسجدي ألف صلاة والصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من البلدان» .

● **إذا تأملت ذلك** علمتَ ضعف ما قيل على رواية : «صلاة بالمسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة ، تبلغ صلاة واحدة فيه عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، وصلاة خمس صلوات فيه تبلغ (٢٧٧) مائتي سنة وسبعا وسبعين سنة و سبعة أشهر و عشرة ليال . اهـ ما كتبه الحسن البصري .

وكذلك مما يعد في فضائل المدينة النبوية ، أن الأعمال الصالحة فيها يضاعف أجرها إلى ألف عما سواها من البلاد بأسرها إلا الحرم المكي .

قال الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٤ / ٢٨٤ بهامش «إتحاف السادة المتقين» : ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله ﷺ ، فالأعمال فيها أيضاً مضاعفة ، قال ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام» وكذلك كل عمل بالمدينة بألف . اهـ

وقال شارح «الإحياء» الإمام الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» ٤ / ٢٨٤ : وكذا قيل : إن الأعمال في المدينة كفضل الصلاة ، كل عمل بألف عمل . اهـ وينظر أيضا شرح مسلم للنووي ٩ / ١٥٣ .

✪فعن عبدالله بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام ، والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وشهرُ رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه ، إلا المسجد ا لحرام» . روه البيهقي في شعب الإيمان ٨ / ٨٦-٨٧ ، وأورده أيضا «صاحب إعلام الساجد» (٢٥٨) وصاحب «فيض القدير» ٤ / / ٢٤٦ ، وأورده الدكتور ملا خاطر في «فضائل المدينة المنورة» ١ / ٢٤٢ وقال : رواه البيهقي في شعب الإيمانِ ، وحسنه السيوطي ، وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عنده أيضاً ، وحسنه أيضاً ، وله شاهد آخر من حديث بلال بن الحارث عند الطبراني في الكبير والضياء في المختارة والديلمي وابن عساكر ، وصححه السيوطي وتعقب اهـ .

✪وذكر صاحب المرقاة شارح المشكاة علي القاري الجزء ٤ / ٣٣٥ شارحاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث ...» رواه مسلم . فقال :

● والحاصل : أنه عليه الصلاة والسلام أراد ترغيبهم في الباقيات ، وتزهيدهم عن الفانيات ، فذكره هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل ، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى أو بثوابها من الدرجات العلى وقد وقع نظير هذا لشيخ مشايخنا أبي الحسن البكري قدس الله روحه حيث التمس منه أصحابه من التجار نزوله من مكة إلى بندر جدة أيام إتيان الغرباء من سفر البحار معللين بأنهم يريدون حصول بركة نزوله إلى تجارتهم ، ومكمنين بأن يحصل لخدم الشيخ بعض منافع بضاعتهم ، فأبى واعتذر، فما فهموا وألحوا وبالغوا في المسئلة مع الاصرار .

✪فقال الشيخ : ما مقدار فائدة ربحكم في هذا السفر ؟ وكم أكثر ما يحصل لكم فيه من النتيجة والأثر ؟ فقالوا : يختلف باختلاف الأحوال وتفاوت الأموال ، وأكثر الربح أن يصير الدرهم درهمين ، ويكون الواحد اثنين ، فتبسم الشيخ وقال : إنكم تتعبون هذا التعب الشديد لهذا الربح الزهيد ، فنحن كيف نترك مضاعفة الحسنات بالحرم وهي حسنة بمائة ألف على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد علم

كل أناس مشربهم وهم مختلفون ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، والناس نيام إذا ماتوا انتبهوا عن المنام . اهـ من المرقاة .

● قال أبو طلحة : هذا ما قيل في الأعمال الصالحة في الحرمين الشريفين : بأنها تضاعف فيهما كفضل الصلاة فيهما . والحق إنها للبشرى السارة العظيمة ، وإنها للفرحة الكبرى العميمة لمنسوبي الحرمين الشريفين من العاكفين والزائرين ،

● **ولكنها خطيرة شديدة أيضاً:** لأنه (ذهب جماعة من العلماء إلى أن السيئات تضاعف بمكة كالحسنات منهم : ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وأحمد ابن حنبل وغيرهم لتعظيم البلد ، ثم قيل : تضعيفها كمضاعفة الحسنات بالحرم ، وقيل : بل كخارجه ، وأخذ الجمهور بالعمومات كقوله تعالى : ﴿ومن جاء بالسيئات فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ الأنعام : ١٦٠ .

وجعل بعض المتأخرين القول بالمضاعفة على أن المراد بها مضاعفة الكيفية لا الكمية ، فإن السيئة جزاؤها سيئة ، لكن السيئات متفاوتة : إذ ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في طرف من أطراف بلده ... ومما يدل على تعظيم الحرم المقتضى لتعظيم السيئة قوله تعالى : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الحج : ٢٥ . فقد أخذ منه جماعة كابن مسعود أن من خصوصياته أنه يعاقب على الهم فيه بالسيئة وإن لم يفعلها) مابين القوسين من «المرقاة شرح المشكاة» الجزء ٢ ص ١٨٩-١٩٠ .

وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى ١٢ / ٢٤ : ﴿ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نذقه من عذاب أليم﴾ الحج : ٢٥ وقال : والإلحاد في اللغة الميل ؛ إلا أن الله تعالى بين أن الميل بالظلم هو المراد ... وذكر بعده بقليل وقال :

✪ وكذلك كان لعبدالله بن عمرو بن العاص فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم ، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، وإذا أراد أن يصلّي صلّى في الحرم ، فقيل له في ذلك فقال : إن كنا لنتحدث أن من الإلحاد في الحرم أن نقول : كلا والله ، وبلى والله . والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات ، فتكون المعصية معصيتين : إحداهما بنفس المخالفة ، والثانية بإسقاط حرمة البلد الحرام" « ... وروى أبو داود عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال : «احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه» وهو قول عمر بن الخطاب . والعموم يأتي على هذا كله .

● ذهب قوم من أهل التأويل منهم الضحاك وابن زيد أن هذه الآية تدل على أن

الإنسان يعاقَب على ما ينويه من المعاصي بمكة وإن لم يعمله . وقد روى نحو ذلك عن ابن مسعود وابن عمر قالوا : لو همَّ رجل بقتل رجل بهذا البيت وهو (بعَدَن أبْيَن) لعذبه الله .

قلت - القرطبي - : هذا صحيح ، وقد جاء هذا المعنى في سورة ﴿ن والقلم﴾ في هذه الآية - أي ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنَّها مصبحين ۝ ولا يستثنون ۝ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾ القلم : ١٧ و ١٨ - فهو دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان ، لأنهم عزموا أن يفعلوا ، فعوقبوا قبل فعلهم ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ سورة الحج : ٢٥ .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال : «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قيل : يارسول الله ! هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : «إنه كان حريصا على قتل صاحبه» انتهى ماذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٥٧ .

✪ وكذلك ذكر القرطبي رحمه الله في موضعا آخر ١٤ / ١٣٥ مفسرا لقوله تعالى : ﴿ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ آل عمران : ١٣٥ وقال : فيه حجة واضحة ودلالة قاطعة لما قاله سيف السُّنة ، ولسان الأمة القاضي أبو بكر بن الطيب : أن الإنسان يؤاخذ بما وطَّن عليه بضميره ، وعزم عليه بقلبه من المعصية .

✪قلت - القرطبي - : وفي التنزيل : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ الآية . وقال : ﴿فأصبحتْ كالصريم﴾ القلم : ٢٠ . فعوقبوا قبل فعلهم بعزمهم - ثم ذكر الحديث «فالقاتل والمقتول في النار» - ثم قال : فعلق الوعيد على الحرص وهو العزم ، وألغى إظهار الصلاح ، وأنصُّ من هذا ما خرّجه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري وصححه مرفوعا :

✪«إنما الدنيا لأربعة نفر : رجل أعطاه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ، ويصِلُ رحمه ، ويعلم الله فيه حقا ، فهذا بأفضلِ المنازل .

✪ورجل آتاه الله علما ، ولم يؤتيه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلانٍ فهو نيته ، فأجرهما سواء .

✪ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل به رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل .

✪ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان

فهو نيته ، فوزرهما سواء» .
وهذا الذي صار إليه القاضي هو الذي عليه عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، ولا يُلتفت إلى خلاف من زعم أن ما يَهُمُّ الإنسان وإن وطّن عليه لا يؤاخذ به . ولا حجة له في قوله عليه الصلاة والسلام : «من همّ بسيّئة فلم يعملها لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة» لأن معنى «فإن عملها» أي أظهرها ، أو عزم عليها بدليل ما وصفنا ، وبالله توفيقنا . اهـ ما ذكره القرطبي .
✪ وهذه سبيعة بنت الأحب تقول في كلمة توصي ابنها فيها بتعظيم مكة وبيت الله تعالي وتذكر الملك تبع وما صنع بها :

ابني لا تظلم بمكة	لا الصغير ولا الكبير
ابني قد جربتها	فوجدت ظالمها يبور
الله آمنها وما	بنيت بعرصتها قصور
ولقد غزاها تبع	فكسا بنيتها الحبير
وأذل ربي ملكه	فيها فأوفى بالنذور
ويظل يطعم أهلها	لحم المهارى والجزور

زبدة الكلام

● قال الدكتور خليل ملا خاطر في «فضائل المدينة» ٣ / ٣٦٩ : يجب على القاطن في المدينة - ومثل ذلك في مكة - ألاّ يجرِّىء الناسَ على الحرم ، لأن المقيمَ إذا ارتكب الفاحشة في الحرم وهانت عليه ، أو ارتكب المحظور ، وهانت عليه نفسُه فرآه غيره ، فإن ذلك قد يُجرِّئه على ما هو أكبر ، وقد يجرِّيء العدو عليه ، فطالما المهابةُ موجودة في نفوس المسلمين ، تكون موجودة في نفوس أعدائهم ، فإذا زالت أو ضعفت من نفوس أهله ، زالت من نفوس أعدائهم من باب أولى .
ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : «ولن يستحل البيت إلا أهلُه ، فإذا استحلوه ، فلا يسأل عن هلكة العرب ، ثم تأتي الحبشة فيخربونه ...» الحديث رواه الديلمي

والطيالسي وابن أبي شيبة وابن حبان والحاكم وصححه وابن الجعد ورجاله ثقات .

✪ وهذا الحديث - وإن كان مختصا في مكة - إلا أنه يبين ، أن عدو الإسلام لا يقرب من حرم الله إلا استحله أهله ، فإذا استحلوه وزالت الهيبة من نفوسهم ، زالت من نفوس عدوهم ، لذا يعتدي عليهم ، وإن كان هذا الحديث في آخر الزمان ، لكن التحذير قائم . والله أعلم . اهـ .

✪ فمن أولى واجباتك يا ساكن الحرم المكي والمدني ! (الحرص على عدم ارتكاب الذنوب والخطايا ، لأن ذلك يورث مقت الله تعالى ، وذلك لشرف الموضع أيضاً ، إذ ربَّ معصية تورث طرد العاصي من الحرم ، والعياذ بالله تعالى ، بل قد تكون سببا في غضب الله عز وجل ، لأن الله تعالى يغار إذا انتهكت محارمه ، وهل أعظم من حرم المدينة وحرم مكة إذا انتهكا ؟! .

بل قد يشمل غضب الله تعالى وعقوبتُه الأمة كلها ، نتيجة ارتكاب الخطايا في الحرمين ، ولا أدل على ذلك من معاقبة الأمة كلها بإخفاء ليلة القدر ، نتيجة تلاحي شخصين كريمينِ من الصحابة ، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان فيه خيرٌ كثير .

● تلاحى اثنان ، فرفعا أصواتهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فرفع الله تعالى معرفة تلك الليلة المباركة ، فما عسى أن يقول المسلمون نتيجة تصرفات المسلمين الغوغائيين ، والأوباش في الحرم . من «فضائل المدينة المنورة» ٣ / ٣٦٥-٣٦٦ ، لملا خاطر حفظه الله .

● قال أبو طلحة : وهذه بعض الأبيات الشعرية لسويد بن عامر المصطلقي ينبه فيها ساكن الحرم على عدم أمانه من الموت فيه ، وفراقه الحرم موضع الأمن وما عنده من الزاد وفنائه يوما من الأيام ، وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : «لو أدرك هذا الإسلام لأسلم» وكان مشركا كما ذكره الحافظ في الإصابة ٦ / ٩٤ في ترجمة مسلم بن الحرث الخزاعي ثم المصطلقي ومن بعض أبياته :

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم	إن المنايا بجنبى كل إنسان
فكل ذي صاحب يوما يفارقه	وكل زاد وإن أبقيته فاني

● فكيف يأمن عاص مذنب وهو مجاور البيت الحرام من بطشة ربه وإن بطش ربك لشديد ، وقد حذر عن نفسه لجميع من عصاه من أهل الحرم وغيره وأنزل في

هذا الحرم المكي قوله : ﴿ءأمنتُم مّن في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ۝ أم أمِنتم من في السماء أن يُرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾ سورة الملك : وهي مكية رقم الآية : ١٦-١٧ .

● قال ابن عباس : أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه . قلت - القرطبي - ويحتمل أن يكون المعنى : أأمنتم خالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون . وقال : ﴿أن يرسل عليكم حاصبا﴾ أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل ، وقيل : ريح فيها حجارة وحصباء . (أعاذنا الله من ذلك) ذكره القرطبي ١٨ / ١٤١ .

● فالعاقل من وُعظ بغيره يحذّر الله عباده ويقول : ﴿وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمَرْنا﴾ بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إلى أهلها ﴿مترفيها﴾ متنعّميها وكبارها وملوكها ، والمترف من أبطرته النعمة وسعة العيش ﴿ففسقوا فيها ، فحقّ عليها القولُ فدمّرناها تدميراً﴾ الإسراء : ١٦ .

ثم قال : ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ الإسرار : ١٧ .

● **هام جداً** : قال في «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» ٢ / ٣٣٧ وفي الآية تهديد لهذه الأمة لا سيما مشركي مكة ، لكي يطيعوا الله ورسوله ﷺ ولا يعصوه ، فيصيبهم مثل ما أصابهم .

حكي أنه خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون ، فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً ، فقال الأسد للذئب : اقسم ، فقال : حمار الوحش للملك ، والغزال لي ، والأرنب للثعلب ، قال : فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربة ، فإذا هو منجدل بين يدي الأسد ، ثم قال للثعلب : اقسم هذه بيننا ، فقال : الحمار يتغذى به الملك ، والغزال يتعشىٰ به ، والأرنب بين ذلك ، فقال الأسد : ويحك ما أقضاك ! منْ علّمك هذا القضاء ؟ قال : الحكم الذي نزل برأس الذئب ، ولذا قيل : العاقل من وعظ بغيره . اهـ

وقال ابن كثير ٤ / ٥٥٤ في تفسير قوله تعالى : ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع ﴿وآمنهم من خوف﴾ أي تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً .

● **ولهذا من استجاب لهذا الأمر** جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبها منه كما قال تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرتْ بأنعم الله فأذاقها لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ النحل : ١١٢ . اهـ ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

ويحذر الله العصاة في مقام آخر ويقول : ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ ، وهذا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم في أية ساعة شاء وكل من شاء أن يأخذه من ناصيته على معصيته لكنه يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل . قاله المفسرون . وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب .

أتدري أين أنت ؟

● وذكر القرطبي في تفيسر قوله تعالى : ﴿أن طهرا بيتي﴾ ٢ / ٧٨-« ... وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه / سمع صوت رجل في المسجد فقال : ما هذا ! أتدري أين أنت !؟ وقال حذيفة قال النبي ﷺ : «إن الله أوحى إليّ : يا أخا المنذرين ! يا أخا المرسلين ! أنذر قومك ألاّ يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب سليمة وألسنة صادقة وأيد نقية وفروج طاهرة ، وألا يدخلوا بيتاً من بيوتي مادام لأحد عندهم مظلمة ، فإني ألعنه مادام قائماً بين يديّ حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها ، فأكون سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين» اهـ وحسن أولئك رفيقا ، اللهم وفقنا مرافقة هؤلاء في الجنة حتى نشرب معهم من لبن لم يتغير طعمه . آمين . وما ذلك على الله بعزيز .

● قال أبو طلحة : لـمّا قدَّمتُ كتابي هذا (وذلك قبل الطباعة) إلى بعض أهل العلم من أحبابي للنظر فيه لكي أستفيد من ملاحظاته ، فكتب الأخ أبو يوسف ناجي - حفظه الله - بعض الملاحظات في بعض المواقع من الكتاب ، فمنها ما كتبه على الرواية المذكورة أعلاه فهي :

● «ملاحظة» : أقترح أن يحذف هذا الكلام لأنه سيؤدي مردوداً عكسيا إلا إن كان صحيحاً عن عمر رضي الله عنه ، والناس مقصرون ومذنبون ، والصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ، وكذلك فإن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ، فإذا قرأ شخص هذا الكلام ، وعنده قصور مما حصل ، فإنه قد يفارق المسجد وينفرد به الشيطان . ثم قال : وفي مدلوله خطورة على من لم يكن عنده باع في الجمع بين النصوص إذا ظهر بينها تعارض ، فأخشى أن يبعد الناس الذين يقرأونه عن المسجد حتى يصبحوا أبرياء من كل الذنوب المذكورة - في الرواية - والصلاة في جماعة المسجد من العلماء من يقول : إنها فرض ، ولهم أدلة . يرجى الاهتمام بهذه الملاحظة . انتهىٰ كلام أبي يوسف حفظه الله .

● قال أبو طلحة : نعم القول قول أبي يوسف ، وقوله هذا من باب النصيحة للمؤمنين - جزاه الله خيراً - وإني إلى تصديق قوله لقاصد ، لأن للناس أجناس فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله وذلك هو الفضل الكبير ، فلذا نقلت ملاحظة الأخ بحروفه لئلا يفارق أحد باب بيت مولاه جل وعلا - وهو المسجد - ولا يكون عاصياً أكثر من الأول بترك صلاة الجماعة في المسجد لأن من العلماء من يقول : إنها فرض .

● ثم اعلم يا أخي ! فهل من باب غير باب مولاك حيث تقضىٰ الحوائج ، وتنال الرغائب ، وهل من بيت غير بيت مولاك حيث تغفر الذنوب وتمحى الآثام والحوب وتكتب محلها الحسنات ، (وإن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات) وقد قال تعالى : ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ .الفرقان : ٧٣

واعلم يا أخي ! أن حضن رحمة الله هو حياة المؤمن ، إلى متى نفر منه وإلى أين ؟ فإن استطعتم أن تهربوا منه بترك بابه فاهربوا ، وإن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من الله فارين من قضائه فاخرجوا ، فهل تستطيعون على ذلك ؟ كلا ، ثم كلا ، لا يستطيع ذلك أحد إلا بسلطان أي بقوة لأنه من ذلك بمعزل بعيد ، ها هو ربنا يرخص الجن والإنس ويخيّرهم فيقول : ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعْتم أن تنفُذوا من أقطار السموات والأرض فانفُذُوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ الرحمن : ٣٣ .

● **إخوتي في الله !** فمن الذي ليس له ذنب بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،

بل من الذي ليس له جبال الذنوب فأكثر ؟ ومن الذي ليس له الآثام مثل رمل لا تعد ، فلو بلغت ذنوبنا عنان السماء أو أكثر ، فنرضي ربنا بالتوبة الصادقة باكين مبتهلين خاشعين حتى تسيل الذنوب في سيل غفرانه وعفوه سبحانه .

● **فالبدار البدار** إلى التوبة والاستغفار لا التسويف فيه ولا العار ، ولو ارتكبنا المعاصي مثل رمل لا تعد ولا تحصى ، وقد قال تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ الزمر : ٥٣ .

واعلم ! قد دعا الله تعالى إلى مغفرته : من زعم أن المسيح هو الله ، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ، ومن زعم أن عزيرا ابن الله ، ومن زعم أن الله فقير ، ومن زعم أن يد الله مغلولة ، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة .

يقول تعالى لهؤلاء الأعداء : ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ المائدة : ٧٤

ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء : وهو فرعون اللعين الذي قال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ النازعات : ٢٤ ، وقال : ﴿ما علمتُ لكم من إله غيري﴾ القصص : ٣٨ .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما «من آيس عباد الله بعد هذا ، فقد جهد كتاب الله عزوجل ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه» .كما ذكره ابن كثير رحمه الله .

وأخرج ابن جرير عن أبي الجوزاء قال : اختلفتُ إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة ، فما من شيىء من القرآن إلا سألته عنه ، ورسولي يختلف إلى عائشة رضي الله عنها فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول لذنب : لا أغفر» كما في الدر المنثور ٢ / ١٦٩ .

● **بل هو الذي اعلن بنفسه فقال :** ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ ، ويقول : ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾ آل عمران : ٣٣ . ويقول : ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ الحديد : ٢١ ، ويقول : ﴿والله يدعوآ إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾ البقرة : ٢٢١ .

● **أخي في الله !** فهل من ملك من ملوك الدنيا إذا دعا رعيته إلى بابه بنفسه فقال لهم : تعالوا أيها الناس ! وقدموا إليَّ معروضكم بهذه الكلمات والصيغ

وسألوا ما شئتم استجب لكم ، فهل هو يردِ القادم إليه خائباً وخاسراً ؟ كلا ، لا يردهم خائباً ولا صفر اليد إذا كان ملكا عادلاً غير خادع .

● **فهذا ظنك** في الملك الفاني من الدنيا ، فما ظنك في الملك الباقي : وهنالك الولاية لله الحق ، وهو ملك الملوك الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء والذي لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون ، وهو أعدل العادلين ، و أصدق الصادقين ، والذي ﴿ يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ النمل : ٦٢ ، والذي يقول : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ غافر : ٦٠ فكيف يحرم عبده الذي دعاه إلى بابه .

بل عليك أن تقول له في جوابه كما قال نبيك محمد ﷺ : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» لأنه دعاك إلى بابه وتوكل بالإجابة قائلا : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ غافر : ٦٠ .

واعلم يا أخي ! قال العلماء : إن رحمة الله قريب من الداعين بلسان ذاكر شاكر ، وقلب حاضر طاهر ، وفي الحديث القدسي الصحيح : «أنا عند ظن عبدي بي» وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة» رواه أبوداود وأحمد كما في الفتح الكبير ٢ / ١٦٦ .

يعني ليكن الداعي ربه على يقين بأن الله يجيب ، لأن رد الدعاء إما للعجز في إجابته ، أو لعدم الكرم في المدعو ، أو لعدم العلم المدعو بدعاء الداعي ، وهذه الأشياء منفية عن الله تعالى ، فإنه عالم كريم قادر ، لا مانع له من الإجابة .

قال سهل رحمه الله : «ما أظهر عبد فقره إلى الله تعالى في وقت الدعاء ، في شيء يحل به إلا قال الله تعالى لملائكته : لو لا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك» .

و«حكي أن موسى عليه السلام مّر برجل يدعو ويتضرع ، فقال موسىٰ : لو كانت حاجته بيدي لقضيتها ، فأوحىٰ الله تعالى إليه : أنا أرحم به منك ، ولكنه يدعوني وله غَنَمٌ وقلبه في غنمه ، وأنا لا أقبل دعوة عبد قلبه عند غيري ، فذكر ذلك للرجل فتوجه إلى الله بقلبه فقضيت حاجته » . فيلزم حضور القلب ، وحسن الظن بالله في إجابة الدعاء . **وإذا وفق الله عبداً ودعاه إلى بيته لأداء الصلاة (فهل تدعو أنت إلى بيتك من لا تحبه)** ، ثم وفقه إلى نطق بأمرما ، فما وفقه إليه إلا وقد أراد إجابته فيه وقضاء حاجته ، وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم وكذلك عدم الحضور في بيته لأداء الصلاة مع أن مناديه ينادي بصوته الرفيع ليل نهار ويقول : «حي على الصلاة» و «حي على الفلاح» مذموم أيضاً ، لأنه كالمقاومة مع الله ، وفيه خطر لا خطر بعده وحرمان لا حرمان بعده ولا نقصان .

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : «لقد هممتُ أن آمر رجلاً يصلي بالناس ، وأنظر إلى أقوام يتخلفون عن الجماعة فأحرق بيوتهم » . متفق عليه .

هذا قول من هو رحمة للعالمين ، وقد شهد الله سبحانه بذلك قائلا ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء : ١٠٧ ، ولكن الرجل الذي يتخلف عن الجماعة ، يريد النبي ﷺ أن يحرق بيته .

قال العلماء : وهذا (الحديث) يدل على جواز إحراق بيت الذي يتخلف عن الجماعة ، فإذا علم جواز إحراق البيت على تركه السنة المؤكدة فما ظنك في إحراق البيت على طرق الواجب والفرض ؟

والرجل الذي يتخلف عن الجماعة فهو مغبون ومحروم من دعاء الملائكة (المعصومين) له بالمغفرة والرحمة والتوبة .

فقد قال رسول الله ﷺ : «صلاة الرجل في جماعة تُضعّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ، وذلك إنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة لم يخطُ خطوة إلا رُفعت له درجة وحُطّ عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملاءكة تصلّي عليه ما دام في مصلاه : اللهم صلّ عليه ، اللهم ارحمه ، ، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة » . متفق عليه .

وفي رواية وزاد في دعاء الملائكة : « ... اللهم اغفر له ، اللهم تب عليه» ، ما لم يُوذ فيه ، ما لم يُحدث فيه » متفق عليه ، . كما في المشكاة «باب المساجد ...» .

فيا أيها الناس ! ارجعوا إلى ربكم كيفما أنتم ، لأنه يجيب من أجابه ، ويترك من تركه ، ومن رجع إليه بقلب حاضر طاهر يقبله ، مهما كانت أحواله وأعماله .

● روي : أنه كان في بني إسرائيل شاب قد عبد الله عشرين سنة ، ثم عصاه عشرين سنة ، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته ، فساءه ذلك ، فقال : «إلهي أطعتك عشرين سنة ، وعصيتك عشرين سنة ، فإن رجعتُ إليك تقبلني ؟ فسمع هاتفاً من وراء البيت وهو يقول : أجبتنا فأجبناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، فإن رجعتَ إلينا قبلناك» ذكره في «تنوير الأذهان »٢ / ٤٨ .

فماذا يريد عبدالله بعد ذلك؟ فهل له من باب غير بابه سبحانه ؟ كلا ، لا ، ولله در القائل :

من أي بحر غير بحرك نستقي
ولأيّ باب غير بابك نقصد

● (حكاية غريبة) وذكر ابن القيم رحمه الله في هذا الباب حكاية مشهورة عن بعض العارفين : أنه رأى في بعض السكك باباً قد فتح ، وخرج منه صبيٌّ يستغيث ويبكي ، وأمه خلفه تطرده ، حتى خرج ، فأغلقت الباب في وجهه ودخلتْ ، فذهب الصبي غير بعيد ، ثم وقف مفكراً ، فلم يجد له مأوىً غير البيت الذي أخرج منه ، ولا من يؤيه غير والدته ، فرجع مكسور القلب حزيناً ، فوجد الباب مرتجاً ، فتوسّده ووضع خده على عتبة الباب ونام ، فخرجت أمه ، فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه ، والتزمته تقبّله وتبكي وتقول :

يا ولدي ! أين تذهب عني ؟ ومن يؤوك سواي ؟ ألم أقل لك لا تخالفني ، ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة بك ، والشفقة عليك ، وأرادتي الخير لك ؟ ثم أخذتْه ودخلتْ . انتهت القصة .

وقال ابن القيم رحمه الله بعد ذلك : فتأمل قول الأم : «لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة» . وتأمل قوله ﷺ : «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها» وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء . فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه ، فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به اهـ .

قال في « تنوير الأذهان » ٢ / ٤٤٠ : **اعلم أن التوبة بمنزلة الصابون** ، فكما أن الصابون يزيل الأوساخ كذلك التوبة تزيل الأوساخ الباطنية أعني الذنوب .

حكي : أن رجلا قال للدينوري : ما أصنع ؟ فكلما وقفت على باب المولى صرفتني البلوى ! فقال : كن كالصبي مع أمه كلما ضربته يجزع بين يديها ، فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها . اهـ .

فيا إخوتي في الله ! لا تتركوا باب الله . ولا بيتاً من بيوت الله ، وادخلوها لأداء الصلاة فيها ، ولطلب المغفرة منه سبحانه ، ولو كنتم غارقون في سبعة أبحر من الذنوب والآثام ، هو الرحيم والرحمن . يغفر الذنوب جميعا . ويقول : ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ النساء : ١٤٧ . ويسأل ويقول : ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ النور : ٢٢ .

فمن أراد البسط في هذا الباب - أي في باب رحمة الباري - فعليه أن يطالع كتابنا «جبال الذنوب وسيل الغفران» فإن في ذلك تسلية للمذنبين ، وقد أثنت على هذا الكتاب إذاعة المملكة العربية السعودية في شعبان سنة ١٤١٠ هـ ، وشجعت الناس على قراءته ، ولله الحمد والمنة .

● **تنبيه هام لجار بيت الله الحرام !** قال الغزالي رحمه الله في «منهاج

العابدين» في نهاية فصل «عقبة التوبة» : « ... فناقش نفسك وحاسبها ، وسارع إلى التوبة وبادر ، فإن الأجل مكتوم ، والدنيا غرور ، والنفس والشيطان عدوان وتضرع إلى الله سبحانه ، وابتهل إليه ، واذكر حال أبينا آدم عليه السلام ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه وحمله إلى جنته على أعناق الملائكة ، لم يذنب إلا ذنباً واحداً فنزل به ما نزل :

✪حتى روي أن الله تعالى قال لآدم -عليه السلام ! أي جار كنتُ لك ؟ قال : نعم الجار يارب ! قال : يا آدم ! اخرج من جواري ، وضع عن رأسك تاج كرامتي ، فإنه لا يجاورني من عصاني . **هذا** حاله مع نبيه وصفيه عليه الصلاة والسلام في ذنب واحد ، فكيف حال الغير في ذنوب لا تحصى ، وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف بالمصر المتعسف ، ولقد أحسن من قال :

يخاف على نفسه من يتوب

فكيف ترى حال من لا يتوب اهـ

وكذلك حال ابنه سيدنا داود عليه الصلاة والسلام وبكاؤه على خطيئة واحدة : قال سعيد بن جبير : إنما كانت فتنته النظرة . كما في تفسير القرطبي .

ثم ذكر القرطبي ١٥ / ١٢٢ مفسرا لقوله تعالى : ﴿فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب ۝ فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مئاب﴾ سورة ص : ٢٤-٢٥ فقال : في رواية : إنه - أي داود ﷺ - سجد أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا للصلاة المكتوبة ، فبكى حتى نبت العشب من دموعه .

وروي مرفوعاً من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : «إن داود مكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت العشب من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرض من جبينه ، وهو يقول في سجوده : يارب ! داود زلّ زلة بَعُد بها ما بين المشرق والمغرب ، رب ! إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده ، فقال له جبريل بعد أربعين سنة : يا داود ! إن الله قد غفر لك الهمّ الذي هممت به» .

(وذكر بعد قليل فقال :) قال الحسن وغيره : كان داود عليه السلام بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين ، ويقول : تعالوا إلى داؤد الخطّاء ، ولا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه ، وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه ، وكان يذرّ عليه الرماد والملح ويأكل ويقول : هذا أكل الخطائين ، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر ثم صام بعده الدهر كله وقام الليل كله ... اهـ ما ذكره القرطبي .

وأما طعام الخاطئين من أهل النار فقد قال تعالى فيه : ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ الحاقة ٣٥-٣٧ .

قال القرطبي : (الغسلين) فعلين من الغَسل ؛ فكأنه ينغسل من أبدانهم ، وهو سديد أهل النار السائل من جروحهم وفروجهم اهـ وهو شر طعام أهل النار قاله قتادة ، ذكره ابن كثير رحمه الله .

هذا حال مع نبيه داود عليه السلام في خطيئة واحدة ، فكيف حال الغير الذي كان له جبال الذنوب لا تعد ولا تحصى ، وهذا تضرعه وابتهاله أمام مولاه عز وجل ، فكيف بالمصر الذي لا يراجع توبة ، ولايرعوي عما يذم من الأمر . فعلينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب . وفق الله الجميع .

مقبرة مكة وزيارة النبي ﷺ المتكررة لأهل البقيع

● اعلم أن من فضائل هذا البقيع أن أهله هم أول من يحشر من مقابر الأرض ، بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فيحشرون في زمرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبرفقته ، وقد وردت نصوص كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان فضل البقيع .

✪ **أما مقبرة أهل الحرم المكي** (المعلى) فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما أشرف صلى الله عليه وسلم على المقبرة - وهي على طريقه الأولى - أشار بيده وراء الضفير ، أو قال : وراء الضفيرة - شك عبدالرزاق - فقال : «نعم المقبرة هذه» . فقلت للذي أخبرني : أخصَّ الشعَبْ ؟ قال : هكذا قال : فلم يخبرني أنه خص شيئاً إلا كذلك : أشار بيده وراء الضَفيرة أو الضفير . وكنا نسمع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصَّ الشعبَ المقابل للبيت . رواه أحمد في مسنده ١ /٣٦٧ ، ومصنف عبدالرزاق ٣ / ٥٧٩ ، ومجمع الزوائد ٣ /٢٩٧-٢٩٨ وقال الهيثمي : فيه إبراهيم بن أبي خداش حدث عنه ابن جريج وابن عيينة ، ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ .

✪ هذا ما ورد في فضل مقبرة مكة ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُكثر زيارة أهل البقيع ، إذ قلَّ أسبوع إلا ويأتيهم ، يسلم عليهم ، ويستغفر لهم ، وهذه مزية خاصة لا توجد لغيرها من مقابر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ومن مزيته الخاصة أيضاً بأن الله تعالى أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيه ويستغفر لأهله .

✪ فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ألا أحدثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قلنا : بلى ، قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندي ، انقلب ، فوضع رداءه وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرف إزارهِ على فراشه ، فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظنّ أن قد رقدتُ ، فأخذ رداءه رويداً ، وانتعل رويداً ، وفتح الباب رويداً ، فخرج ، ثم أجافه رويداً ، فجعلتُ درعي في رأسي ، واختمرتُ ، وتقنّعتُ إزاري ، ثم انطلقتُ على إثره ، حتى جاء البقيع ، فقام ، فأطال القيام . ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف ، فانحرفتُ أسرع ، فأسرعتُ ، فهرول ، فهرولتُ ، فأحضر ، فأحضرتُ ، فسبقتُه ، فدخلتُ ، فليس إلا أن اضطجعتُ ، فدخلِ فقال : «مالك يا عائش حشياً رابية ؟» قالت : قلت : لا شيء ، قال : «لتخبريني أو ليُخبرني اللطيفَ الخبير» قالت : قلت : يارسول الله - بأبي أنت وأمي - فأخبرتهِ ، قال : «فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟» قلت : نعم فلهدني في صدري لهدةً أوجعتني ، ثم قال : «أظننت أن يحيف اللهَ عليك ورسولُه؟» قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ، نعم . قال : «فإن جبريل أتاني حين رأيت ، فناداني ، فأخفاه منك ، فأجبته فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعَت ثيابك ، وظننتُ أن قد رقدت ، فكرهتُ أن أوقظك ، وخشيتُ أن تستوحشي ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتيَ أهل البقيع فتستغفر لهم» قالت : قلت : كيف أقول لهم يارسول الله ؟ ! قال : قولي : «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحمُ الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون» رواه مسلمٍ في صحيحه «كتاب الجنائز» رقم : ١٠٣ .

قوله ﷺ : «حشيا» الربو والتهيج الذي يحصل للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه ، وهو من ارتفاع النفس وتواتره . و«رابية» أي مرتفعة البطن . قاله العلماء .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من آخرِ الليل إلى البقيع فيقول : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا وإياكم متواعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد» رواه مسلم رقم : ٩٧٤ ، والنسائي : ٤/٩٣-٩٤ ، وأحمد : ٦/ ١٨٠ .

✪ قال العلماء : وفي الحديث دليل على فضل الدفن بالبقيع بدعائه من دُفن بها بالمغفرة ، ودعائه صلى الله عليه وآله وسلم مجاب ، وذلك في كل زمان كمايقتضيه عدم ذكر المخصص ، وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنه كان يدعو بذلك كل ليلة ، هي ليلتها وهي متكررة والدفن متكرر ، فكل من دفن يناله الدعوة

بـإذن الله ، وذلك فضل للمدينة ولمن يموت بها على غيرها من البلدان .
هذا ما ورد في فضل البقيع باختصار ، وفقنا الله لزيارته المتكررة اتباعا لنبينا ﷺ في الاستغفار والدعاء لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولأن في زيارة القبور امتثال لأمر الرسول ﷺ حيث قال : «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ...» رواه مسلم .

● التوفيق من الله قال أبو طلحة : وفقني الله مرات كثيرة للعمل على هذه السنة النبوية - والحمد لله - تركتُ أهلي - وهم نائمون - في الليالي الشتوية والصيفية ، فخرجتُ من منزلي الواقع في الحرة الشرقية بجوار مستشفى العيون (القديم) بالمدينة المنورة ، فانطلقت حتى جئت البقيع ، فسلمت على أهله السلام المسنون ، فقمت وطوّلتُ القيام ، ثم رفعت يدي ثلاث مرات دعوت لهم كما دعا لهم الرسول ﷺ ، وكل ذلك عملا بحديث المصطفى ﷺ .
وفي العمل على هذه السنة ، والمشي على الأقدام في جوف الليل نصفه أو ثُلُثه لهذا الغرض فقط لا لغيره ، فوالله ! فيه سرور وحبور ولذة للسالكين ، ومن لم يذق لم يدر ، واخترتُ الليالي الشتوية والصيفية لأداء هذه السنة متمنيا بذلك مصادفة ليلتي بليلته ﷺ ، وكذلك اخترتُ أيام الأسبوع السبعة لعدم ذكر يوم معين ، وليالي معينة في الأحاديث . والحمد لله على ذلك . وفي الأخير أدع الله سبحانه كما دعاه أحدهم وقال :

إلهي نجّني من كل ضيق	فأنت إلهنا مولى الجميع
وهب لي في المدينة مستقراً	ورزقا ، ثم دفنا في البقيع

● اللهم حقق بفضلك يا كريم ، واحشرنا مع نبيك ﷺ حتى نشرب معه في الجنة من لبن لم يتغير طعمه . آمين يارب العالمين .

● وهناك مبحث حول قبور أهل السعادة وقبور أهل الشقاوة أود أن أذكره إتماما للفائدة وهذا كما ذكره صاحب «تنوير الأذهان» ٤ / ٤٩٥-٤٩٦ مفسراً لقوله تعالى : ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ .
فقال : « ... وفيه إشارة إلى أن الميت إن كان من أهل السعادة فإنشاره من قبور أهل السعادة وإن كان مدفوناً في قبور أهلِ الشقاوة ، وإن كان من أهل الشقاوة فإنشاره من قبور أهل الشقاوة، وإن كان مدفونا في قبور أهل السعادة .
✪ولذا قال صاحب المشارق في خطبة كتابه : «إن من دفن بمكة ولم يكن لائقاً بها ،

تنقـــلـه المــــلائكــــة إلى موضعـــــع آخــــر ».

● وحكي أن شـخـصـاً كـان يقـال له (ابن هيـلان) من المبـالغين في التـشـيع ، بحيث يفضي إلى ما يستقبح في حق الصحابة ، مع الإسراف على نفسه ، بينما هو يهدم حائطاً إذ سقط فهلك ، فدفن في البقيع فلم يوجد ثاني يوم الدفن ، في القبر الذي دفن به ، ولا التراب الذي ردم به القبر ، بحيث يستدل بذلك لنبشه ، وإنما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير ، حتى كان ممن وقف عليه القاضي جمال الدين ، وصار الناس يجيئون لرؤيته أرسالاً ، إلى أن اشتهر أمره ، وعد ذلك من الآيات التي يعتبر بها من شرح الله صدره ، نسأل الله السلامة .

✪ وحكي أيضـــاً أن محمد بن إبراهيم المؤذن حمل ميتاً في أيام الحج ، ولم يوجد من يساعده عليه غير شخص ، قال : فحملناه ووضعناه في اللحد ، ثم ذهب الرجل وجئـــت باللـــبن لأجل اللحد ، فلم أجد الميت في اللحد ، فذهبت وتركت القبر على حاله .

✪ ونقل أن بعض الصلحاء ممن لم يمت بالمدينة رؤي في النوم وهو يقول للرائي سلم على أولادي وقل لهم : إني قد حُملت ودفنتُ بالبقيع عند قبر العباس ، فإذا أرادوا زيارتي فليقفوا هناك . ويسلِّموا ويدعوا كذا في المقاصد الحسنة للسخاوي . اهـ ماذكره في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان .

● قال أبو طلحة : ورأيت في النوم (وأنا في المدينة النبوية) قبور بعض أهل العلم من شيوخ شيوخي في البقيع الغرقد ، وهما : (١) الشيخ الشاه أشرف علي التهانوي (المدفون في الهند) المتوفى سنة ١٣٦٢هـ . (٢) والشيخ عطاء الله الشاه البخاري (مدفنه في باكستان) المتوفى سنة ١٩٦٤م وكلاهما كان من قبيلة السادات رحمها الله . وخدماتهما في الدين وإعلاء كلمة الله ما هي بخافية على أهل الهند وباكستان .

رأيت قبورهما في ليلة واحدة وفي وقت واحد وذلك في صدر باب بقيع الغرقد عند قبور أكابر الأمة . رأيتهما في قبورهما في حالة الشباب وكان النور يتلألأ من وجوههما كأنما فقيء على وجنتيهما مثل الرمان . غفر الله لهما ولجميع المسلمين .

✪ **تنبيه هام جدا** : هذه رؤيا منامية لا يثبت بها حكم شرعي ، فقد تكون واقعية كرامة من الله عز وجل لبعض عباده الصالحين ، وقد تكون مجرد رؤيا منامية وعلى كل حال فإن الأرض لا تقدِّس شخصاً ولا تنجِّسه ، وإنما يرفعه إيمانه ، وينجيه عمله إذا كان مؤمناً صالحاً ، والتقيُّ يكون قبره روضة من رياض الجنة ولو دُفن بين

قوم مجرمين ، والشقي يكون قبره حفرة من حفر النار ولو دفن بين قوم صالحين ، فالعبرة للعمل لا للمكان ، نسأل الله أن يجعل عملنا صالحاً ، ويختم لنا عمرنا بالموت على الإيمان ، إنه برٌّ رحيم ، جوّاد كريم . اهـ من هامش (تنوير الأذهان في تفسير روح البيان» اختصار وتحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني الأستاذ بجامعة أم القري بمكة المكرمة .

الحرمين أحب البلاد إلى الله وإلى رسوله ﷺ و إسراعه ﷺ إذا قدم إلى المدينة

● وقد ورد ت النصوص عن مكة المكرمة أنها أحب البلاد إلى الله وإلى رسوله ﷺ

وكيف لا ؟ وهي مولد سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ومنشأه ﷺ ومبوّأ أبيه إبراهيم ﷺ ، وهناك بيت نسبه سبحانه إلى نفسه فقال : ﴿أن طهّرا بيتي﴾ الآية ، وجعلها حرما آمناً ، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليها ، ورزق أهلها من الثمرات ثم ذكره في كتابه حكاية عن إبراهيم بقوله : ﴿وارزق أهله من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ إبراهيم : ٣٧ وحصل ذلك كله والحمد لله . فقال صلى الله عليه وآله وسلم في حب مكة :

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمكة : «ما أطيبك من بلد ، وأحبّك إليّ ، ولو لا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرَك» رواه الترمذي رقم الحديث ٣٩٢٢ . وصحيح ابن حبان ٦ / ٩ ، والمستدرك ١ / ٤٨٦ ، ومسند أبي يعلى ٥ / ٦٩ .

وعن عبدالله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم واقفاً على الحَزْوَرَة ، فقال : «والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولو لا أني أخرجتُ منك ما خرجتُ» رواه أحمد في مسنده ٤ / ٣٠٥ والترمذي في سننه رقم : ٣٩٢١ ، وابن ماجه في سننه رقم : ٣١٠٨ وغيرهم .

✪ وأما المدينة ودعاء تحبيبها : فقال صلى الله عليه وآله وسلم لمولاه : «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ...»

● وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى المدينة أسرع السير ، ويحرك دابته عند رؤيته لجدران المدينة عند قدومه من السفر ، وهذا من مظاهر محبته صلى الله عليه وآله وسلم للمدينة .

● فهل نجد هذا الحب للمدينة ولجدرانها وجبالها عند رؤيتها ؟ وعند قدومنا إليها من السفر ، فاستفت قلبك يا ساكن المدينة والقادم إليها ! فإن لم تجدها فلماذا ؟ وهل فكرت في هذا الموضوع يوماً من الأيام في حياتك بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحرك دابته لحبها ، وربنا سبحانه وتعالى أختار هذه البلدة لمن هو رحمة للعالمين ﷺ ، فصار محبوبا عنده ﷺ لحب الله إياها .

فعلينا أن نحبها ، ونسرع السير إليها ، ونحرك دابتنا أو مركبنا عند قدومنا إليها من السفر ، وذلك اتباعا له صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن أحب المدينة فبحبه ﷺ أحبها ، ومن حرّك دابته أو مركبه فبحبه ﷺ حرّكه و«المرء مع من أحب» كما في الحديث الصحيح .

ومن المعلوم أن المحب الصادق يحب كل ما كان منسوباً إلى حبيبه من الصورة والسيرة واللباس والهيئة ، وكذلك يحب حركاته وسكناته وقيامه وقعوده ، حتى يحب داره وجداره وكساءه ورداءه ، وفي ذلك قال الشاعر :

ومن عادتي حب الديار لأهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

وقال آخر :

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما تلك الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

وأحسن منه ما ذكره القرطبي في تفسيره ١٠ / ٣٢ فقال : والمقرون بالمحبوب محبوب ، والمقرون بالمكروه المبغوض ؛ مبغوض كما قيل :

أحب لحبها السودان حتى
أحب لحبها سود الكلاب اهـ

فالذي يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما ، وهذه المحبة لا محالة تضطر صاحبها إلى إتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شئونه كلها - إن شاء الله - قال الله تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ آل عمران : ٣١

وإن لم تدفع المحبة إلى عمل مندوب أو منسوب إلى حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف تدفع إلى إتباع السنة والوجوب ، فما هو إلا إدعاء للمحبة وليست بالمحبة ، وفي مثل ذلك أنشدوا :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... وهذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

● وإن كان دعوى المحبة جائزة مع المحبوب ، ولكن حال المحب وأعماله تخبر عن كذب دعواه هذه وصدقها ، وفي مثل ذلك أنشدوا :

وجائزة دعوى المحبة في الهوى
ولكنْ لا يخفى كلام المنافق

✪ وقال صاحب «أتحاف السادة المتقين» ٤ / ٤٥٩ : «ولا شك أن من ترك شيئاً من إتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإنه ينقص من محبة الله إياه على قدر ما نقص من إتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذب نفسه في محبته لله ، بعدم تمام الإتباع .

وعند أهل الله : لو اتبعه في جميع أموره ، وأخل بالإتباع في أمر واحد ما اتبعه قط ، وإنما اتبع هوى نفسه ، لا هو مع ارتفاع الأعذار الموجبة لعدم الإتباع ، هذا مقرر عندهم فلا ينبغي التساهل فيه . اهـ

ومن علامة محبته صلى الله عليه وآله وسلم محبة الرجل لكل ما يحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء ٢ / ٢٧ فقال :

«فبالحقيقة من أحب شيئاً أحب كل شيء يحبه ، وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس ، وقد قال أنس رضي الله عنه حين رأى النبي ﷺ يتتبّع الدُّباء من حوالي القَصعة ، فما زلتُ أحب الدباء من يومئذ اهـ .

✪ **وهذا** سيدنا أبوبكر وعمر رضي الله عنهما كان يزوران أمّ أيمن مولاةً النبيَّ ﷺ ويقولان : كان رسول الله ﷺ يزورها .

ولما وردت حليمة السعدية على النبي ﷺ بسط لها رداءه ، وقضى حاجتها ، فلما توفّي - ﷺ - وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك . اهـ من الشفاء .

✪ **وهذا** سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يضحك لما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضحك كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله في «الكلم الطيب» في فصل في ركوب الدابة عن علي رضي الله عنه وفيه :

« ... ثم ضحك ، فقيل : يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكتَ ؟ قال : إني رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل كما فعلتُ ، ثم ضحك ، فقلت : يارسول الله من أيّ شيء ضحكتَ ؟ قال : «إن ربك سبحانه وتعالى يَعجب من عبده إذ قال : «رب اغفرلي ذنوبي» يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري » . خرّجه أبو داؤد ، والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح اهـ .

● **وهذا** سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما آثر المشي على الركوب وهو ذاهب إلى

مسجد قباء مع وجود الدواب عنده . فلما قال له عبدالله بن قيس بن مخرمة ومعه بغلة له : «اركب أي عم ، قال : أي ابن أخي ! لو أردت أن أركب الدواب لوجدتها ، ولكني رأيت رسول الله ﷺ يمشي إلى هذا المسجد ، حتى يأتيَ ، فيصلي فيه ، فأنا أحب أن أمشيَ إليه كما رأيته يمشي ، قال : فأبى أن يركب ، ومضى على وجهه» . رواه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ١١٩ ورجاله ثقات .

● **وهذا** سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه تحت شجرة فأخذ غصناً منها يابساً فهزّه حتى يتحاتّ ورقُه ، ثم قال : يا أبا عثمان ! ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟ قلت : ولِمَ تفعله ؟ قال : هكذا فعل بي رسول الله ﷺ وأنا معه تحت الشجرة ، وأخذ منها غصناً يابساً فهزّه حتى تحاتّ ورقه ، فقال :« يا سلمان ! ألا تسألني لم أفعل هذا ؟» قلت : لِمَ تفعله ؟ قال : «إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلّى الصلوات الخمس ، تحاتتْ خطاياه كما تحات هذه الورق ، وقال : ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ هود : ١١٤ . رواه أحمد والنسائي والطبراني ، ورواة أحمد محتج بهم في الصحيح إلا علي بن زيد كذا في الترغيب .

✪ **وهذا** الإمام أحمد رحمه الله تعالى يقول : ماكتبتُ حديثاً إلا وقد عملتُ به ، حتى مّر بيِ أن النبي ﷺ احتجم ، وأعطى أبا طيبة ديناراً ، فاحتجمتُ وأعطيتُ الحجام ديناراً . ذكره صاحب «بذل المجهود في شرح سنن أبي داود» .

✪وذكر القاضي في الشفاء ٢ / ١٦ : وحُكِي عن أحمد بن حنبل قال : كنتُ يوماً مع جماعة ، تجردوا ودخلوا الماء ، فاستعملتُ الحديث : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر» ولم أتجرد ، فرأيتُ تلك الليلة قائلا لي : «يا أحمد ! أبشر ، فإن الله قد غفر لك بإستعمالك السنة ، وجعلك إمامًا يُقتدى بك ، قلت : من أنتَ ؟ قال : جبريل» . اهـ .

✪ **وهذا** الإمام أبو داؤد رحمه الله ، ناداه مناد : «يا أهل السفينة ! إن أبا داؤد اشترى الجنة من الله بدرهم» .

✪ كما أخرج ابن عبدالبر بسند جيد عن أبي داود صاحب السنن رحمه الله أنه كان في سفينة ، فسمع عاطسا على الشط حمد ، فاكترى قارباً بدرهم حتى جاء إلى العاطس فشمته ، ثم رجع ، فسئل عن ذلك ، فقال : لعله يكون مجاب الدعوة فلما رقدوا سمعوا قائلا يقول : «يا أهل السفينة ! إن أبا داؤد اشترى الجنة من الله بدرهم» . ذكره الحافظ في الفتح : ١٠ / ٦٢٦ .

● قال أبو طلحة : علم من هاتين القصتين - قصة الإمام أحمد وأبي داود رحمهما الله «إن الجنة مطوية بالسنة» أي بسنة حبيبي صلوات الله وسلامه عليه» وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .اهـ .

✪ **وقد قال الضحاك رحمه الله** : «مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم . وكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم ». ذكره القرطبي في تفسيره : ١٣ / ٢٤٢ .

فالتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المحبوب عندالله سبحانه في كل الشئون ، وإن كان الإتباع في بعض الأمور غير واجب ، وذلك لأن المحب لا ينظر إلى الفرق بين الواجب وغيره ، بل هو يتبع المحبوب لأجل حبه له ، وهذا أمر يعرفه أهل المحبة والعرفان .

قال سهل : من لم ير ولاية الرسول ﷺ عليه في جميع الأحوال ، ويرى نفسه في ملكه ﷺ ، لا يذوق حلاوة سنته ﷺ ، لأن النبي ﷺ قال : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» الحديث كما في الشفاء ٢ / ١٩ .

وقال عمرو بن قيس الملائي : إذا بلغك شيء من الخبر (أى الحديث) فاعمل به ولو مرة ، تكن من أهله .

وينبغي أن يستعمل ما يسمعه من أحاديث العبادات والآداب وفضائل الأعمال ، فذاك زكاة الحديث وسبب حفظه . اهـ

وقال وكيع رحمه الله : إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به .

اللهم وفقنا للعمل بسنن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وزينها في قلوبنا ، وكره إلينا التشبه بأعداء الإسلام ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر عيوننا باستعمال سنن حبيبك صلى الله عليه وسلم .آمين .

من أراد الحرمين وأهلهما بسوء أذابه الله في النار

● كما ذكرنا فيما مضى في تفسير آية : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الحج : ٢٥ : فقد أخذ منه جماعة كابن مسعود أن من خصوصياته (الحرم المكي) أنه يعاقب على الهم فيه بالسيئة وإن لم يفعلها . وأن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكة وإن لم يعمله .

كما ورد ذلك عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى المذكور : قال :

لو أن رجلا همّ بخطيئة - يعني ما لم يعملها - لم يُكتب عليه ، ولو أن رجلا همَّ بقتل رجلٍ عند البيت ، وهو بعَدن أبْيَن ، أذاقه الله عذاباً أليماً .

وفي رواية رفعه : «لو أن رجلاً همّ فيه بإلحاد . وهو بعدَنَ أبْيَنَ ، لأذاقه الله عذاباً» ينظر مسند أحمد ١ / ٤٢٨ . وأوردهما الحاكم في المستدرك ٢ / ٣٨٧-٣٨٨ وصححهما على شرط مسلم ، وأقره الذهبي . وأورده الحافظ في الفتح ١٢ / ٢١٠ .

✪ **هذا ما ورد في الحرم المكي وأهله** ، فليحذر المسلم من إيذاء أهله ولو كان بعيداً عنه وكل ذلك يدل على عظم مكانه عند الله سبحانه ، وكيف لا ؟ وأهل مكة أهل الله تعالى هذا كما قال النبي ﷺ لعَتّاب بن أسيد رضي الله : «استعملتُك على أهل الله» حينما استعمله على مكة .

✪وفي الإصابة ٤ / ٢١٢ : عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعمل عتاب بن أسيد على مكة ، وكان شديداً على المريب ، لينا على المؤمنين ، وكان يقول : والله لا أعلم متخلفا عن هذه الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه ، فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق ، فقال أهل مكة : يا رسول الله ! استعملت على أهل الله أعرابيا جافياً ، فقال - ﷺ - : «إني رأيت فيما يرى النائم : أنه أتى باب الجنة ، فأخذ بحلقة الباب فقعقعها حتى فتح له ودخل . اهـ

وقد ورد موقوفاً على عمر رضي الله عنه ، قاله لعامله على مكة : نافع بن عبدالحارث الخزاعي ، عندما استقبله وخلّف على أهل مكة : ابنَ أبزى . فقال عمر : استعملت على أهل الله رجلاً من الموالي ! ...» . رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين «باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه» رقم : ٢٦٩ ، وينظر مسند أحمد ١ / ٣٥ ، ووفاء الوفاء (١ / ٤٨) .

✪ **وأما أهل المدينة** : فقد حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من إيذاء أهل بلده ﷺ ، بأي نوع من أنواع الإيذاء ، و رتب الوعيد على الإرادة ، كما قال تعالى في حرم مكة : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الحج : ٢٥ . ذكره الإمام الصالحي في« فضائل المدينة» .

وهكذا الوعيد الشديد لمن ظلم أهلها أو أخافهم ، ووعيد من لم يُكرم أهلها ، وأن إكرامهم وتعظيمهم حق على الأمة ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم شفيع أو شهيد لمن حفظهم فيه ، وقوله ﷺ : «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبيَّ» رواه أحمد في المسند ٣ / ٣٥٤ ورجاله رجال الصحيح كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ / ٣٠٦ .

وفي لفظ عند مسلم (رقم : ٦٤٠) : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه «أن

رسول الله ﷺ قال : «ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص ، أو ذوب الملح في الماء»

● **وعن السائب بن خلاد أنه قال** : قال رسول الله ﷺ : «من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله عز وجل ، وعليه لعنة الله والملائكته والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا» رواه أحمد في مسنده : ٤ / ٥٥ .

✪ وفي المدارك للقاضي ١ / ٦٠ : قال محمد بن مسلمة : سمعتُ مالكاً - إمام دار الهجرة - يقول : دخلت على المهدي فقال : أوصني ، فقلت : أوصيك بتقوى الله وحده ، والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ ، وجيرانه ، فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : «المدينة مهاجري ، ومنها مبعثي ، وبها قبري ، وأهلها جيراني ، وحقيق على أمتي حفظ جيراني ، فمن حفظهم فيّ كنت له شفيعا أو شهيداً يوم القيامة ، ومن لم يحفظ وصيّتي سقاه الله من طينة الخبال» اهـ .

● **وقوله ﷺ** في جميع الروايات السالفة : «من أراد أهل المدينة» جاء عاما ، فيشمل من كان بها ، وأراد أهلها بسوء ، ومن كان خارجا عنها بعيداً عنها ، فدبّر لأهل المدينة الكيد والسوء . والنص شامل لهذين - والله أعلم - وإن كنتُ لم أر من نبه على ذلك لكن استدلال القاضي عياض بوفاة يزيد بن معاوية - وهو بعيد عنها - يشير إلى هذا ، ولهذا يحذر المسلمون من الإساءة إلى المدينة وأهلها ، سواء كانوا في المدينة أو كانوا بعيدين عنها ، حتى لا تدركه العقوبة . والله تعالى أعلم . من (فضائل المدينة) ١ / ٣٣٦ لملا خاطر .

✪ وقال أيضاً ١ / ٣٤١ : وكيف لا يستحق من أخاف أهل المدينة ظلماً ، أو آذاهم ... اللعنَ والطردَ ، والإذابة في النار ، كإذابة الملح في الماء ، أو الرصاص في النار ، وغضب الله عليه ، وإخافة الله تعالى له ، وعدم قبول أعماله .. ؟ وهو قد آذى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخاف ما بين جنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن أهل المدينة جيرانُه صلى الله عليه وآله وسلم ، ويلزم المسلمين إكرام جيرانه ، لا إخافتهم وظلمهم وإيذاؤهم ، ولهذا ينتقم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن من آذى جيرانَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدون حق فقد آذاه وأخافه صلى الله عليه وآله وسلم . اهـ

● **لذا فليحذر المسلم** - من كان وحيث كان - من إيذاء أهل الحرمين : أهل الله وجيران حبيب الله ﷺ ، حتى لا يستحق سوط عذاب الله الخفي أو الجهري .

الروضـة من الجنة ، والركن والمقام من الجنة

● واعلم أن لمدينة رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم ولمسـجـده الشـريف فضائل لا توجد لغيرهما من البلدان والمساجد ، ومن مزايا هذا المسجد الشريف أن جعل الله تعالى فيه موضعا من الجنة العالية ، وهو فيما بين منبره الشريف وبيته الشريف الذي كان يسكن فيه صلى الله عليه وآله وسلم مع السيدة عائشة رضي الله عنها ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها ودفن بها . وكانت تسكن فيه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ،

● كما في رواية لأحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإني واضع ثوبي وأقول : إنما هو زوجي وأبي (أي مدفونان فيه) ، فلما دفن عمر معهم فوالله ! ما دخلته إلا وأنا مشددة عليَّ ثيابي ، حياءً من عمر » . كما في المشكاة «باب زيارة القبور» .

● واعلم يقيناً أنه لا يوجد بقعة معينة ومحددة بحدودها في الأرض ، ولا أنها من الجنة إلا هذه وهي معلومة إلي يومنا هذا .

● واعلم أيضاً : أنه لا يُعرف قبر نبيٍّ ولا بيت نبي اليومَ على وجه الأرض غير قبر نبينا وبيته صلى الله عليه وآله وسلم . والله أعلم بالصواب

● وعن عبدالله بن زيد المازني رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» . رواه البخاري «باب فضل مابين القبر والمنبر» ورواه مسلم في صحيحه رقم (٥٠٠) .

وقال ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في التمهيد ٢ / ٢٨٧ : وقد استدل أصحابنا على أن المدينة أفضل من مكة بهذا الحديث اهـ .

وفي هامش «فضائل المدينة» للصالحي الشامي ص ١٢٨ : ونقل ابن فرحون في «مناسكه» قول الإمام مالك : إن الحديث على ظاهره ، فهي روضة من رياض الجنة ، تنقل إلى الجنة وأنها ليست كسائر الأرض تذهب وتفنى . اهـ

وقال الصالحي رحمه الله بعد ذكره : واختصت بذلك لكثرة تردده صلى الله عليه وآله وسلم بين بيته ومنبره وقرب ذلك من قبره الشريف . انتهى .

● **كيف تدعو وأنت في رياض الجنة ؟** قال أبو طلحة : هناك در نادر وثمين ما يتعلق بالروضة الشريفة وذلك لمن أراد أن يناله من المسلمين ، ولا يوجد هذا الدر في أي كتاب من الكتب كما أظن ، فإن كان خيراً فهو من عندالله سبحانه ، وإن كان غير ذلك فهو مني ومن الشيطان الرجيم .

✪ أُلقي في روعي قبل ثمانية عشر سنة ، وكنت في الروضة ، فذكرتُ قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحى وهو : «مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» فقلت في نفسي : إن هذه البقعة المباركة من الجنة حقيقة كما يدل عليه ظاهر الحديث ، ومن هذا المنطلق أيقنتُ بأني جالس في إحدى روضات الجنة .

فقمت وركعت ركعتين في الروضة ، ورفعتُ يديّ بالدعاء وأشرت إلي صاحب القبر الشريف صلوات الله وسلامه عليه وقلت :

اللهم هذا نبيك صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخبرنا بقوله : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوىٍ إن هو إلا وحي يوحى ، ولا مرية في قوله ولا شك ، وكأني جالس في جنتك نظراً إلى ظاهر الحديث الشريف .

✪ وها أنت تقول في الجنة وأهلها يارب المكروبين : ﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون﴾ ياسين : ٥٧ ، وتقول : ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعيُن﴾ الزخرف : ٧١ ، وتقول : ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ ق : ٣٥ .

أنت الحق وقولك الحق ، وتقول في قولك وفي حديثك : ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ ، وأنت الذي أمرتنا بالدعاء وتوكّلتَ بالإجابة قائلا : ﴿أدعوني أستجب لكم﴾ غافر : ٦٠ ، فلبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

✪ وأنت يا ربى! علّمتنا صيغ الدعاء كلها بواسطة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن المعلوم أن الملك الفاني من الدنيا إذا أخبر رعيته عن كلمات المعروض وصيَغه بالنفس ، ثم يَقول : قدّموا إليَّ معِروضكم بهذه الكلمات والصيغ فهو لا يرد معروض المقدِّم ، ولا يرده خائبا وخاسرا .

● **وأنت يارب العالمين !** مالك الملوك وأنت الحي القيوم ، الرزاق الوهاب المعطي الصمد القادر المقتدر الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام - بجميع أسماء الله الحسنىٰ - وتقول : ﴿أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ النمل : ٦٢ .

ولا ريب في ذلك كله ولا مرية : فأسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،أنت المستعان وعليك البلاغ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فلا تحرمني من باب جودك يا رب العالمين . . . إلى آخر الدعاء .

فبهذا وجدت ما وجدت وما دعوت والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي» صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة «باب ما بين القبر والمنبر» . وصحيح مسلم كتاب الحج «باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة» .

واعلم أيضاً أن جبل أحد في الجنة ، كما أخبر عن ذلك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقال : «إن أحداً جبلٌ يحبنا ونحبه ، وهو على تُرعَة من تُرع الجنة ، وعَيرٌ على ترعةٍ من ترع النار» . كما في سنن ابن ماجه رقم : ٣١١٥ .

هذا ما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض أجزاء المدينة من الجنة .

● **ويقابل ذلك في مكة المكرمة** : فالحجر الأسود والمقام فهما من الجنة أيضاً كما سأذكره في الفقرات الآتية إن شاء الله :

✪ فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «نزل الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضاً من اللَّبن ، ولكن سوَّدتْه خطايا بني آدم» كما في مسند أحمد ١ / ٣٠٧ . وسنن الترمذي رقم ٨٧٧ .

✪ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «الركن والمقامُ ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولو لا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب» . رواه الترمذي رقم ٨٧٨ وصححه . وصحيح ابن حبان ٦ / ٩-١٠ . وصححه . وأورده الحاكم في المستدرك ١ / ٤٥٦ .

✪ **وكذلك ماءزمزم من عيون الجنة** ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن زنجياً وقع

في زمزم فمات ، قال : فأنزل إليه رجلا فأخرجه ، ثم قال : انزفوا ما فيها من ماء ، ثم قال للذي في البئر : ضَع دلوَك من قِبل العين التي تلي البيت أو الركن ، فإنها من عيون الجنة . ينظر مصنف ابن أبي شيبة ١ / ١٦٢ ، وقد توسع في إثبات هذا الأثر الإمام اللكنوي في السعاية ١ / ٤٢٣ .

وذكر القرطبي في ا لجامع لأحكام القرآن ٩ / ٣٧٠ عن عبدالله بن عمرو قال : إن في زم زم عينا في الجنة من قِبل الركن .اهـ

وقرر الإمام الحافظ الحكيم الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ في كتابه «نوادر الأصول» صفحة ٣٤١ : في كلامه عن زمزم «إن الله تعالى أظهره من جنته غياثا» اهـ

فضائل ماء زمزم وبركاته وما يقابله في المدينة

● كيف ومتى ظهر ماء زمزم على وجه الأرض ؟؟ ذكر القرطبي رحمه الله مفسراً لقوله تعالى : ٩ / ٢٤٢ : ﴿ ربنا إني أسكنتُ من ذرّيتي بواد غيرِ ذي زرع عند بيتكَ المحرّم ... ﴾ إبراهيم : ٣٧ وقال :

روى البخاري عن ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المنطَق من قِبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتُعفّي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم - ﷺ - وبإبنها إسماعيل وهي ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ؛ وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ؛ ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفّى إبراهيمُ منطلقاً فتبعته أم إسماعيل - عليه السلام - فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا يُضيِّعنا ؛ ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ، ورفع يديه فقال : ﴿ ربِّ إني أسكنتُ من ذُرّيتي بوادٍ غيرِ ذي زرع ﴾ إبراهيم : ٣٧ ، حتي بلغ ﴿ يشكرون ﴾ ، وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتي إذا نفد ما في السقاء عطشتْ وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوّى - أو قال يتلَبَّطُ - أي يضطرب ويتحير - فانطلقتْ كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي ، رفعتْ طَرَف دِرعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، ثم جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت

عليه ، فنظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباسٍ : قال النبي ﷺ : «فذلك سعي الناس بينهما» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه ! تريد نفسها ، ثم تسمّعت فسمعت أيضاً فقالت : قد أسمعتَ إن كان عندك غواثٌ ! فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم ، فبحث بعَقِبه - أو قال : بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلتْ تحوِّضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ؛ قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « يرحم الله أمّ إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً مَعيناً » قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافي الضَّيعة ، فإن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يُضّيع أهله ؛ وذكر الحديث بطوله اهـ

وأن لماء زمزم فضائل كثيرة ، أذكر بعضها بدليل واختصار وهي كالآتي :

● **ماء زمزم غسل به سيد القلوب قلب سيد الرسل ﷺ** فروى البخاري عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر رضي الله عنهما يحدّث أن رسول الله ﷺ قال : «فُرج سقفُ بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ، ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذَهَب ، ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعَرج إلى السماء الدنيا ... » الحديث متفق عليه واللفظ للبخاري (كتاب الصلاة) باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء .

وفي رواية لمسلم في صحيحه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظّ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ... » الحديث صحيح مسلم (كتاب الإيمان ، باب الإسراء ١ / ١٤٨) .

● **وهناك مبحث نفيس حول ماء زمزم هل هو أفضل من ماء الكوثر أم لا ؟**

✪ ذكره الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله تعالى في «لامع الدراري على جامع البخاري» ٥ / ١٩٦ وقال : «أجمع العلماء على أن ماءها أفضل مياه الدنيا إلا ما نبع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهل ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر أيضاً ، اختلفوا فيه : فمنهم من قال : لا .

وذهب أهل التحقيق إلى كونه أفضل منه أيضا أخذاً مما روي في قصة المعراج من غسل الملائكة صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمائها ، فلو كان ماء الكوثر أفضل منه لجيء به كما لا يخفى اهـ .

✪وفي شرح الأشباه : إذا سُئلت ما أفضل المياه ؟ فقل ما نبع من أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى هذا قال بعض الفضلاء نظما وقد أجاد :

أفضل المياه ما قد نبع	بين أصابع النبي المتبع
فماء زمزم فماء الكوثر	فنيل مصر ثم باقي الأنهر

● وقال الزرقاني في شرح المهذب : واستدل شيخ الإسلام السراج البلقيني بغسل قلبه الشريف بماء زمزم على أنه أفضل من ماء الكوثر ، لأنه لم يغسل قلبه المكرم إلا بأفضل المياه ، وإليه يؤمي قول العارف ابن أبي جمرة في كتابه «بهجة النفوس» وتوقف السيوطي فيه : بأن كونه لا يغسل إلا بأفضل المياه مسلّم ، لكن بأفضل مياه الدنيا إذا الكوثر من متعلقات دار البقاء ، فلا يستعمل في دار الفناء ، ولا يستشكل أن يكون الطست من الجنة لأنه في استعماله ليس ذهاب عين بخلاف ذاك .

✪ وأجاب في الإيعاب : بأنه إذا سلم أنه لا يغسل إلا بأفضل المياه لزمه تسليم قول البلقيني وتخصيصه بأفضل مياه الدنيا لا دليل عليه ، والفرق بينه وبين الطست بما ذكر لا تأثير له ، لأن ذلك الوقت وقت إظهار كرامته وخرق العادة له ، وإلا لحرم استعمال الذهب ، وهذا مقتض لإستعمال ماء الكوثر لو كان أفضل ، فلما نزل إلي ماء زمزم اقتضى ذلك بقرينة المقام أنه أفضل منه ، وبهذا يرد على من نازع البلقيني أيضاً يعني السيوطي ، بخبر «لقاب قوس أحدكم في الجنة » الحديث إلى آخر ما بسط من الأسئلة والأجوبة إلى أن قال :

وما ذكرٍ فيه ، أي في ماء الكوثر من الخصوصية : أن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ، ورد في زمزم أعظم منه ، وهو أن من شرب منها للأمن من العطش يوم القيامة أعطيه ، كما يصرح به الحديث الصحيح .

✪وقول ابن الرفعة : الماء النابع من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم أشرف المياه ، لا يرد على البلقيني لأن النابع لم يكن موجوداً إذ ذاك ، ولا يرد على ابن الرفعة الحديث الصحيح : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم» لأن ما نبع من أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن موجودا عند قوله ذلك اهـ .

والحديث الذي ورد في الماء النابع من أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رواه البخاري في كتاب المناقب «باب علامات النبوة في الإسلام ومسلم رقم ٥-٧ كتاب الفضائل «باب معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم» وهو كالآتي :

✪ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابَه بالزوراء (قال : والزوراء بالمدينة عند السوق ، والمسجد فيما ثَمّة) دعا بقدح فيه

ماء ، فوضع كفه فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ جميع أصحابه ، قال : قلت : كم كانوا يا أبا جمرة ؟ قال : كانوا زهاء الثلاثمائة . اهـ

وفي رواية أخرى للبخاري : « ... فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : «حيَّ على الطهورِ المبارك ، والبركة من الله» فلقد رأيت الماءَ ينبعُ من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

✪ زاد في رواية : «فجعلتُ أبادرهم إلى الماء أُدخله في جوفي لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : البركة من الله» رواه البخاري في صحيحه (كتاب المناقب) باب علامات النبوة في الإسلام ، وهذه الزيادة عند أحمد في المسند ١ / ٤٦٠ ، وأورده الحافظ في الفتح ٦ / ٥٩٢ .

● زمزم ماء قد مج فيه رسول الله ﷺ ليتبارك ذلك البئر إلى قيام الساعة :

فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال : جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى زمزم فنزعنا له دلواً ، فشرب ، ثم مج فيها ، ثم أفرغناها في زمزم ، ثم قال : لو لا أن تُغلَبوا عليها لنزعت بيدي» كما في مسند الإمام أحمد ١ / ٣٧٢ . وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/١٩٣ : إسناده على شرط مسلم .

وفي رواية لأحمد في المسند ٤ / ٣١٨ : «أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بدلو من ماء زمزم ، فتمضمض ، فمجَّ فيه أطيب من المسك أو قال : مسك» اهـ .

✪ وذكر الشيخ سائد بكداش في «فضل ماء زمزم» ص ٦٤ : قول المحدث الفقيه ظفر أحمد التهانوي رحمه الله في «إعلاء السنن» فقال : وبهذا تعلم أن بركة ريقه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم قد حلّت على بركة زمزمٍ ، «فازداد ماءُ زمزم بركة على بركة ، ولذة على لذة ، وشفاءً على شفاء ، ونوراً على نور ، وطَهوراً على طهور ، بمجه صلى الله عليه وآله وسلم في دلوٍ قد أُهريق في زمزم .

✪ فما أرحمه على أمته ، وأرأفه بها ، حيث لم يرض بحرمان مَن يأتي بعده صلى الله عليه وآله وسلم من أمته إلى يوم القيامة من فَضل سُؤره ، وبركة طَهوره ، فديناه بآبائنا وأمهاتنا ، صلاة الله وسلامه عليه أبد الآبدين ، وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين . انتهى .

● زمزم خير ماء على وجه الأرض فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام الطّعم ، وشفاء السُّقم» ذكره ابن حبان في صحيحه وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (مع الفيض) ٣ / ٤٨٩ . وينظر مجمع الزوائد أيضا ٣ / ٢٨٦ .

● **ظهور سيد الأشربة بواسطة سيد الملائكة:** وذلك بأمر الله تعالى ، ولو شاء الله تعالى لأمر الماء أن ينبع ويخرج بنفسه ، ولكن لما أراد الله إظهار شرف هذا الماء ، وعظيم قدر مَن خرج له ، أمر سيد الملائكة جبريل عليه السلام ، فضرب الأرض بجناحه - كما مر - فخرج هذا الماء المبارك «في مقر مبارك ، لسيد مبارك ، بواسطة فعل أمين مبارك ، فكان في ذلك زيادة له في التشريف والتعظيم ، والله عز وجل يفضّل ماشاء من مخلوقاته» بهجة النفوس لابن أبي جمرة ٣ / ١٨٩ .

● **ماء زمزم نبع في أقدس بقعة على وجه الأرض** وذلك عند بيت الله الحرام وقرب الركن والمقام ، وما كان هذا المقرّ المبارك ليأتي هكذا ، لكن ليُعلم كبير شرف هذا الماء ، وعظيم قدره ، حيث أختار الله له هذا المكان المناسب لخيريته وبركته ، فكان عند بيته المعظم ، سقيا من الله لضيوفه من الحجاج والعمار وجيران البيت العتيق . من «فضائل ماء زمزم» للأستاذ سائد بكداش .

● **ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم:** لقد ورد في فضل ماء زمزم بعض أمور مثل : هي طعام طعم وشفاء سقم : وهي لما شرب له . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام الطّعم ، وشفاء السُّقم» ذكره ابن حبان في صحيحه وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (مع الفيض) ٣ / ٤٨٩ . وينظر مجمع الزوائد أيضا ٣ / ٢٨٦ .

✪ وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ماء زمزم لما شرب له» . سنن ابن ماجه ، المناسك «باب الشرب من زمزم» ٢ / ١٠١٨ ، وحسنه ابن القيم في زاد المعاد ٤ / ١٤٨ . وقال الهيثمي في حاشيته على مناسك النووي ص ٤٠٤ : والذي استقر عليه أمر محققي المحدثين أنه حسن أو صحيح .

✪ وزاد الحاكم في المستدرك ١ / ٤٧٣ : من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : «فإن شربتَه تستشفي به شفاك الله ، وإن شربتَه مستعيذاً أعاذك الله ، وإن شربتَه ليقطع ظمأك قطعه الله» .

✪ قال الإمام المُناوي في شرح هذا الحديث : «ماء زمزم لما شُرب له ، لأنه سقيا الله وغياثه لولد خليله ، فبقي غياثا لمن بعده ، فمن شرب بإخلاص وجَدَ الغوث .

قال الحكيم الترمذي : هذا جار للعباد على مقاصدهم وصدقهم في تلك المقاصد والنيات ، لأن الموحِّد إذا رابه أمرٌ فشأنه الفزَع إلى ربه ، فإذا فزِع إليه ، واستغاث به وجد غياثا ، وإنما يناله العبد على قدر نيّته » فيض القدير ٥ / ٤٠٤ .

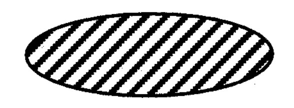
✪ وقال في «نيل الأوطار» ٥ / ١٧٠ : وإن لفظ (ما) في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لما شرب له» من صيغ العموم - فتعم أيّ حاجة دنيوية أو أخروية - .

✪ وقال في نوادر الأصول ص ٣٤١ : «فالشارب لزمزم إن شَرِبه لشَبَع أشبعه الله ، وإن شربه لرِيّ أرواه الله ، وإن شربه لشفاء شفاه الله ، وإن شربه لسوء خُلُق حسّنه الله ، وإن شربه لضيق صدر شرحه الله ، وإن شربه لغنى النفس أغناه الله ، وإن شربه لحاجة قضاها الله ، وإن شربه لأمر نابه كفاه الله ، وإن شربه لكُربة كشفها الله ، وإن شربه لنُصرة نَصَره الله . وبأية نية شربها من أبواب الخير والصلاح ، وفّى الله له بذلك ، لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غياثاً» اهـ .

✪ وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه الطويل في قصة إسلامه وفيه : «ولقد لبثتُ - يا ابن أخي - ثلاثين ، بين ليلة ويوم ، وما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنتُ حتى تكسّرت عُكَنَ بطني ، وما وجدت على كبدي سُخفَةَ جوع ... قال : وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى استلم الحجر ، وطاف بالبيت ... قال : «متى كنتَ هاهنا ؟» قال : قلت : كنتُ هاهنا منذ ثلاثين ، بين ليلة ويوم ، قال : «فمن كان يُطعمك ؟» قال : قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، سمنتُ حتى تكسَّرت عُكَنُ بطني ، وما أجد على بطني سخفة جوع . قال - ﷺ - : «إنها مباركة ، إنها طعام طعم ...» الحديث رواه مسلم رقم ١٣٢ كتاب فضائل الصحابة .

● **ماء زم زم حنك به النبي ﷺ الحسن والحسين رضي الله عنهما** : عن حبيب ابن أبي ثابت قال : قلت لعطاء : آخذ من ماء زمزم ؟ - يسأله عن حمله من مكة إلى غيرها - قال : نعم ، قد كان رسول الله ﷺ يحمله في القوارير ، وحنك به الحسن والحسين رضي الله عنهما بتمر العجوة» . ذكره الفاكهي في «أخبار مكة» ٢ / ٥١ .

● **والحكمة من التحنيك بزمزم** - والله أعلم - هو أن يكون أول ما يدخل إلى فم المولود - ذكراً أو أنثى - هو هذا الماء الطيب المبارك ، الذي غسل به سيد القلوب قلب سيد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ممزوجا بريق الصالحين ، رجاء أن ينبت نباتاً حسناً بإذن الله .



بعض أخبار المستشفين بماء زمزم

● ذكر القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ربنا إني أسكنتُ من ذريتي ...﴾ إبراهيم : ٣٧ : وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته تشتفي به شفاك الله ، وإن شربته لشبعك أشبعك الله به ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه ، وهي هزمة جبريل ، وسقيا الله إسماعيل» .عليهما الصلاة والسلام .

وروى أيضا عن عكرمة قال : كان ابن عباس إذا شرب من زمزم قال : اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء» .

✪ **(هام جداً)** : قال ابن العربي : وهذا موجود فيه إلى يوم القيامة لمن صحت نيته ، وسلمت طويته ، ولم يكن به مكذِّباً ، ولا يشربه مجرباً ، فإن الله مع المتوكلين ، وهو يفضح المجرِّبين . اهـ ما ذكره القرطبي .

● استشفاء الإمام أحمد بن حنبل بزمزم وهذا الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ حدث عنه ابنه عبدالله قال : رأيته يشرب من ماء زمزم ، يستشفي به ، ويمسح به يديه ووجهه . كما في سير أعلام النبلاء للذهبي ١١ / ٢١٢ .

● استشفاء الإمام ابن القيم بزمزم : قال ابن القيم رحمه الله : «وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض ، فبرأت بإذن الله» كما في زاد المعاد ٤ /٣٩٣ .

وقال : ولقد مر بي وقتٌ بمكة سَقمتُ فيه ، وفقدتُ الطبيب والدواء ، فكنت أتعالج بها - أي بزمزم - بقوله تعالى : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ آخذ شربة من ماء زمزم ، وأقرؤها عليها مراراً ، ثم أشربه ، فوجدت بذلك البُرء التام ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع ، فأنتفع بها غاية الإنتفاع» . زاد المعاد ٤ / ١٧٨ .

● حصول الشفاء للإمام الشعراني من دُبلة في بطنه بشربه زمزم قال الإمام المذكور رحمه الله : «لما حججتُ سنة سبع وأربعين وتسعمائة ، كان في باطني دُبلة قدر البطيخة ، وكان الحكماء بمصر أجمعوا على شق جنبي وإخراجها من تحت طباق البطن ، فألهمني الله تعالى أني شربت بعد طواف الوداع من ماء زمزم على نية الشفاء منها ، فحصل لي بعد الشرب حرارة في الباطن ، حتي طبخت تلك الدبلة ،

وخرجت سوداء مقطّعة مهبّرة - هو لحم بدون عظم - حتى ملأت طَشْتاً ، وهذا أمر لم يكن في قدرة الحكماء فعله» . كما في «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية» للشعراني ص ٢٤٢ .

✪هناك كثير من الناس قد نالوا الشفاء بماء زمزم ، وأخبار الإستشفاء بها كثيرة حتى قال الإمام القزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ :

✪«وماء زمزم صالح لجيمع الأمراض المتفاوتة ، **قالوا : لو جُمع جميع مَن داواه الأطباء ، لا يكون شطراً ممن عافاه الله تعالى بشرب ماء زمزم**» من «عجائب المخلوقات» ص ٩٣ .

نيات الصالحين عند شربهم لماء زمزم

● قد مرقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «ماء زمزم لما شرب له» ،

قال العلماء : ففيه الحرص على استحضار نيات معينة عند شرب زمزم ، وكذلك يفهم منه : أن الدعاء مستجاب عند شربه ، وقد نال كثير من الناس ما أرادوا بشرب ماء زمزم ، ووجدوا ببركته ما فقدوا من حاجاتهم الدنيوية والأخروية ، وإليك بعض الأخبار في ذلك :

● نية سيدنا عمر رضي الله عنه عندشربه لزمزم وما أحسن النية لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند شربه لزمزم: روي أنه لما شرب ماء زمزم دعا بقوله : « اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة» كما في «الجوهر المنظم» ص ٤٢ نقلا عن ابن المقري ، نشر الآس لوحة ١٧ أ .

● نية سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهذا من جامع الدعاء - الذي تضمن خيري الدنيا والآخرة - لحبر الأمة وترجمان القرآن سيدنا عبدالله بن عباسٍ رضي الله عنهما كان إذا شرب ماء زمزم قال : «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء» كما في المستدرك للحاكم ١ / ٤٧٣ ، ومصنف عبدالرزاق ٥ / ١١٣ ، سنن الدار قطني ٢ / ٢٨٨ .

● نية الإمام أبي حنيفة رحمه الله لّما شرب زمزم ذكر الزمزمي في نشر الآس ١٦ب : عن «قرة العين» للشيخ غسان الواعظ الرومي :

«أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه شربٍ ماء زمزم ليكون من أعلم العلماء ، فكان كذلك ، وناهيك به علماً وصلاحاً وفضلاً» اهـ

● **نية الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله عند شربه لزمزم** رُوي أنه «أتى زمزم فاستقى منه شربة ، ثم استقبل الكعبة ، ثم قال : «اللهم إنّ ابن أبي الموالي حدثنا عن محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «ماء زمزم لما شرب له» وهذا أشربه لعطش يوم القيامة ، ثم شربه» . قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٢١٠ : رواه أحمد بإسناد حسن .

● **نية الإمام ابن العربي المالكي لما شرب زمزم** روي عنه أنه قال : «ولقد كنت بمكة مقيماً في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وكنت أشرب ماء زمزم كثيرًا ، وكلما شربته نويتُ به العلم ، ونسيت أن أشربه للعمل ، وياليتني شربتُه لهما ، حتى يفتح الله عليّ فيهما ، ولم يقدّر، فكان صغوي إلى العلم أكثر منه إلى العمل، ونسأل الله الحفظ والتوفيق برحمته» . «أحكام القرآن» ١ / ١٢٤ .

✪ رحم الله هذه النفوس الطيبة ما أكثر تواضعها لله ، وتبرؤها عن دعوى العمل وقد بلغوا في ذلك ما بلغوا .

● **نية والد الإمام ابن الجزري لما شرب زمزم** قال الحافظ السخاوي في ترجمة الإمام الحافظ ابن الجزري محمد بن محمد المتوفى سنة ٨٣٣ : «كان أبوه تاجراً ، ومكث أربعين سنة لم يرزق ولداً ، فحج وشرب ماء زمزم بنيّة أن يرزقه الله ولداً عالماً فوُلد له محمد الجزري بعد صلاة التراويح سنة ٧٥١هـ» كما في «الغاية شرح الهداية في علم الرواية» لابن الجزري ، للحافظ السخاوي ص / ٨

● **نية الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني لما شرب زمزم** قال الحافظ ابن حجر أحمد بن علي رحمه الله : «وأنا شربته مرة وسألت الله وأنا حينئذ في بداية طلب الحديث أن يرزقني الله حالةَ الذهبي في حفظ الحديث ، ثم حججتُ بعد مدة تقرُب من عشرين سنة ، وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة ، فسألته رتبة أعلى منها ، فأرجو الله أن أنال ذلك» «جزء من حديث ماء زمزم» لابن حجر ص ١٩١ .

✪ قال تلميذه الحافظ السخاوي : «وقد حقق الله له ذلك» اهـ

✪ وقال السيوطي بعد أن ذكر خبر ابن حجر وشربه زمزم ، قال : «فبلغها وزاد» طبقات الحفاظ ص ٥٤٧ .

● **نية الإمام ابن خزيمة لمّا شرب زمزم** روي عن الإمام الحافظ الحجة ابن خزيمة محمد بن إسحاق صاحب الصحيح المتوفى سنة ٣١١ أنه : «سئل من أين

أوتيت العلم ؟ فقال : قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم : «ماء زمزم لما شرب له» وإني لما شربتُ سألت الله علماً نافعاً» كما في «سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٧٠ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٢١ .

● **نية الإمام الحاكم عند شربه زمزم** رُوي عن الإمام الحافظ المحدِّث أبي عبدالله الحاكم - محمد بن عبدالله ، المتوفى سنة ٤٠٥ - أنه شرب ماء زمزم لُحسن التصنيف ، ولغير ذلك ، فصار أحسن أهل عصره تصنيفاً . ينظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ / ١٠٤٤ .

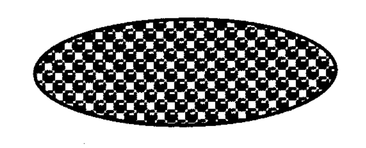
● **فشارب زمزم ينال من ذلك على قدر نيته** وتوجهه إلى ربه تعالى ، وإخلاصه في الدعاء ، وعلى قدر بعده عن موانع إجابة الدعاء ، كأكل المال الحرام ، واستعجال الإجابة .

وفي رواية للإمام مالك في موطئه ١ / ٢١٧ عن زيد بن أسلم أنه كان يقول : «ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث : إما أن يُستجاب له ، وإما أن يُدّخر له ، وأما أن يُكَفّر عنه» . اهـ .

وفي رواية للإمام أحمد في المسند ٢ / ٤٤٨ : « . . . إلا أعطاها إياه ، إما أن يعجلها له ، وإما أن يدّخرها له» اهـ .

✪ وهكذا فالأصل باقٍ أن زمزم شفاء سُقم ، وأنه لما شرب له ، وكما قال القاضي ابن العربي المالكي : «إن هذا موجود إلى يوم القيامة ، لمن صحّت نيته ، وسلمت طويته ، ولم يكن مكذّباً ، ولا شربه مجرَّباً ، فإن الله مع المتوكلين ، وهو يفضح المجرِّبين» أحكام القرآن ٣ / ١١٢٤ .

هذا كله من كتاب «فضل ماء زمزم» للأستاذ سائد بكداش بحذف وزيادة ، وبتصرف يسير .



أفرأيتم الماء الذي تشربون؟

● قال أبو طلحة : هذا جزء من «آية رقم : ٦٨ من سورة الواقعة » يسأل رب العباد العباد في هذه الآية عن الماء الذي يشربونه ولا يشكرونه حق شكره على انتفاعهم بماء عذب غير مالح فيسألهم ويقول : « ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون ؟﴾ أي لتحيوا به أنفسكم ، وتسكنوا به عطشكم ﴿ءأ نتم أنزلتموه من المزن﴾ السحاب ﴿أم نحن المنزلون؟﴾ فإذا عرفتم بأني أنزلته فلِمَ لا تشكروني بإخلاصِ العبادة ؟ ولِمَ تنكرون قدرتي على الإعادة ؟ ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ أي ملحا شديد الملوحة قاله ابن عباس . وقال الحسن : مراً قُعاعاً لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما . ﴿فلو لا تشكرون﴾ أي فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم » ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن » ١٧ / ١٤٣ .

قوله تعالى : ﴿فلو لا تشكرون﴾ ذكر ابن كثير في تفسيره ٤ / ٢٩٧ : عن أبي جعفر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال : «الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا» . اهـ .

● وكذلك في هذه الآية يدعو سبحانه وتعالى عباده بالنظر إلى الماء والفكر في منافعه، وليس المراد بالرؤية والنظر هنا النظر العادة الذي يلقيه الإنسان عند شربه على الماء لينظر فيه ما يضره من القذى أو غيره ، بل المراد منه الرؤية الفكرية القلبية بقصد القربة التي نحن في غفلة منها إلى الآن (إلا من يوفقه الله سبحانه) ليكون أزيد في بصائر الإنسان ، وفيه حجة ودلالة على أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، وفي مثل ذلك أنشدوا :

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

● وقال تعالى في مقام آخر في سورة النحل : ١٠-١١ : « ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ○ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ أي يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها ولهذا قال : ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ أي دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى : ﴿أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق

ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ؟ ءإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون﴾ قاله ابن كثير رحمه الله تعالى : ٢ / ٥٦٥ .

✪ واعلم أن التفكر في مخلوقاته سبحانه من السموات والأرض وما بينهما نوع من أنواع الذكر والعبادة . وفي الصحيح للإمام البخاري : «وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه» . «باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت» .

✪ قال العلماء في معنى الحديث المذكور : إنما هو ذلك - أي التفكر - لا الذكر اللساني فقط ، فإنه لا يمكن استدامه ، لأن الإنسان ما دام في الدنيا لا يمكنه أن يصرف جميع أوقاته إلى التسبيح لكونه محتاجا إلى نوم وأكل وشرب ، وتحصيل مأكول ومشروب وملبوس ومركوب وغير ذلك من الحوائج اهـ .

✪ فعلم من ذلك أن التفكر في المخلوق والإعتبارمنها نوع من الذكر والعبادة ، وذلك - أي التفكر والنظر - خاص بالإنسان دون الحيوان ، ومن لم يتصف بالتفكر فهو كالأنعام بل هو أضل منها فإن الأنعام يسبحون الله نوعا من التسبيح ، قال تعالى : ﴿إن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ الإسرار : ٤٤ ولكن لا يتفكرون في مخلوقه سبحانه .

● **فكيف لا يكون التفكر في المخلوق ذكر وعبادة** وقد حض الله تعالى علي ذلك فقال ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ...﴾ الروم : ٨ ، وقال تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ الحشر : ٢١ ، وقال تعالى : ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يونس : ٢٤ ، وقال تعالي : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ الأعراف : ١٧٦ ، والآيات في ذلك كثيرة تركناها للإختصار .

● بل قد ذم الله تعالى من لم ينظر إلى ما خلق الله بنظر الاعتبار ، ولم يكتف على ذلك بل شبههم بالحيوانات وقال فيهم : إن هؤلاء أضل من الحيوان طريقاً ، وعدهم من الغافلين فقال : ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ (أي : لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار ﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ سماع تأمل وتذكر ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ عن أمر الآخرة وما أُعدَّ فيها للعصاة) مابين القوسين نقلناه من «تنوير الأذهان» ١ / ٥٨٦ .

● وفي «تنوير الأذهان ٢ / ٤٥٩» واعلم أن المراد من رؤية الآيات الانتقال منها إلى رؤية صانعها رؤية قلبية ، وهي حقيقة الإيمان .

● حكي أن علياً رضي الله عنه صعد المنبر يوماً ، وقال : سلوني ، فإنما ما بين الجوانح علم جَمٌّ ، هذا لعاب رسول الله ﷺ في فمي ، وكان في المجلس رجل يماني فقال : ادعىٰ هذا الرجل دعوىٰ عريضة لأفضّحنه ، فقام فقال : أسأل ؟ قال : سل ولا تسأل تعنتاً ، فقال : أنت حملتني على ذلك ، هل رأيتَ ربّك يا عليُّ ؟ قال : ما كنتُ أعبد رباً لم أره ؟ فقال : كيف رأيت ؟ قال : لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان ، ربي أحد لا شريك له ، أحد لا ثاني له ، فردٌ لا مث ، لا يُدرك بالحواس ، ولا يقاس بالقياس ، فسقط اليماني مغشياً عليه ، فلما أفاق قال : عاهدتُ الله أن لا أسأل تعنتاً . اهـ

✪ وذكر القرطبي في تفسيره ٤ / ٢٠٠ : وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بينما رجل مستلقٍ على فراشه ، إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم والسماء فقال : أشهد أن لك رباً وخالقاً ، اللهم اغفر لي ، فنظر الله إليه فغفر له» .

✪ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «لا عبادة كالتفكر» . وروي عنه عليه الصلاة والسلام : «تفكر ساعة خير من عبادة سنة» . . . اهـ من التفسير القرطبي .

● ومن هذا المنطلق نقول فإذا كان الماء المطلق نعمة عظيمة ، والشكر على ذلك مطلوب ، الرؤية والنظر فيه عبادة ، فكيف لا يكون النظر إلى سيد الأشربة (ماء زمزم) عبادة إذا كان بقصد القربة ، وهي مشتملة على فوائدها الجليلة الفريدة من خيرى الدنيا والآخرة .

✪ **فالنظر في ماء زمزم عبادة** : وقد روي في هذه الفضيلة أحاديث غير صحيحة ، وآثار عن بعض التابعين، دعاني لذكرها استقصاء ما ورد في فضائل زمزم ، ولأنه يُتسامح في الفضائل ما لا يُتسامح في غيرها .

روى الفاكهي عن مكحول - التابعي - قال : قال رسول الله ﷺ : «النظر في زمزم عبادة ، وهي تحط الخطايا» كما في «أخبار مكة» وهو حديث مرسل ، وأيضا فيه إسحاق بن إبراهيم الطبري قال عنه الذهبي في المغني ١ / ١١٤ : منكر الحديث ، وستأتي شواهد للحديث تقوية . والله أعلم .

✪ **وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** : «خمس من العبادة ، النظر إلى المصحف ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر إلى الوالدين ، والنظر في زمزم ، وهي تحط الخطايا ، والنظر في وجه العالِم»

قال الأستاذ / سائد بكداش في «فضل ماء زم زم» : ص ١١٣ : عزاه السيوطي في الجامع الصغير ٣ / ٤٦٠ للدارقطني والنسائي ، ولم أجده فيهما ، ولم يتكلم المُناوي عن تخريج الحديث ، وعزاه في الدر المنثور ٤ / ١١٥ للدار قطني ، وفي كلا الموضعين لم يذكر الصحابيَّ الراوي ، ثم وجدت في مخطوطة لفيض القدير عزاه للدارقطني في الأفراد عن جابر رضي الله عنه ، وهذا هو الصواب والله أعلم .اهـ

وعن وهب بن منبه - التابعي - قال : «النظر في زمزم عبادة ، والنظر في زمزم يحط الخطايا حطّاً» . رواه أبو نعيم في الحلية ٤ /٦٣ ، وقال المناوي في فيض القدير : ٥ / ٩٦ : رواه عبدالرزاق وابن منصور بسند فيه انقطاع . المرجع نفسه .

وقال علي القاري في المناسك ص ٣٠٠ : «والنظر إليها عبادة إذا قُصِد به القربة ، لا بطريق العادة» اهـ

وقال المناوي في فيض القدير ٦ / ٢٩٩ : «وإنما كان ذلك عبادة يُثاب عليها ، لأن الناظر عبَد الله بتلك النظرة» اهـ نقلا عن «فضل ماء زمزم» لسائد بكداش .

✪ **هذا ما ذكرناه في فضل ماء زمزم بمكة ، وأما ما يقابل هذا في المدينة : بصقُه صلى الله عليه وآله وسلم في بئر بضاعة .**

فعن أبي أسيد الساعديّ رضي الله عنه ، وله بئر في المدينة يقالُ لها بئرُ بضاعة ، قد بصق فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهي يشرب بها ويُتَيَمّنُ بها » . رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات . وورد نحو ذلك من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، عند ابن شبة والطبراني في الكبير أيضاً . ينظر مجمع الزوائد ٤ /١٢-١٣ و الطبقات الكبرى ١ /٥٠٥ والمعجم الكبير ٦ / ١٤٩ .

✪ وكذلك بصقُه صلى الله عليه وسلم في بئر غرس . فعن يحيى بن سعد رحمه الله ، أن أنس بن مالك رضي الله عنه أتاهم بقباء ، فسألهم عن بئر هناك ، قال : فدللتُه عليها ، فقال : لقد كانت هذه ، وإن الرجل لينضَحُ على حماره فينزحُ فنستخرجها له ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر بذنوبٍ ، فسقى ، فإما أن يكون توضأ منه، وإما أن يكون تفل فيه ، ثم أمر به فأعيد في البئر ، قال : فما نُزحت بعد . رواه البيهقي في دلائل النبوة برجال البخاري . ينظر دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ١٣٦ ، والبداية والنهاية ٦ / ١٠١ .

✪ وكل هذا دال على مكانة الحرمين الشريفين ، حيث حلت بركته صلى الله عليه وآله وسلم على كثير من مياههما . من «مكانة الحرمين» ص ١١٨ لملا خاطر .

أتدري كيف تشرب هذا الماء المبارك؟

● **أخي في الله !** ويا شارب الماء - والمشروبات المثلجة المنوعة الملونة المرغوبة والمكونة بالماء الحلو - الذي تشربه ليل نهار وتسكّن به عطشك وتنال به لذة الشاربين : هو ماء مبارك - بنص قطعي رباني - أنزله الرب من السماء لينتفع به خلقه كما قال تعالى : ﴿ونزّلنا من السماء ماء مباركا ...﴾ ق : ٩ . أتدري كيف تشرب هذا الماء المبارك - والبركة من الله جلت عظمته - ؟ .

وفي الحديث الذي ورد في الماء النابع من أصابع النبي ﷺ -قد مر ذكره- كما في رواية البخاري : « ... فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : «حيّ على الطهور المبارك ، والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ .

وزاد في رواية : «فجعلتُ أبادرهم إلى الماء أدخله في جوفي لقوله ﷺ : «البركة من الله» وهذه الزيادة عن أحمد في المسند ١ / ٤٦٠ .

● **فيا شارب الماء !** فلماُ تدخل هذه البركة الربانية وتُلقيها في جوفك عند شربك الماء البارد الحلو غير مالح ، هل تدري كيف تشربه؟ وماذا عليك بعدشرب هذا الماء المبارك حتى تكون مأجورا على شربه مع ما تسكّن به عطشك ، وتحس به اللذة زائدة على الأجر والثواب .

وما أدراك ما نعمة الماء البارد ؟ ولا شك أنه نعمة عظيمة ، لأن حفظ حياة كل شيىء من الماء ، وقال ﷺ : «كل شيىء خلق من الماء» . وقد قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيىء حي أفلا يؤمنون﴾ الأنبياء : ٣٠ .

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ : «كان من دعاء داؤد - ﷺ - يقول : اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي ومالي وأهلي ، ومن الماء البارد ، وكان ﷺ إذا ذكر داؤد يحدث عنه يقول : «كان أعبد البشر» رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب . كما في المشكاة «باب جامع الدعاء» .

وقال في المرقاة ٥ / ٢٥٤ : «ومن الماء البارد» دل على كونه محبوباً جداً ...

● وعن بعض العرفاء : «إذا شربتُ الماء ، أحمدُ ربي من صميم قلبي» . ويمكن والله تعالى أعلم : أن يكون كناية عن روحه ، لأن حياتها متعلقة بالماء . قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيىء حي ﴾ ، فيكون المراد من نفسي مراداتها ومشتهياتها اهـ .

● قال شيخنا التهانوي رحمه الله : قال لي شيخي السيد محمد يعقوب : يا أشرف ! إشرب من الماء الأبرد ، ليخرج من قرارة قلبك : «الحمد لله» . اهـ

ملك من ملوك الدنيا ... وقيمة شربة مـاء

● ذكر صاحب المرقاة في ٥ / ٢٥٥ في نهاية شرح الحديث المذكور وقال : ومما يلائم قضية عزة الماء ما حكي أن ملكاً وقع في صحراء ، وغلب عليه العطش ، فظهر له من رجال الغيب شخص معه ماء ، فطلب منه فأبىٰ ، فعرض عليه نصف ملكه ، فأعطاه ، ثم حصلِ له بعد الشرب عسر البول الذي لا يطيق الصبر عليه ، فقال للشخص : إن داويته - أي عسر البول - فأُعطيك مُلكي كله ، فدعا له ، فحصل له الفرج ، فعرض عليه المُلك ، فقال : مُلك يسوى نصفه لدخول شربة ، ونصفه لخروجها لا قيمة له ، فكيف أختاره ؟

وبهذا يتبين ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء » ، يعني فالحكمة في إطعامهم وإسقائهم وإبقائهم وزيادة إنعامهم : «إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» اهـ ما ذكره في المرقاة .

قال أبو طلحة : وهل يُنسى مثل هذا الرب عند شرب الماء المبارك الذي أنزله من السماء لتسقيه أنت وتستفيد منه في حوائجك التي لا تعد ولا تحصى ؛ وتسكّن به عطشك وتنال به اللذة .

وصدق سهل بن عبدالله رحمه الله حيث قال ونعم ما قال : «لا أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب » اهـ .

وقال رجل للحسن رحمه الله : إن لنا جاراً لا يأكل الفالوذج ، ويقول : لا أقوم بشكره ، فقال : ما أجهل جاركم ؟ نعمة الله عليه من الماء البارد ، أكثر من نعمته بجميع الحلاوى» . تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٤ / ٥٩٢ .

ولذلك ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «إن أول ما يسأل عنه - يعني العبد -

أن يقال له : ألم نُصِحَّ لك جسمك ، ونرويك من الماء البارد» أورده القرطبي مفسرا لقوله تعالى : ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ اهـ .

● إعلم يا عبدالله ! أن من عظمة مكانة ديننا الحنيف ومزيته الخاصة : أنه لا توجد خصلة من خصال حياة الإنسان ، ولا شعبة من شعب حياته في أمور الدنيا إلا والإسلام ينطق بها ، ويخبرك عن كيفية العمل بها بنظام رباني ويعلّمك فيها تعليماً حسناً ، ويؤدبك فيها تأديباً حسناً ، يندر مثله في الأديان السابقة . وقد قال تعالى : ﴿اليوم أكملتُ لكم دينَكم﴾ وما اكتفى ربي على إكمال دينه فقط بل قال بعده : ﴿وأتممتُ عليكم نعمتي﴾ ثم أعلن برضاه فقال بعد ذلك : ﴿ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾ المائدة : ٣ ، ورضوان من الله أكبر . أي أكبر من جميع ما في الكون ، فسبحان من اصطفى لنا سلطان الأديان ، وهدانا لهذا ، وأعلن برضاه على ذلك والحمد لله على هذه النعمة السَّنيّة ، الموهوبة لنا من رب البريّة جلت عظمته .

الحمد لله حمدا لن قطاع له
وليس إحسانه عنا بمقطوع

● فكيف لا يرضى عمن دخل في السلم - الإسلام - كافة ، وعمل بجميع شرائع الإيمان والإسلام وشعبه وأركانه ودعائمه ، وقد قال تعالى : ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ .

● ومن شأن المؤمن الحقيقي أنه لا يقوم ولا يقعد ، لا يمشي ولا يجري ، لا يمسك شيئاً ولا يتركه ، لا يبصر ولا يسمع ، لا يأكل ولا يشرب ، حتى ولا يتفل هو ولا يبول برأيه وكيفيته ، بل يبحث في جميع الأحوال أوامر الله وهدي رسول الله ﷺ ، ثم يستعمله في جميع الأمور صغيرها وكبيرها ، فيصبح محبوباً له سبحانه ، وينال رضاه عز وجل ، وذلك لمن كان له قلب يفقه به ، وعين يبصر به ، وأذنٌ يسمع به ، ﴿وذلك لمن خشي ربه﴾ .

طولنا البحث في طريقة شرب الماء على وجه السنة ، نظراً إلى أهمية ما ذكرناه ، ومشجعا لإخوتي على السنة النبوية في جميع الأمور صغيرها وكبيرها ، (لأن إتباع السنة أفضل من كل عمل ، ولو كان أفضل بذاته ، لأن في الإتباع ما يربو على غيره ومن ثم قالوا : صلاة النافلة في البيت أفضل منها في المسجد الحرام وإن قلنا بالأصح إن المضاعفة تختص به) . مابين القوسين من كلام ابن حجر رحمه الله اهـ .

وذكر صاحب المرقاة في ٢ / ٤٧ قول الطيبي في أهمية السنة النبوية شارحا لقوله ﷺ : «ثلاثة لا تقربهم الملائكة (منهم) ... والمتضمخ بالخلوق ....» الحديث رواه أبوداود كما في المشكاة «باب مخالطة الجنب وما يباح له»

قوله : «والمتضمخ بالخلوق» أى الرجل المتلطخ بالخلوق وهو طيب له صبغ يتخذ من الزعفران وغيره ، وتغلب عليه حمرة مع صفرة ، والنهي مختص بالرجال دون النساء ، وإنما لم تقربه الملائكة للتوسع في الرعونة والتشبه بالنساء . قاله ابن الملك وقال الطيبي : وفيه إشعار بأن من خالف السنة وإن كان في الظاهر مزيناً مطيبا مكرماً عند الناس ، فهو في الحقيقة نجس أخس من الكلب اهـ .

فيا إخواتي في الله : فلذلك ندعوكم إلى أحسن الهدي هدي محمد ﷺ في جميع شئون الحياة ، وما أحسن قول الشاعر في اللغة الأردية :

اک پیغمبر ﷺ کی زندگی ہے سامنے
اور کیا چاہیئے آدمی کے لئے

● معناه والله أعلم : ما للإنسان في الدنيا أكثر نفعا وربحاً وفوزاً ونجاة في الدارين من ذلك : بأن أمامه أسوة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم - وسيد الأديان دين ا الإسلام - فما ذا يريد عبدالله بعد ذلك ؟ وهذا كما أخبر سبحانه وتعالى وحرض على ذلك قائلا : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخرة وذكر الله كثيراً﴾ الأحزاب : ٢٠١ .

هذه الآية الكريمة أصل كبيبر في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله - وشمائله - إلى آخر ما قاله ابن كثير رحمه الله .

وقال تعالى : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحيينَّة حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ النحل : ٩٧ .

وهذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ﷺ ، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله ، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت .. الخ ماذكره ابن كثير رحمه الله .

فمن يؤمن بالله ويصدّقه سبحانه فيما وعد به الرجال والنساء على اختيار سنة نبيه ﷺ في الأعمال والأحوال ، فعليه أن يستعمل سنة نبيه صلى الله عليه وآله

وسلم في جميع شئون حياته وأحواله وأقواله ، ولا يخاف في ذلك لومة لائم .

● للأسف ! نرى كثيراً من الناس اليوم - إلا ما رحم الله - لا يهتمون بسنن الحبيب المصطفى ﷺ ، ولا يزينّون حياتهم بها ، بل يعرضون عنها ، كأنه ليس في الإسلام عمل يعمل به - وإلى الله المشتكىٰ - و يتبعون في جميع شئون حياتهم : إخوة القردة والخنازير ، ويختارون لأولادهم معاشرة أعداء الله ويهّودونهم وينصّرونهم ويمجّسونهم من حيث المعاشرة والتهذيب - نعوذ بالله من ذلك - وقد أخبر سبحانه وتعالى في حقهم قائلا :

﴿قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبةً عندالله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبدَ الطاغوت أولئك شرٌّ مكاناً وأضل عن سواء السبيل﴾ المائدة : ٦٠ .

وذكر القرطبي في تفسير هذه الآية : ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لهم : «يا إخوة القردة والخنازير فنكّسوا رؤسهم افتضاحا ، وفيهم يقول الشاعر :

فلعنة الله على اليهود
إن اليهود إخوة القرود
اهـ

● وقال تعالى في اليهود أيضاً : ﴿وباؤا بغضب من الله﴾ البقرة : ٦١ ، وآل عمران : ١١٢ . وقال : ﴿وغضب الله عليهم﴾ الفتح : ٦ .

وقال في النصارىٰ لعنهم الله : ﴿قد ضلوا من قبل وأضَلُّوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ المائدة : ٧٧ .

● وها أنتم أيها المسلمون ! قد أوجب الله عليكم أن تستعيذوا بالله من طريق اليهود والنصارىٰ في كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل في الصلوات أفضل العبادات ، قال رسول الله ﷺ : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» رواه مسلم في صحيحه رقم الحديث : ٣٩٤ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

وها أنتم تستعيذون بالله من طريق هؤلاء باللسان والجنان امتثالا لأمر الغفار ، والنبي المختار ﷺ ، في حال قيامكم أمام الجبار في جميع الصلوات تخاطبونه فيها بالجهر والإسرار فتقولونه : ﴿إهدنا الصراط المستقيم ○ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ الفاتحة : ٦-٧

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : فالجمهور أن ﴿المغضوب عليهم﴾ اليهود ، و

﴿الضالين﴾ النصارى ؛ . . . ثم ذكر الآيات التي ذكرناها من قبل في اليهود والنصارى . اهـ

فجميع هذه الآيات المذكورة أعلاه والآية التي نقرؤها في الصلاة (بين يدى كل مسلم تحذر المسلمين من الميل أو الركون أو الثقة أو التصديق فضلا عن عقدة الصداقة مع أي كافر أيا كان لون كفره وجنسه) مابين القوسين من كتاب رسائل للحجاج والمعتمرين للشيخ يحيى إبراهيم اليحى - الجامعة الإسلامية .

● فبعد هذه المحاولة المذكورة أعلاه أقول : قد تبين الرشد من الغي ، فمن لم ينته في حياته عن اختيار معاشرة هؤلاء المغضوب عليهم والضالين، وأعرض عن هدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في جميع شئون حياته بعدما سمعه من أقوال الله جلت عظمته ، فكأنه قد دعا مسخ نسله إلى القردة والخنارير ، وباء بغضب من الله ودعا غضب الله عليه ، كما ذكرناه في الآيتين المذكورتين أعلاه ، وكأنه قد ضل وأضل ، وضل عن سواء السبيل ، وما كل ذلك من المسخ والضلال والإضلال وفقدان سواء السبيل إلا بسبب الأعراض عن أوامر الله سبحانه ، وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه . وقد قال تعالى : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ○ ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾ كما في سورة النور : ٦٣-٦٤ . نعوذ بالله من ذلك .

هذا ونرجع إلى ما نريد من بيان سنة الحبيب المصطفي صلى الله عليه وآله وسلم في شرب الماء المبارك ، فنذكر في ذلك بعض الأحاديث في الفقرات الآتية ، وفقني الله وإخوتي على العمل بها :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تشربوا - شرباً - واحداً كشرب البعير - كما يشرب البعير مرتبة واحدة - ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا إذا أنتم شربتم ، واحمدوا إذا أنتم رفعتم» الأناء عن الفم . رواه الترمذي كما في المشكاة باب الأشربة .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا . متفق عليه .

وزاد مسلم في رواية ويقول : إنه أروى - أى أشد رواء - وأبرأ - أى أكثر صحة للبدن - وأمرأ - أى أكثر هضما - كما في المشكاة المرجع السابق .

قال في المرقاة شرح المشكاة : الشرب بثلاث دفعات أقمع للعطش ، وأقوى على

الهضم ، وأقل أثراً في برد المعدة ، وضعف الأعصاب . اهـ
وفي رواية : قال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل : «فأبِنِ - من أبان الشيء عن شيء - القدح عن فيك ، ثم تنفّس» . رواه الترمذي والدارمي كما في المشكاة «باب الأشربة» .

قوله ﷺ : « ثم تنفس» أى خارج الأناء ثم اشرب ، وفيه إيماء إلى جواز الاقتصار على مرتين وإن كان التثليث أنفس لكونه أمرأ وأهنأ وأروى ، ولأن الله وتر يحب الوتر ، وهو أكثرأحواله من عادته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يرد في حديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم اقتصر على مرة ... اهـ من المرقاة شرح المشكاة لعلي القاري رحمه الله .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُتنفّسُ في الأناء أو يُنفخُ فيه . رواه أبو داود وابن ماجه كما في المشكاة (باب الأشربة) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً . رواه مسلم ، المرجع السابق . وررواه أبو داود في سننه (كتاب الأشربة) عن أنس رضي الله عنه أيضا .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «نهى أن يشرب الرجل قائماً» الحكمة في ذلك أنه يورث داء في الجوف ، وقال الحافظ ابن حجر :

إذا دمت تشرب فاقعد تفز	بسنة صفوة أهل الحجاز
وقد صححوا شربه قائماً	ولكنه لبيان الجواز

● وقال ابن القيم في الهدى : من هديه صلى الله عليه وآله وسلم الشرب قاعداً هذا كان هديه المعتاد ، وصح عنه أنه نهي عن الشرب قائماً ، وعنه أنه شرب قائماً ، فقالت طائفة : لا تعارض بينهما أصلا ، فإنه شرب قائماً للحاجة ، فإنه جاء إلى زمزم ، وهم يستقون منها ، فاستقى فناول الدلو فشرب وهو قائم ، وهذا كان موضع حاجة .

● وللشرب قائماً آفات عديدة منها : أنه لا يحصل به الريّ التام ، ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء ، وينزل بسرعة واحدة إلى المعدة فيخشى منه أن يبرد حرارتها ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج ، وكل هذا يضر بالشارب ، فإذا فعله نادراً أو لحاجة فلا . قاله السيوطي .

وقال في «إنجاح الحاجة» : وقد ذكر علماؤنا أن شرب ماء زمزم وفضل الوضوء قائماً مستحب ، وكرهوا في غيرهما إلا إذا كان ضرورة ، والمطلوب في ماء زمزم وصول بركته إلى جميع الأعضاء ، وكذا في فضل الوضوء ... اهـ من «التعليق المحمود على سنن أبي داود» للشيخ فخر الحسن الكنكوهي .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يشربن أحد منكم قائماً ، فمن نسي منكم فليستقىء» . كما في المشكاة باب الأشربة .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «الذي يشرب في آنية الفضة إنما يُجرجِرُ في بطنه نار جهنم» متفق عليه . المرجع السابق ..

أحبابي ! هذا هو هدي نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في شرب الماء المبارك فاقتدوا بهديه صلوات الله وسلامه عليه تهتدوا . وفق الله الجميع آمين .

حب جمادات الحرمين وشوقها إلى رسول الله ﷺ

● عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرةٍ - أو نخلة - فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل - : يارسول الله ! ألا نجعل لك منبراً [تقعد عليه ؟ فإن لي غلاما نجارا] قال : «إن شئتم» فجعلوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة [قعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر الذي صنع] فصاحت النخلة [التي كانت يخطب عندها حتى كادت أن تنشق فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أخذها فضمها إليه ، فجعلت تئن] أنين الصبي الذي يسكن [حتى استقر] قال : «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها» رواه البخاري في صحيحه كتاب البيوع «باب النجار» و«باب علامات النبوة في الإسلام» .

هذا وقد أكثر الشعراء في ذكر حنين الجذع ، وكتبوا القصائد في ذلك ، فقد قال أحدهم من قصيدة له :

وألقي حتى في الجمادات حبه	فكانت لإهداء السلام له تُهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده	فأنّ أنين الأم إذ تجد الفقدا
يحنّ إليه الجذع يا قومُ هكذا	أَما نحن أولى أن نحنّ له وجدا
إذا كان جذعٌ لم يطق بُعد ساعة	فليس وفاء أن نطيق له بُعدا

● وكان الحسن البصري رحمه الله إذا حدّث بهذا الحديث بكى ، ثم قال : يا معشر المسلمين ! الخشبة تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شوقاً إلى لقائه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه صلى الله عليه وآله وسلم . كما في صحيح ابن حبان ٨/ ١٥١ ، وفتح الباري ٦/ ٢/ ٦٠٢ .

✪ وورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما صعد على المنبر في يوم من الأيام ، وقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حقٍ قدره ... ﴾ الزمر : ٦٧ ، أخذته الهيبة والخشية والفزع ، فارتجف ارتجافا شديدا حتى خشي الصحابة رضي الله عنهم سقوطَه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

✪ فعن عبيدالله بن مقسم رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية - وهو على المنبر - ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ الزمر : ٦٧ قال : «يقول الله : أنا الجبّار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا المتعال ، [أنا العزيز أنا الكريم] يمجِّد نفسه» قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يردّدها ، حتى رجف بها المنبرُ حتى ظننا أنه سيخرُّ به . مسند أحمد ٢ / ٧٢ / ٨٨ ، صحيح ابن حبان ٩ / ٢١٤ ، وأورده مسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين رقم ٢٥ بغير هذا اللفظ عن عبيدالله بن مقسم رضي الله عنه .

● فهل يعيى قساةُ القلوب من المسلمين عظمَ هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويبادلون الجذعَ بعضاً مما عنده ، ويستلهمون منه بعض حاله ؟

✪ وهل يعيى الكفار والمنافقون عظمَ هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث إن الجمادات - ترجف وتفزع وتخشع - وتحنّ وتشتاق إلى لقائه صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ولكن كما أخبر تعالي ﴿ وإن من الحجارة لما يتفجّر منه ألأنهارُ وإنّ منها لَما يشّققُ فيخرج منه الماءُ وإنّ منها لَمَا يَهْبطُ من خشيةِ الله ﴾ البقرة : ٧٤ . بينما هؤلاء إما أقسى من الحجارة ، أو أضل من الدواب . واللهَ أعلم . من «فضائل المدينة» لملا خاطر حفظه الله .

✪ وكذلك حب جمادات المدينة وغيرها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ورد في ذلك الأحاديث منها :

✪ فعن أنس رضي الله عنه قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أحد فقال : «إن أحُداً جبل يحبنا ونحبه» صحيح البخاري كتاب المغازي «باب أحد جبل يحبنا ونحبه» وصحيح مسلم : كتاب الحج .

✪وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد أحداً وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله وقال : «أثبت أُحُد ، فما عليك إلا نبيٌّ ، أو صدِّيقٌ أو شهيدان» .

وفي رواية : «فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان» . رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة .

هذا ما ذكر في حب جمادات المدينة وشوقها إلى سيد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، واستجابها ما أمره صلى الله عليه وآله وسلم .

● **ويقابل ذلك في مكة :** اضطراب جبل حراء ، وجبل ثبير ، وكانت الأحجار والأشجار تسلم على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته كما ستعرفه في الفقرات الآتية إن شاء الله .

● **أما جبل حراء :** فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان على حراء هو ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وطلحة والزبير [وفي رواية ثانية : وسعدُ بن أبي وقاص] فتحركت الصخرةُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «اهدأ ، فما عليك إلا نبيٌّ ، أو صدِّيق ، أو شهيد» رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم : ٥٠

✪وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : أشهد على التسعة أنهم في الجنة ، ولو شهدتُ على العاشر لم آثم ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحراء [زاد في رواية : اهتز حراء] فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «اثبت حراء ، فإنه ليس عليك نبيّ ، أو صدّيق ، أو شهيد» قيل : ومن هم ؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليٌّ ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبدالرحمن . قيل : ومن العاشر : قال : أنا . رواه أحمد في مسنده ١ / ١٨٨ . وأبو داود في سننه رقم ٤٦٤٨ . والترمذي في سننه رقم ٣٧٥٧ والحاكم ٣ / ١٥٠ وصححاه .

● **وأما جبل ثبير بمكة :** فعن ثمامة بن حزن القشيري رحمه الله قال : شهدتُ الدارَ حين أشرف عليهم عثمانُ رضي الله عنه فقال : . . . أنشدكم بالله والإسلام ، هل تعلمون أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم كان على ثبير : ثبير مكة ، ومعه أبو بكر ، وعمر ، وأنا ، فتحرك الجبلُ ، فركضه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم برِجله ، وقال : «اسكن ثبي ، فإنما عليك نبيّ ، وصدّيقٌ وشهيدان» قالوا : نعم . قال : الله أكبر ، شهدوا لي وربِ الكعبةَ ، يعني : أنَي شهيد . رواه

الترمذي في سننه رقم : ٣٧٠٣ وصححه ، والنسائي في سننه كتاب الأحباس : باب وقف المساجد ٦ / ٢٣٥ ، وسنن الدار قطني : ٤ / ١٩٦ .

● وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن حجراً كان يسلم عليه بمكة قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم فيقول : «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلِّم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن» رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل رقم : ٢ «باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه ﷺ .

✪ففي الحديث دلالة على الإدراكات التي أودعها الله تعالى في هذا الكائن حتى أنه يعلم أن المار هو سيد الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ولمعرفته بذلك كان يسلم عليه صلوات الله وسلامه عليه ، قبل بعثته ، فكان الحجر يميز النبي عليه الصلاة والسلام دون غيره من الناس . قاله د/ ملا خاطر .

✪ولذلك يقول النووي رحمه الله تعالى : «فيه إثبات التمييز في بعض الجمادات ، فيجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه» اهـ شرح صحيح مسلم ١٥ / ٢٦ .

● وورد أنه بعد مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم كانت الجبال تسلم عليه ، وكذلك الأشجار ، وذلك لما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : «السلام عليك يا رسول الله» مشكاة المصابيح رقم : ٥٩١٩ .

✪فثبت مما سبقٍ أنه لما صعد النبي صلي الله عليه وآله وسلم اهتز الجبل فرحاً ، واضطرب انتعاضاً ، وتحرك سروراً ، معبراً عن حبّه ، وقربهم منه ، وشوقه إليهم ، حتى ضربه النبي صلى الله عليه وآله وسلم برجله الشريفة ، وأمره بالسكون والهدوء ، فاستجاب ، فسكن بعد تحركٍ واستقرّ بعد اهتزاز ، وهدأ بعد اضطراب .

✪ **هذا حال جمادات الحرمين** جبالها وأخشابها وأشجارها وأحجارها في شوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبها وإطاعتها وإمتثالها بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فعل أهلوهما السابقون رضي الله عنهم .

✪ **إلا أننا نجد العجب من أمر هذا الكائن البشري** من انصرافه وبُعده عن امتثاله بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وانشغاله بملذات الدنيا وشهواتها الفانية ، هذا مع فضل الله عز وجل على الإنسان بنعمه الكثيرة التي لا تُعد ولا تحصى كما قال تعالى : ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ إبراهيم : ٣٤ . كما فضّله سبحانه على كثير من مخلوقاته : فقال : ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم

على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ الإسراء : ٧٠ .

✪ **ومع ذلك فقد كان الإنسان** في مجموعه أقل عبودية لله عزوجل ، وأكثر معصية له ، وجحوداً به سبحانه ، واستكبارا منه على مقام العبودية ، فذمه الله سبحانه بقوله : ﴿قتل الإنسان ما أكفر﴾ عبس : ١٧ .

✪ومع أنه يخاطبه مالكه وخالقه ونبيه سيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ، وكذلك ورثته ﷺ من العلماء من بعده يخاطبونه ، فلا يستمع إلى أحدمنهم ، ولا يجيبهم كإجابة الصحابة ، و الأحجار والأشجار والجمادات والجبال - إلا من يوفقه الله - ولكنه غارق في الغفلة والسكرة ، ووالغ في المعاصي الكبائر منها والصغائر حتى قال تعالى عن قساوة قلوبهم :﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ... وما الله بغافل عما تعلمون﴾ البقرة : ٧٤ .

وقال في مقام آخر : ﴿كلا إن الإنسان ليطغىٰ أن رآه استغنىٰ﴾ العلق : ٦ .

وقال تعالى : ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ القيامة : ٥ .

وإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

روح الكلام السابق

● ويجدر بنا هنا أن نذكر كلام ابن القيم رحمه الله عن جبال الحرمين وحبها وشوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو ممتع للغاية وفي ذلك ذكرى للذاكرين . فيقول رحمه الله ما نصه بعد بيان حكمة الله تعالى من خلق الجبال على ما هي عليه :

✪هذا مع أنها تسبح بحمده ، وتخشع له وتسجد ، وتشفق وتهبط من خشية الله ، وهي التي خافت من ربها وفاطرها وخالقها ...

✪ومنها الجبل الذي كلم الله عليه موسى كليمه ونجيه صلى الله عليه وسلم ، ومنها الجبل الذي تجلى له ربه فساخ وتدكدك .

✪ ومنها الجبل الذي حبب الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إليه ، وأحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

✪ومنها الجبلان اللذان جعلهما الله سوراً على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعل الصفا في ذيل أحدهما ، والمروة في ذيل آخر وشرع لعباده السعي بينهما ، وجعلهما من مناسكهم وتعبداتهم .

✪ ومنها جبل الرحمة المنصوب عليه ميدان عرفات ، فلله كم به من ذنب مغفور

وعشرة مقالة وزلة معفو عنها وحاجة مقضية . ثم قال بعد قليل :

✪ ومنها جبل حراء الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخلو فيه بربه وهو الجبل الذي فاض منه النور على أقطار العالم ، فسبحان من اختص برحمته من شاء من الجبال والرجال .

هذا وإنها لتعلم أن لها موعداً ويوما تنسف فيه نسفا ، وتصير كالعهن ، فهي مشفقة من هول ذلك الموعد .

✪ فهذا حال الجبال ، وهي الحجارة الصلبة ، وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمته ، وقد أخبر عنها فاطرها وباريها : أنه لو أنزل عليها كلامه لخشعت ولتصدعت من خشية الله .

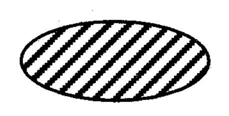
● فيا عجبا من مضغة لحم ! أقسى من هذه الجبال تسمع آيات الله تتلى عليها ، ويذكر الرب تعالى فلا تلين ولا تخشع . من «مفتاح دار السعادة» ١ / ٢٢١ لابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى .

فهل من مجيب اليوم من أهل الحرمين الشريفين وغيرهما من المسلمين ؟ وقال القائل وهو يخاطب نفسه وأهل القلوب ويقول :

يا ويح قلبي ما له لا يلين	قد أتعب القراء والواعظين
يا نفس كم تبيتين من مرة	وكم تقولين ولا تفعلين
وكم تنادين ولا تسمعي	وكم تقالين فلا ترجعين
حتى متى يا نفس حتى متى	يراك مولاك مع الغافلين
فاستغفري الله لما قد مضى	ثم استحيي من خالق العالمين

● وقد قال تعالى مخاطبا لأهل الإيمان : ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ...﴾ الحديد : ١٦ .

اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلينا ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندنا واقطع عنا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقرر عيوننا من عبادتك . آمين ، يارب العالمين .



الباب الثالث

باب هام جدا للحجاج والمعتمرين

وفيه ستة فصول وهي :

الفصل الأول : بعض مسائل الحج وأحكامه

الفصل الثاني : في كيفية الحج والعمرة

الفصل الثالث : بعض أنوار الحج الغريبة وأسراره الفريدة

الفصل الرابع : روح الحج لمن أراد الحج

الفصل الخامس : آداب الزيارة وكيفية الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما

الفصل السادس : واجب الزائرين نحو الحرمين

أتـدري أين أنت أيها الـزائر ؟ !

ذكر القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ٢ / ٧٨ / ٧٩ : ﴿أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود﴾ البقرة : ١٢٥ :

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجل في المسجد فقال : ما هذا ؟ أتدري أين أنت ؟ و قال حذيفة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الله أوحى إليّ : يا أخا المنذرين ! يا أخا المرسلين ! أنذر قومك أن لاّ يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب سليمة ، وألسنة صادقة ، وأيد نقيّة ، وفروج طاهرة ، وألاّ يدخلوا بيتا من بيوتي مادام لأحد عندهم مظلمةً ، فإني ألعنه مادام قائماً بين يديَّ ، حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها ، فأكون سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، يكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»
اهـ ما ذكره القرطبي رحمه الله .

وحسن أولئك رفيقا ، اللهم وفقنا لما تحب وترضى ، وقدر لنا مرافقة هؤلاء في الجنة حتى نشرب معهم من لبن لم يتغير طعمه .آمين . وما ذلك على الله بعزيز

ملاحظة هامة جداً : قد مضت هذه الرواية مع الملاحظة القيمة على ذلك ، ينظر ص ١٦٠ من هذا الكتاب لزاماً ، ففيه ما لا بد للإنسان منه .

الفصل الأول

بعض مسائل الحج وأحكامه

✪ **الحج** : هو الطواف والوقوف في مكان مخصوص ، في زمن مخصوص ، بفعل مخصوص .

● حكم الحج الفرضية ، في العمر مرة ، على كل مسلم ، عاقل ، بالغ ، حر ، مستطيع ، مالياً وبدنياً ، أما الاستطاعة المالية : فبامتلاك ما يستطيع السفر به والعودة إليه ، من زاد وراحلة . وأما الاستطاعة البدنية : فبالقدرة على السفر ، هذا في حق الرجل ، والمرأة مثله في ذلك تماماً ، وتزيد عليه شرطين آثنين هما : توفر الزوج أو المحرم معها ، ولو كان على نفقتها هي ، وعدم العدة ، فإذا كانت معتدة من طلاق أو وفاة أو فراق ، أو لأو المحرِم ، لم يجب الحج عليها أداؤه بل توصي به في آخر حياتها ، وقيل : لم يجب أصلا ما دامت كذلك . وذلك لقوله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ آل عمران : ٩٧ . من رسالة «أنوار الحجج» ص : ١٤ لعلي القاري رحمه الباري .

قال العلماء : وهو أحد أركان الإسلام الخمسة ، وفرض من الفرائض التي عُلمْت من الدين بالضرورة ، فلو أنكر وجوبه منكر كفر وارتدّ عن الإسلام .

وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ . رواه الترمذي وقال : هذا حديث غريب وفي إسناده مقال ، وهلال بن عبدالله مجهول والحارث يضعّف في الحديث . كما في المشكاة «كتاب المناسك» .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «فلا عليه» أي فلا تفاوت إليه ، والمعنى : أن وفاته على هذه الحالة ووفاته على اليهودية والنصرانية سواء ، لأنه من كفران نعم الله تعالى ، وترك ما أمر به ، والانهماك في معصيته ، وهو من باب المبالغة والتشديد والإيذان بعظمة شأن الحج . -من هامش «مشكاة المصابيح» .

● **ما هي الحكمة في الحج** : قال الإمام علي القاري في «أنوار الحُجج في أسرار الحجج» ص ١٥ : الحج ذروة في التذلل إلى الله تعالى ، والخروج عن زينة الدنيا وملَذاتها ، وتدريب للنفس على المسالمة مع الغير ولو كان حيوانا ، وتذكير لما عليه الإنسان من عجز وضعف ، وهو درسٍ في المساواة بين الناس ، وصلة بين أطراف العالم الإسلامي ، تمتيناً لوحدته ، وتوقيراً لقوته .

وهذه المعاني - وغيرها أيضاً مما هو موجود في هذه العبادة العظيمة ولا مجال لاستعراضها هنا - أمور يحتاج الإنسان إليها في حياته التي قد تغرقه في ملذاتها ونعيمها ، أو في متاعبها ومآسيها على سواء ، فتنسيه وربه وأهله ، فإذا بالحج يعيد إليه توازنه وتواضعه ، ويجعله يقف الوقفة الصحيحة المعتدلة بعد طول اعوجاج ، لهذه المعاني الجليلة عدّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد أركان الإسلام الخمسة ، حيث قال : «بني الإسلام على خمس : (منها) « ... حج البيت من استطاع إليه سبيلا» .اهـ ما قاله القاري .

✪وفي «أتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» ٤ / ٤٤٥ : أوَلا تستحي من أن تقدم عليه قدوم العاصي الشارد فيردك ولا يقبلك ، فإن كنت راغبا في قبول زيارتك إياه فنفّذ أوامره - جلت عظمته - وانته عن مخالفاته ، ورد المظالم لأهلها ، وتب إليه أولا من جميع المعاصي حسب الطاقة ، واقطع علاقة قلبك عن الإلتفات إلى ما ورائك من الأهل والمال والولد ، لتكون متوجها إليه بوجه قلبك ، كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك ، فيجتمع قلب الباطن وقلب الظاهر ، ويكون كل منهما بشرط الاخلاص والتجردِ ، فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والتعب ، والشقاء آخراً إلا الطرد عن الحضرات والرد اهـ

● قال الراقم : وفي مثل ذلك انشدوا في اللغة الفارسية :

خرِ عيسیٰ اگر بمکة رود
چون بيايد هنوز خر باشد

● معناه والله أعلم : أنه من أتى مكة لأداء فريضة الحج ، ثم لم يستفد من حجه كما يستفيد منه المخلصون ، ولم يُرزق مقصود الزيارة ، كما هو مذكور في الأحاديث فمثله كمثل الحمار الذي أتى مكة وجلس هناك عدة أيام فرجع وهو حمار كما كان ، ولم يستفد من زيارة بيت الله الحرام ولم يتغير ولم يتبدل . عافانا الله من ذلك . وهذا كما قيل في اللغة العربية وقد ذكرناه من قبل :

إذا لم تطب في طيبة عند طيب تطيب بها الدنيا فأين تطيب ؟

أركان الحج

● قال القاري رحمه الله : للحج ركنان ، إذا تركهما الحاج ، أو ترك واحداً منهما بطل حجه ، وهما :

✪ (١) **الوقوف بعرفة** : ... وشرط الوقوف أن يكون بعرفة ، وأن يكون في يوم عرفة ، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة ، من الزوال إلى الغروب ، ولو ساعة .

✪ (٢) **الطواف بالكعبة** : وهو طواف الزيارة ، أو طواف الركن ، أو طواف الحج ، وله شروط : هي الإسلام ، النية ، وتقديم الإحرام عليه ، وتقديم الوقوف بعرفة عليه ، وفعل أكثره ، وهو أربعة أشواط ، وأن يكون في يوم النحر وما بعده ، وأن يكون حول البيت الحرام من داخل المسجد لا خارجه ، وأن يطوف الحاج بنفسه ولو حمولا ، ولا تصح نيابة غيره عنه إلا أن يكون مغمى عليه .اهـ

واجبات الحج

● ثم قال القارى في ص ١٨ : واجبات الحج كثيرة ، وهي أمور إذا تركها الحاج أثِمَ ، وجب عليه ذبح تكفيراً لذلك الترك ، ولا يفسد حجه ، بخلاف الأركان كما تقدم ، وسواء في ذلك أن يتركها عمداً أو سهواً ، إلا أن يتركها للعجز عنها فإنه لا فداء عليه ، كمن ترك المشي في الطواف لمرض ، أو ترك المبيت في منىٰ لشدة الزحام .

وهذه الواجبات على قسمين : واجبات مستقلة بنفسها ، وواجبات تبع لغيرها من الأركان والشروط .

الواجبات المستقلة

✪ (أ) **السعي بين الصفا والمروة** : ... وللسعي شروط هي :

(١) أن يكون مسبوقاً بالإحرام ، فلو سعى من غير إحرام سابق عليه لم يصح سعيه
(٢) أن يكون مسبوقاً بطواف مفروض أو مسنون ، لأنه تبع للطواف فلا يتقدم عليه
(٣) أن يبدأ فيه بالصفا ، فلو بدأ بالمروة لم يحسب ذلك له شوطا .

(٤) أن لا تقل أشواطه عن أربعة ، فإن قلّت عن ذلك لم تحسب له .

● هذا والسعي من الصفا إلى المروة شوط ، ثم العودة من المروة إلى الصفا شوط آخر ، وهكذا .

✪ (ب) **الوقوف بمزدلفة** : ... سواء أكان قاعدا أو ماشيا أو نائما ... ، ويشترط لصحة الوقوف هذا أن يكون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس من يوم النحر ، ولو لحظة واحدة .

✪ (ج) **رمي الجمار** : ومواضع الجمار ثلاثة ، تقع على الطريق بين منىً ومكة ويشترط لصحة الرمي هذا شروط هي :

(١) أن ترمى الأحجار بقذف ولو خفيفاً ، فإذا وضعت بدون قذف أصلا لم يصح (٢) أن يكون المرمي حجراً ، أو شيئا من جنس الأرض ، كالطين (٣) أن لا يقل الرمي عن سبع حصيات في سبع رميات ، في كل موضع ، فإذا رمى الحصيات السبع مرة واحدة ، كفاه عن واحدة فقط ، ولزمه أن يرمي ستا بعدها (٤) أن يقصد في رميه مكان الرمي ، فلو طارت الحجرة من يده إلى مكانها من غير قصد لم يصح (٥) أن تقع الحجرة التي يرميها في مكانها المقصود ، داخل دائرة الرمي ، فإن وقعت خارجها ، لم يصح ، إلا أن يكون قريبا منها فيصح ، وقد قُدّر ذلك بذراع .

✪ (د) **الحلق أو التقصير** : هو من واجبات الحج أيضاً ، فالحلق إزالة الشعر من الرأس بالموسى وما في معناه ، والتقصير قطع جزء من شعر الرأس بالمقص وما إليه ، وهو أدنى من الحلق ، والحلق أفضل من التقصير للرجال ، كما أن التقصير أفضل من الحلق للنساء ، سنبين (إن شاء الله) بعد قليل فائدة عظيمة للمحلقين رؤوسهم والمقصّرين .

✪ (هـ) **طواف الوداع** : ويسمى طواف الصدر ، وهو واجب على أهل الآفاق لا غير ، وهم المقيمون خارج دائرة الحل ، أما المقيمون في مكة المكرمة ، أو داخل الحل فلا يجب عليهم هذا الطواف ، كما لا يجب على غير الحاج أصلا ، فالمعتمرون لا يلزمهم طواف الوداع مطلقا .

الواجبات التابعة لغيرها من الأركان والشروط فهي :

● (أ) **واجبات الإحرام وهي** : (١) أن يكون من الميقات (٢) اجتناب محظورات الإحرام ، وهي كثيرة بعضها خاص بالرجال ، وبعضها يعم الرجال والنساء .

✪ **فأما الخاص منها بالرجال فهو:** ● لبس المخيط كالقميص ، وما يشبه مما هو محيط بالجسم كالجوارب ● تغطية الرأس بما يلامسه كالعمامة ، أما المظلة فلا بأس بها ● لبس حذاء ساتر للكعب الذي في وجه القدم من الأعلى ، وليس الكعبين الذين يجب إيصال ماء الوضوء إليهما .

✪ **وأما ما يعم الرجال والنساء :** ● تغطية الوجه بما يلامسه أما الغطاء غير الملامس فلا بأس به للمرأة ● إزالة الشعر من أي موضع من البدن ● تقليم الظفر من اليد أو الرجل ● دهن شعر الرأس أو غيره من شعر البدن بأية مادة دهنية كالزيت مطيباً كان أو غير مطيب ، لما فيه من الرفاه المنافي للإحرام ● التطيب بأي نوع من الطيب سواء في الثوب أو البدن أو الفراش أو غيره لما فيه من الرفاه ، وكذلك أكل الطيب فإنه ممنوع أيضا كالتطيب سواء بسواء ، أما شم الطيب من الغير فمكروه فقط إذا أمكن التحرز عنه ● الصيد ، وهو اقتناص الحيوان المتوحش ، أما المستأنس فلابأس بذبحه ، كالشاة والدجاجة ، فإذا اقتنص صيداً كان ميتة يحرم أكلها ، وكذلك الدلالة على الصيد ، وتنفير الصيد ، وأكل لحم الصيد الذي صاده غير المحرم للمحرم ، فإنه حرام . ويستثنى من ذلك خمس حيوانات يحل قتلها للمحرم وغيره وهي : الغراب ، والحدأة ، والعقرب والفأرة ، والكلب العقور ، وذلك لحديث البخاري ومسلم .

✪ **الجماع ودواعيه** ، فإنه من موانع الإحرام للرجال والنساء ، فإن جامع الحاج قبل الوقوف بعرفة فسد حجه ، وعليه إتمامه ، وذبح شاة ، ثم قضاؤه في سنة قادمة وإن كان بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق لم يفسد حجه وعليه بدنة ، فإن جامع بعد الوقوف بعرفة وبعد الحلق وقبل طواف الزيارة «أي الإفاضة» كفاه ذبح شاة فإن طاف طواف الزيارة حل له النساء .

✪ **هذا** ، وكما يحرم الجماع ، وتحرم دواعيه ، كاللمس بشهوة ، والتقبيل ... ، كما يحرم ذكر النساء بكلام فاضح مثير للشهوة .

✪ **الجدال والنزاع مع الرفقاء والجيران** ... وهو وإن كان حراماً في كل الأوقات ، إلا أنه في حال الإحرام أشد حرمة .

✪ (ب) **واجبات الطواف وهي** : (١) التيامن ، وذلك بالسير حول الكعبة جاعلا إياها على شماله أثناء الطواف (٢) إتمام أشواط الطواف سبعاً (٣) الطهارة من الحدثين أثناء الطواف ، الأصغر والأكبر . (٤) ستر العورة للرجل والمرأة كل بحسبه . (٥) الإبتداء بالحجر الأسود في كل شوط من أشواط الطواف (٦) الطواف من خارج حِجر إسماعيل ، حتى يكون الحِجر داخلا في طوافه (٧)

المشي في الطواف للقادر عليه ، أما العاجز فيكفيه الركوب أو الحمل ولا شيء عليه (٨) صلاة ركعتين إثر كل سبعة أشواط من الطواف (٩) أن يكون الطواف في أيام النحر ، إن كان طواف الزيارة «أي الإفاضة» هذا عند أبي حنيفة ، وذهب الصاحبان - أبو يوسف ومحمد - إلى أن طواف الزيارة مكانه العمر كله .

✪ (ج) **واجبات الوقوف بعرفة** : وهي : (١) استمرار الوقوف بعرفة إلى الغروب أو إلى بعيْد الغروب ، لمن وقف قبل ذلك ، فإن غادر الواقف عرفة قبل الغروب لزمه فدية (٢) تأخير صلاة المغرب ، وجمعها مع العشاء في المزدلفة جمع تأخير .

✪ (د) **واجبات أيام منى** (١) أن يكون الحلق في أيام النحر الثلاثة وهي : العاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر من ذي الحجة ، ولا يؤخر عن ذلك (٢) أن يكون الحلق في الحرم ، وهو مكة وما حولها ، مما هو دون منطقة الحل (٣) الترتيب بين هذه الأمور الثلاثة : الرمي ، والذبح ، والحلق وهذا عند أبي حنيفة رحمه الله (٤) عدم تأخير الرمي في اليوم الأول إلى ما بعد فجر اليوم الثاني من أيام النحر ، وعدم تأخير الرمي في اليوم الثاني إلى ما بعد فجر اليوم الثالث ، وعدم تأخير الرمي في اليوم الثالث إلى ما بعد فجر اليوم الرابع ، وعدم تأخير الرمي في اليوم الرابع إلى ما بعد غياب شمس ذلك اليوم نفسه (٥) ذبح هدي ، وهو شاة ، أو سُبع بدنة ، أو سُبع بقرة للمتمتع والقارن فقط ، ولا هدي على المفرد ، وإذا ذبح كان أفضل (٦) أن يكون الذبح في أيام النحر (٧) أن يكون الذبح في الحرم ، وهو مكة المكرمة وما حولها ، مما هو محدود بدائرة الحل ، والأصح أن هذا شرط وليس واجباً اهـ .

سنن الحج

● قال علي القاري رحمه الله في «أنوار الحجج» ص ٢٤ : سنن الحج كثيرة ، وهي أمر إذا فعلها الإنسان أجر ، وأثيب عليها ، وإن تركها ، لم يفسد حجه ، ولم يجب عليه فدية ، وإن كان قد أساء إن تركها بغير عذر .

✪ **قال أبو طلحة** : وهناك مبحث نفيس جدا في ص (١٧١-١٧٥) من هذا الكتاب ، انظره لزاماً - وفقك الله - وقدذكرنا فيه أهمية السنة ، بعنوان : «...وإسراعه ﷺ إذا قدم إلى المدينة» ، وأن المحب الصادق يحب كل ما كان منسوبا إلى حبيبه من الصورة والسيرة واللباس والهيئة ، وكذلك يحب حركاته وسكناته

وقيامه وقعوده ، حتى يحب داره وجداره وكساءه ورداءه ، وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس ، وقد قال أنس رضي الله عنه حين رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتتبع الدباء من حوالي القَصعة : «فما زلت أحب الدباء من يومئذ» . كما ذكره القاضي عياض في الشفا ٢ / ٢٧ .

✪ فالمحب الصادق تضطره المحبة إلى إتباع نبيه ﷺ في شئونه كلها ، وإن لم تدفع المحبة إلى عمل مندوب أو منسوب إلى حبيبه ﷺ فكيف تدفعه إلى إتباع السنة والوجوب ، فما هو إلا إدعاء للمحبة وليست بالمحبة .

✪ **ففي ضوء هذا المبحث النفيس نقول لوفد الله الحجاج !** أن لا تنظروا إلى هذه الكلمات المذكورة : «بأن السنن إذا فعلها الإنسان أجر ، وإن تركها لم يفسد حجه» بل استنوا بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفيضوا فيها ما استطعتم ، لأن الجنة مطوية بالسنة (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) .

✪ وقد قال الضحاك رحمه الله : «مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى ، من دخل الجنة في العقبى سلم ، كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم كما ذكرناه في المبحث المذكور ، ليتك تقرأه ، وتنال ما كتب الله لك فيه اهـ .

● (ولا يبعد ذلك أن الضحاك رحمه الله يريد بالسنة ما هو أعم من الاصطلاح الأصولي ، وهي ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيدخل الواجب والركن والشرط والسنة (من ملاحظة الشيخ أبي يوسف حفظه الله) .

● فهي - أي السنن كما قال القاريء رحمه الله - : على نوعين كالواجبات والشروط . بعضها مستقل بنفسه ، وبعضها تابع لغيره من الشروط والأركان والواجبات .

✪ **السنن المستقلة بنفسها وهي :** (١) طواف القدوم : وهو طواف سبعة أشواط حول الكعبة ، عند دخول الحاج مكة ، وذلك في حق الآفاقي المفرد والقارن فقط ، أما المتمتع فليس عليه طواف قدوم ، بل طواف العمرة فقط ، وكذلك سكان مكة ومنطقة الحل فإنهم لا يطوفون للقدوم .

✪ (٢) **المبيت بمنى ليلة عرفة :** وهي مساء اليوم الثامن من ذي الحجة - يوم التروية - بحيث يخرج الحاج من مكة بعد صلاة الفجر من يوم التروية إلى منى ،

فيصلي فيها الأوقات الخمسة «الظهر ، العصر ، المغرب ، العشاء ، الفجر» ثم يخرج منها إلى عرفة بعد أن يصلي الفجر فيها .

✪ (٣) **المبيت بالمزدلفة ليلة يوم النحر** ✪ (٤) **المبيت بمنى ليالي أيام التشريق** : وهي الليلة التي تلي يوم النحر ، والثلاث التي تليها .

✪ (٥) **التحصيب** : وهو النزول بوادي المحصب عند الدفع من منى إلى مكة في نهاية أيام التشريق ، ولو ساعة ، وهو وادٍ في مدخل مكة من جهة منى .

أنواع الحج

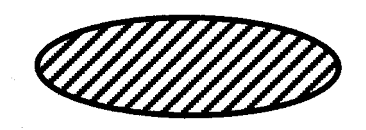
● أجمع الفقهاء على أن الحج على ثلاثة أنواع : إفراد ، قران ، وتمتع .

✪ **فالإفراد** : هو نية الحج وحده عند الإحرام ، ولا يغيّر من وصفه هذا الإحرام بالعمرة بعد انقضاء أفعال الحج .

✪ **والقران** : هو نية الحج والعمرة معاً عند الإحرام .

✪ **وأما التمتع** : فهو نية العمرة فقط عند الإحرام ، وبعد أتيان أفعال العمرة في أشهر الحج ، يتحلل المحرم ، ويبقى في مكة ، ويحل له ما حرم عليه بالإحرام ، ثم يحرم بالحج من مكانه دون أن يلزمه الخروج إلى الميقات ، وربما كان ذلك يوم التروية .

✪ هذا ، والمفرد لا يلزمه دم الهدي يوم النحر ، فإن أهدى أجر على ذلك ، بخلاف القارن والمتمتع ، فإن عليهما الهدي يوم العيد وهو ذبح شاة .اهـ



الفصل الثاني

في كيفية الحج والعمرة

● قال علي القاري في «أنوار الحجج ...» ص ٢٦ : سأبين في هذا المسرد أفعال الحج : «أركانه وشروطه وواجباته وأهم سننه» ...

✪ (١) **الإحرام من الميقات** : وهو نية الحج فقط إن كان الحج مفرداً ، نية مقرونة بالتلبية ولو مرة واحدة بصوت مسموع ، ورفع الصوت بالتلبية هنا مطلوب ومأجور عليه الحاج إذا كان رجلا ، أما المرأة فلا ترفع صوتها ، والنية تكون في القلب مع ذكر التلبية باللسان ، فلو صرّح بالنية بلسانه أيضاً ، كان أفضل ، ويقول :

«اللَّهُمَّ إنِّي أُرِيدُ الحَجَّ فَيَسِّرهُ لِي ، وتَقَبَّلهُ مِنِّي ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لكَ والمُلْكُ ، لاَ شَرِيكَ لَكَ» .

● فإذا كان قارناً قال : «اللَّهُمَّ إنِّي أُرِيدُ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ ...» .

✪ وإن كان متمتعاً قال : «اللَّهُمَّ إنِّي أُرِيدُ العمرةَ ...» كل ذلك بعد التهيء للإحرام بخلع الثياب المخيطة للرجال ، ولبس الإزار والرداء ، وكشف الوجه فقط للنساء ، والإغتسال إن أمكن وإلا فالوضوء ، وتقليم الأظفار ، والحائض والنفساء تغتسل أو تتوضأ أيضا لأن الغسل هنا للنظافة لا للطهارة ، كما يسن إزالة الشارب والعانة وشعر الإبط ، وحلق الرأس أو تنظيفه وتنظيمه ، ثم صلاة ركعتين في غير وقت مكروه ، ينوي بعدهما النسك ، ويلبي ، أما الحائض والنفساء فلا صلاة عليهما ، وبذلك يكون قد بدأ أعمال الحج ، وبالتالي حرم عليه كل ما يحرم على المحرم مما تقدم ، من جماع وحلق وصيد ولبس مخيط وما إليه ... ويكثر التلبية بصوت عالٍ كلما علا جبلاً أو هبط وادياً أولقي صديقاً ، فإنها سنة ، ويستمر كذلك حتى يرمي جمرة العقبة في اليوم الأول من عيد الأضحى وبعد ذلك يقطع التلبية .

✪ قال العلماء فليتذكر عند لبس الإزار والرداء الكفن ، ولفه فيه ، فإنه سيرتدى

ويأتزر بثوبي الإحرام بعد تجرده من ثيابه عنه ، وأنه سيلقي الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة لما ورد : يحشر الميت في ثيابه ، فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الزي والهيئة ، فلا يلقى الله عزوجل بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا ، وهيئة تخالف الهيئة ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن ليس فيه مخيط فما أشبهه به .

✪ (٢) **الاغتسال عند دخول مكة** ، إن أمكن ، وذلك للنظافة فقط .

✪ (٣) **التوجه فور دخول مكة إلى الكعبة للطواف بها** ، وهو طواف القدوم إن كان آفاقيا - كما تقدم - ومن السنة أن يقدمه على استئجار البيت إن أمكن ، وعلى الصلاة كذلك ، إلا أن يخاف فوات الصلاة المكتوبة ، أو الوتر ، فإن خاف ذلك ، يبدأ بالصلاة ، هذا ، وتحية البيت الحرام الطوافُ بدلا من الصلاة .

✪ ويبدأ طوافه من الحجر الأسود مكبرا مهللا رافعاً يديه لاستلامه وتقبيله إن أمكن وإلا أشار إليه بباطن كفيه ثم قبّلهما ، ويفعل ذلك في كل شوط ، ويسن في هذا الطواف الاضطباع في الثلاثة الأول ، وهو كشف الكتف اليمنى ، والرمل ثلاث مرات ، ويفعل ذلك في كل طواف بعده سعي فقط .

✪ **ملاحظة هامة** : هناك مبحث نفيس جدا في تقبيل الحجر الأسود فلينظر صفحة رقم (٢٣٣) من هذا الكتاب لزاماً .

✪ ويسن للطائف أن يذكر الله تعالى في طوافه ، فإن قرأ القرآن أو غيره جاز. وقال أهل العلم : واعلم أنك بالطواف بالبيت متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت ، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدأ الذكر إلا منه ولا يختم إلا به ، كما يبتدأ بالطواف من البيت ويختم بالبيت ، وهذا هو الذي وقعت الإشارة إليه في قوله ﴿ يسبحون بحمد ربهم ... ﴾ اهـ .

✪ ويسن الرمَل في الأشواط الثلاثة الأولى فقط ، وهو المشي السريع مع هز الأكتاف ، ويسن استلام الركن اليماني ، وهو الزاوية الجنوبية الغربية من البيت بيده دون تقبيل . ثم صلاة ركعتين إثر انتهاء الأشواط السبعة ، ومن السنة أن تكون في حجر إسماعيل إن أمكن ، وإلا ففي أي مكان من الحرم .

ثم يَلتزم الملتزم ، وهو أدنى باب الكعبة بينه وبين الحجر الأسود ويدعو عنده ، ويشرب من ماء زمزم ، وذلك سُنة إن أمكن ذلك .

✪ **ملاحظة هامة** : هناك مبحث نفيس جداً في ماء زمزم فلينظر ص (١٨١-٢٠٢) .

وأما التعلق باستار الكعبة والالتزام بالملتزم ، فلتكن نيته في الالتزام طلب القرب من الله تعالى حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت ، مع تصحيح القصد في ذلك وتبركاً بالمماسة ، واتباعاً لسنته صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجاء للتحصن من النار في كل جزء من بدنك لما في البيت .

كل هذا الذي مر إنما هو للمفرد ، فإن كان متمتعا طاف للعمرة بدل طواف القدوم ، وهو - أي طواف العمرة - في الأحكام والكيفية مثل طواف القدوم تماما باستثناء النية ، ثم سعى للعمرة ، ثم حلق أو قصر ، وتحلل ولبس ثيابه ، وانتظر حتى الإحرام بعد ذلك ، وليس عليه طواف قدوم .

✪ وإن كان قارناً طاف للعمرة ثم سعى لها ، ولم يحلق ولم يتحلل ، ثم طاف للقدوم ندباً ، ثم سعى للحج إن شاء كما يفعل المفرد ، ثم لم يتحلل من إحرامه حتى نهاية أفعال الحج المفرد سواء بسواء .

✪ (٤) ***السعي بين الصفا والمروة*** : فإذا أراد الحاج أن يسعى سعي الحج ، إثر طواف القدوم جاز ، وإن أخره إلى ما بعد طواف الزيارة «أي طواف الإفاضة» جاز أيضاً ، هذا في حق المفرد والقارن ، أما المتمتع فإنه يسعى للعمرة فقط ثم يحلق رأسه أو يقصره ، ويتحلل كما ذكرنا آنفاً .

✪ فإن أراد المفرد والقارن تقديم السعي هنا ، استلم الحجر الأسود ، وكبر وهلل ، وخرج من باب الصفا ندباً ، فصعد إلى الصفا ، واتجه نحو الكعبة ، وكبر وهلل ، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بصوت مرتفع ، ودعا بما شاء ، ثم مشى نحو المروة ، وصعد عليها ، وفعل مثلما فعل على الصفا ، ثم عاد إلى الصفا ، وهكذا سبع مرات ، الذهاب مرة ، والعودة مرة ثانية ، وعليه أن يهرول بين الميلين الأخضرين ، وهما ميلان في الطريق بين الصفا والمروة ، والهرولة هي المشية السريعة ، وهي فوق الرمل ودون الركض .

ثم يسكن مكة ويبقى فيها محرما حتى يخرج إلى منى يوم التروية ، وهو الثامن من ذي الحجة ، فإذا أراد الطواف بالبيت تطوعاً ، طاف ما شاء الله له ذلك ، وصلى في الحرم وخارجه ما شاء الله له ذلك أيضاً . والصلاة في الحرم أفضل من مائة ألف صلاة في غيره كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ، فليحرص على الطواف والصلوات فيه من أحب التزود من الطاعة والثواب .

✪ (٥) ***فإذا كان اليوم السابع من ذي الحجة*** حضر خطبة الإمام بعد صلاة الظهر بمكة للتعليم والتذكير بأفعال الحج القادمة .

✪ (٦) ***فإذا كان اليوم الثامن من ذي الحجة*** ، وهو يوم التروية ، صلى صلاة الفجر في

مكة ، ثم غادرها إلى منى ، وصلى فيها خمس صلوات ، هذا إذا كان مفرداً أو قارناً فإن كان متمتعاً ، أحرم بالحج من مكة بعد خلع ثيابه ، وفعل ما يلزم للإحرام مما تقدم بيانه ، ثم غادر مكة إلى منى مع الناس لإتمام أفعال الحج كالمفرد .

✪ (٧) **فإن كان اليوم التاسع من ذي الحجة** غادر منى بعد أداء صلاة الفجر فيها إلى عرفات ، وبقي فيها حتى الزوال «قبيل الظهر» .

✪ (٨) **فإذا زالت الشمس** ، دخل مسجد نمرة ، إن أمكنه ذلك ، وهو مسجد على طرف عرفات وليس منها ، فاستمع إلى خطبة الإمام . ثم صلى معه الظهر والعصر معاً جمع تقديم ، ثم خرج من المسجد إلى عرفة ثانية ، وبقي فيها داعياً وذاكراً حتى غروب الشمس ، فإذا غربت انتظر قليلاً ، ثم دفع مع الناس إلى مزدلفة دون أن يشتغل بصلاة المغرب ، فإن محلها مزدلفة مع العشاء جمع تأخير وجوباً ، فإذا وصل مزدلفة صلى فيها صلاة المغرب والعشاء جماعة ، أو منفردا ، ثم أقام ليلته فيها ذاكراً وداعياً ومصلياً (وينام أيضاً كما هو من هديه ﷺ) ... فإذا طلع الفجر صلى صلاة الفجر غلساً ، ثم قدم إلى المشعر الحرام في مزدلفة ، ودعى عنده بما شاء حتى الإسفار قرب طلوع الشمس» ثم دفع مع الناس إلى منى ، ورمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، وهي الجمرة التي تلي مكة «الجمرة الكبرى» ووقت هذا الرمي من طلوع الفجر من يوم النحر إلى طلوع فجر اليوم الثاني ، والأفضل أن يكون الرمي قبل غروب شمس يوم النحر ، إن أمكن ، وإلا فلا كراهة ، ولهذا فإنه لا داعي للإستعجال بالرمي إذا كان المكان مزدحما .

✪ (٩) **فإذا عاد من رمي جمرة العقبة** ، ذبح هديه إن كان قارناً أو متمتعاً ، فإن كان مفرداً لم يذبح شيئاً على سبيل الوجوب ، فإن ذبح هدياً تطوعاً أجر على ذلك إن شاء الله تعالى ، فإن عجز القارن أو المتمتع عن الهدي صام ثلاثة أيام في الحج «آخرها يوم عرفة» وسبعة أيام بعد أيام التشريق بدلاً من الهدي .

✪ **فائدة هامة** : قال في «اتحاف السادة المتقين» ٤ / ٤٥٣ : أما رمي الجمار الثلاث فليقصد به الانقياد للأمر الإلهي ، إظهاراً للرق والعبودية ، وانتهازا لمجرد الامتثال لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير حظ للعقل والنفس في ذلك لما سبق أنه أمر تعبدي ، لا مدخل فيه للعقل والنفس ، وإنما هو مجرد إتباع ولا شك أن من ترك شيئاً من إتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإنه ينقص من محبة الله إياه على قدر ما نقص من إتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكذب نفسه في محبته لله ، بعدم تمام الإتباع .

✪ **وعنـــد أهـــل الله** : لو اتبعه في جميع أموره ، وأخل بالإتباع في أمر واحد ما اتبعه قط ، وإنما اتبع هوى نفسه ... هذا مقرر عندهم فلا ينبغي التساهل فيه . اهـ

✪ (١٠) **حـلق شعـر الـــرأس أو تقصيـــره** ، فإذا فعل ذلك تحلل من إحرامه كله ، وحل له مايحل لغير المحرم . ولم يحرم عليه سوى إتيان النساء ، فإنه لا يحل له حتى يطوف طواف الزيارة «طواف الإفاضة» .اهـ ما ذكره القاريء .

فـائـدة هامـة جـدا للحاج والمعتمر

● اعلم أيها الحاج أو المعتمر ! ثبت الحلق والتقصير بالكتاب والسنة والإجماع :

قال الله تعالي : ﴿ ... محلّقينَ رؤوسكُم ومُقَصِّرينَ لا تخافون ﴾ الفتح : ٢٧ .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع : «اللهم ارحم المُحَلِّقين» قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : «اللهم ارحم المحلّقين» قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : والمقصرين» . متفق عليه (المشكاة باب الحلق) .

وفي رواية لمسلم : دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة .

قال أبو طلحة : سبب تكرار الدعاء للمحلقين في الحديث المذكور : هو الحث عليه ، لأنه أبلغ في العبادة وأدل على صدق النية في التذلل لله ، لأن المقصّر مبق لنفسه من الزينة .

فمن أراد منكم - يا معشر الحجاج - التذلل لله ، وتكرار الدعاء لنفسه بقول نبيه ﷺ : «رحم الله المحلقين» فعليه أن يحلق رأسه بنية صادقة ، ويترك ما تهواه النفس وتشتهيه من إبقاء الزينة لها ، وقد رتب الله الجنة على الخوف منه وفي مخالفة النفس عن الهوى قائلاً : ﴿ وأما من خاف مقام ربِّه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ النازعات : ٤٠ .

و قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «حفت الجنة بالمكاره ، وحفة النار بالشهوات» رواه مسلم واللفظ له ، ورواه أيضا الترمذي وأبو داؤد والنسائي (المشكاة باب صفة النار وأهلها) .

✪ وقال تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ البقرة : ١٩٦ .

✪ **فأتمـوهمـا لله أيهـا النـاس !** واتركوا ما تميل إليه النفس ، وتذللوا أنفسكم لله بعد وصولكم في بيت الله الحرام ، لأن الحج والعمرة غالباً لا يوفق لهما كل واحد في حياته مرة بعد أخرى .

✪ **أيهـا الـزائـر** : فإذا لم تذلل نفسك لله في هذا الحين ، ولم تستطع على هذه

التضحية وأنت في بيته سبحانه ، حيث تذلل جميع أعناق الجبابرة طوعاً أو كرهاً فأين تذللها لله سبحانه ؟ فكر في ذلك ولا تسوف وقد قيل :

إذا لم تطب في طيبة عند طيب
تطيب بها الدنيا فأين تطيب؟

● حكاية عجيبة وحُكي عن بعضهم أنه قال : رأيت رجلا في الطواف وبين يديه خَدَمٌ يطردون الناس ، ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفَّف ويسأل فحدقتُ النظر إليه لأتعرفه هل هو ذلك الرجل أو لا ؟ فقال : ما لك تطيل النظر إليَّ فقلت : أشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا ، فقال : أنا ذاك ، إني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس، فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس . راجع «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» : ٤ / ٣٢١ .

قصة نفيسة للإمام أبي حنيفة مع الحلاق

● قال وكيع : قال لي أبو حنيفة : أخطأت في خمسة أبواب من المناسك ، فعلَّمنيها حجام ، وذلك أني حين أردتُ أن أحلق رأسي وقفتُ على حجّام ، فقلتُ له بكم تحلُق رأسي ؟ فقال : أعَراقي أنت ؟ قلتُ : نعم . قال : النسك لا يشارَطُ عليه ، اجلس ، فجلستُ منحرفاً عن القبلة ، فقال لي : حرّك وجهك إلى القبلة . وأردتُ أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر ، فقال : أدر الشق الأيمن من رأسك ، فأدرتُه ، وجعل يحلِق وأنا ساكت ، فقال لي : كبّر ، فجعلتُ أكبّر حتى قمتُ لأذهب ، فقال لي : أين تريد ؟ قلت : رحلي . قال : صلّ ركعتين ثم امض ، فقلت : ماينبغي ما رأيت من عقل هذا الحجام ، فقلت له : من أين لك ما أمرتني به ؟ قال : رأيتُ عطاء ابن أبي رباح يفعل هذا . ذكره المحب الطبري . ومنه السيد سابق في مؤلفه «فقه السنة » ١ / ٧٤٤» .

✪ (١١) **طواف الزيارة ، وهو الطواف الركن** ، ويسمى طواف الحج ، وطواف الإفاضة أيضاً ، وهو سبعة أشواط بعدها ركعتان ، ولهذا فإن على الحاج بعد رمي جمرة العقبة النزول إلى مكة لأداء طواف الزيارة هذا ، وهو سبعة أشواط كما ذكرنا فإن أخره إلى اليوم الثاني الثالث جاز ، على أن لا يتأخر عن غروب شمس اليوم الثالث من أيام النحر ، فإن تأخر عنه لزمه دمٌ ، فدية . وبعد الطواف هذا يسعى سعي الحج إن لم يكن قد سعى له بعد طواف القدوم ، فإن كان قد سعى لها ، بعد

طواف القدوم فقد كفاه ، فإن انتهى من طواف الزيارة والسعي للحج على ما ذكرناه ، حل من إحرامه تماماً ، وحل له كل شيء كان محرما عليه بالإحرام حتى النساء ، ثم يعود إلى منى للمبيت بها .

✪ (١٢) **وفي اليوم الثاني من أيام النحر** ، يحضر خطبة الإمام بمنى بعد صلاة الظهر ، ثم يذهب لرمي الجمار وهي ثلاث في هذا اليوم ، يبدأ بها بعد الزوال ، ووقتها مستمر إلى طلوع فجر اليوم الذي يليه ، فيبدأ بالأولى مما يلي منى ثم الثانية ثم الثالثة ، ويرمي في كل منها سبع حصيات ، ويقف بعدها عند الجمرة برهة للدعاء ، إلا جمرة العقبة وهي الثالث الأخيرة فإنه لا يقف بعدها .

(١٣) **وفي اليوم الثالث من أيام النحر** ، ينطلق بعد الزوال إلى الجمرات الثلاث ، فيرمي في كل منها سبعا كما فعل في اليوم الثاني ، ووقتها مستمر إلى طلوع شمس اليوم الذي يليه ، ثم ينزل إلى مكة إن شاء ، ويطوف طواف الزيارة «طواف الإفاضة» إن لم يكن قد طافه من قبل ، وبهذا تكون أعمال حجة قد انتهت ، وإن شاء بقي في منى إلى اليوم الرابع ، ورمى الجمرات الثلاث كما فعل في اليوم السابق عليه بعد الزوال «وإن شاء أن يرميها هنا قبل الزوال جاز» ثم ينزل إلى مكة - وهو أفضل - قال تعالى : ﴿ فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ﴾ البقرة : ٢٠٣ .

أما إذا مكث في اليوم الثالث في منى حتى فجر اليوم الرابع فقد لزمه البقاء والرمي في اليوم الرابع قبل غروب شمسه .

(١٤) **طواف الصدر «الوداع»** وهو سبعة أشواط حول الكعبة الشريفة ، يصلي بعدها ركعتين وذلك عندما يريد السفر والعودة إلى بلده هذا إذا كان آفاقياً ، فإن كان مكياً أو من سكان الحل لم يلزمه هذا الطواف ، وكذلك الحائض والنفساء ، فإنه لا يجب عليهما هذا الطواف للعذر تخفيفاً من الله تعالى . اهـ ما ذكره علي القاري .

كيفية العمرة

● ذكر علي القاري في «أنوار الحُجج في أسرار الحِجج» ص ٣٣ وقال : **العمرة** هي إحرام ، وطواف ، وسعي ، وحلق أو تقصير .

أفعالها : أفعال العمرة أربعة هي :

(١) **الإحرام** : وهو نية العمرة ، بعد الاستعداد للإحرام بالحج تمامًا بشروطه وواجباته وسننه ، إلا أن النية فيه للعمرة بدلاً من الحج . فيشترط له الميقات للآفاقي

أما أهل الحل فيحرمون للعمرة من بيوتهم ، وأما أهل الحرم فيخرجون إلى أقرب مكان في الحل ويحرمون منه بالعمرة .

فإذا أراد المعتمر العمرة ، خلع ثيابه ، ولبس الإزار إن كان رجلاً ، وكشفت وجهها إن كانت امرأة عند غيبة الرجال الأجانب ، ثم اغتسل أو توضأ . . . ثم صلى ركعتين ثم قال :

● «اللَّهُمَّ إنِّي أرِيدُ العُمرَةَ فَيَسِّرها لِي ، وتَقَبَّلها منِّي ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لكَ والمُلْكُ ، لاَ شَرِيكَ لَكَ» .

● والإحرام شرط صحة العمرة ، فإذا أحرم المعتمر بالعمرة ، حرم عليه ما حرم على المحرم بالحج تماماً وقد تقدم .

✪ (٢) **الطواف** : فإذا دخل المعتمر مكة ، توجه نحو المسجد الحرام ، وطاف بالكعبة سبعة أشواط ، كما يفعل الحاج في طواف القدوم ، والطواف هذا ركن العمرة ، بل إن أربعة أشواط منه هي الركن والباقي واجب من واجباته .

✪ (٣) **السعي بين الصفا والمروة** : فإذا أنهى المعتمر طوافه ، صلى ركعتين ، ثم توجه إلى الصفا وسعى بينها وبين المروة سبعة أشواط كما يفعل الحاج تماماً . والسعي هذا ليس ركناً في العمرة وإنما هو واجب من واجباتها .

✪ (٤) **الحلق أو التقصير** : فإذا أتم المعتمر سعيه ، قص من شعر ربع رأسه بمقدار أنملة أو حلقه ، فإن كان أصلعاً لا شعر له ، أمرَّ الموسى على رأسه وكفاه ، والحلق والتقصير هذا واجب من واجبات العمرة أيضا .

✪ فإذا فعل المعتمر ذلك تمت عمرته ، فيلبس ثيابه ، ويحل له كل شيء كان حراماً على المحرم ، حتى النساء ما لم يكن قارناً .

فإذا أراد أن يعتمر ثانية في اليوم نفسه أو بعده ، خرج إلى الحل وأحرم بالعمرة ثانيةً ، ثم دخل إلى الحرم وقام بأفعال العمرة كما تقدم . اهـ ما ذكره علي القاري رحمه الله تعالى .

قال بعض العلماء : إن الطواف بالبيت أفضل من الخروج للإتيان بعمرة .

الفصل الثالث

بعض أنوار الحج الغريبة وأسراره الفريدة

✪ يا معشر الحجاج ! قد من الله عليكم أن هداكم للإيمان ، ثم دعاكم إلى بيت الله الحرام ، لأداء فريضة الحج على لسان أبيكم إبراهيم عليه السلام قائلا : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ الحج : ١٧ . فأجبتم دعوة ربكم ودعوة أبيكم إبراهيم ﷺ حينما فرغ (من بناء البيت ، وقيل له : أذن في الناس بالحج ، قال : يارب ! وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذّن وعليّ البلاغ ؛ فصعد إبراهيم خليل الله جبل أبي قبيس وصاح :

● يا أيها الناس ! إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار ، فحُجُّوا ؛ فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء : «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك !» فمن أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة ، إن أجاب مرّة فمرّة ، وإن أجاب مرتين فمرتين ؛ وجرت التلبية على ذلك ؛ قاله ابن عباس وابن جرير) ما بين القوسين من «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١٢ / ٢٦ .

✪ ها أنتم هؤلاء يا معشر الحجاج ! قد أجبتم دعوة ربكم وأبيكم إبراهيم عليه السلام فهنيئا لكم ومرحبا بكم في الحرمين الشريفين .

✪ فعليكم عدم الإنشغال بما لا يعنيكم ، وعليكم العمل بما قدمتم من أجله ، حيث صرفتم الأموال الطائلة وتركتم الأهل والوطن في سبيل الوصول إلى الحرمين الشريفين ، ولعل أحدكم لا يكتب له العودة مرة ثانية . لذا يلزمكم الإنشغال في أيام الحج بما ينفعكم في الدارين .

✪ وقد قال النبي ﷺ : «ما من أيام أعظم عندالله ، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد» رواه الإمام أحمد كما في التفسير لابن كثير ٣ / ٢١٧ .

✪قال العلماء : الحج حرفان ، فالحاء : حلم الحق ، والجيم : جُرم الخلق ، والإشارة في تشديد الجيم مع نقطته : إلى أن الحق يغفر أنواع جرم الخلق مع كثرته . وإيماء أن رحمته سبقت غضبه في مرتبة أزلية ، لكن بشرط أن يكون الحاج مبرورا ، وسعيه مشكوراً ، بأن يكون سيره بتحسين النية ، والخروج عن المعاصي بالكلية ، وأن يكون زاهداً في الدنيا ، وراغباً في العقبى ، وطالباً لمرضاة المولى ، مخلصاً في طاعته عن ملاحظة ريائه وسمعته ، وأن يكون زاده حلالاً طيبا .

● فقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «يأتي على الناس زمان يحج أغنياء أمتي للتنزه ، وأوساطهم للتجارة ، وقراؤهم للرياء والسمعة ، وفقراءهم للمسألة» ذكره ابن جماعة المتوفى سنة ٣٧٩هـ . كما في «كشف الخفا» ٢ / ٥٤١ وقال : رواه الخطيب والديلمي عن أنس رضي الله عنه .

✪وذكر الإمام علي بن سلطان الهروي المكي في رسالته : «أنوار الحُجج في أسرار الحجج» ص ٤٦ : وعن بعض السلف أن رجلا جاءه فقال : أريد الحج ، فقال : كم معَك ؟ قال : ألفا درهم ، قال : أما حججت ؟ قال : بلى ، قال : فأنا أدلك على أفضل من الحج ؛ اقض دين مدين ، فرّج عن مكروب ، فسكت ، قال : ما لك ؟ قال : ما أريد إلا الحج ، قال : إنما تريد أن تركب وتجيء ، ويقال : حج فلان .

✪ويروى أن بعض أهل الصلاح رأى فيما يرى النائم : أعمال الحج تعرض على الله فقيل : فلان ، فقال : يكتب حاجاً ، فقيل : فلان ؟ فقال : يكتب تاجراً ، حتى بلغ إليه ، فقال : يكتب تاجراً ، قال : فقلت : ولِمَ ؟ ولستُ بتاجر ! . فقال : بلى حملتَ كُتبة غزل تبيعها على أهل مكة .

«الكُتبة» : الخرزة ، وهي نوع من الجواهر أو الأحجار الكريمة .

● وقال في تنوير الأذهان ٢ / ٢٧ مفسرا لقوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورياء - إلى قوله - والله بما يعملون محيط﴾ الأنفال : ٤٧ فيجازيهم عليه ، وفيه تهديد على الأعمال القبيحة خصوصاً هذه الآية من البطر والرياء : هو إظهار الجميل وإبطان القبيح ، وهو من الصفات المذمومة للنفس :

● حكاية عجيبة عن بعض الصالحين أنه قال : كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي على الطريق ، أقرأ سورة طه ، فلما ختمتها غفوت غفوة ، فرأيت شخصاً نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي ، فإذا هي سورة طه ، وإذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة ، إلا كلمة واحدة ، فإني رأيت مكانها محواً ولم أر تحتها شيئاً ، فقلت : والله لقد قرأت هذه الكلمة ، ولا أرى ثواباً ولا أراها أثبتت

فقال الشخص : صدقتَ قد قرأتها وكتبناها ، إلا أنا قد سمعنا منادياً ينادي من قبل العرش : امحوها واسقطوا ثوابها ، فمحوناها ، قال : فبكيت في منامي فقلت : لِمَ فعلتم ذلك ؟ فقال : مر رجل فرفعتَ بها صوتك لأجله فذهب ثوابها .

● **فعلى العاقل ! إخلاص العمل** ، وهو إرادة التقرب إلى الله تعالى ، وتعظيم أمره وإجابة دعوته ، سواء كان من العبادات المالية أو البدنية . اهـ

✪ ثم قال الهروي : وفي الجملة ساق الشوق في محبة الله سبحانه إلى حرمه ، رجاء جوده وكرمه ، بحسب ما قرر كل أحد في قضاء الله وقدره .

✪ فقيل : إن سبب هذا الشوق والغرام دعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ﴾ إبراهيم : ٣٧ . قال جمع من المفسرين : أي تميل إليهم ، وتحنُّ عليهم ، وتقف لديهم - ولو قال : أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس ، ولكن قال : ﴿ من الناس ﴾ فهم المسلمون . قاله ابن عباس - ثم عبر عنهم بالأفئدة إيماء إلى أنهم خلاصة الخلق ، وزبدة طلبة الحق ، كما يؤميء إليه قوله سبحانه : ﴿ يُجْبىٰ إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ﴾ القصص : ٥٧ .اهـ

✪ وذكر الهروي في رسالته «أنوار الحجج» ص ٥٠ : واعلم بأن الباعث إلى الشوق الخالص إلى ثواب الله تعالى ومرضاته ، على قدر الفهم والتحقق بمشاهدة آياته وبيناته ، حيث جعله سبحانه مثابة للعالمين ، وأمنا للخائفين ، وملجأ للعائذين ، وأودع فيه ما شهدت به ألسنة الوجود من أرباب الشهود ، وأمر خليله بتطهيره للعابدين والعارفين . وشرفه بإضافته إلى نفسه قال : ﴿ وطهِّرا بيتيِ للطائفين والقائمين والركع السجودِ ﴾ الحج : ٢٦ ، وكفاه بذلك شرفا وفخراً ، وبه على سائر البقاع عظمة وقدراً .

● **فالواجب** على من يدوس عتبة باب الملوك ، وبساط انبساطهم لنيل المطالب ، وتحصيل المواهب ، وتيسير المناصب : أن يتحمل أنواع المتاعب ، ويتأدب بمحاسن المناقب ، بالإقبال على الله تعالى في الحركات والسكنات ، والتجرد ظاهراً وباطنا عن المخلوقات ، والإنقطاع عن العلائق ، ومهما - أي كلما - ذكر المعصية جدد التوبة وكرر الأوبة ، لأنه من حصول الذنب على المعرفة ، ويكون بين الخوف والرجاء في كل حاله ، فلا ييئس من رحمته وكرمه ، ولا يأمن من سخطه بسبب حلمه ، إذ لا يجوز للمرء أن يغتر بعلمه ولا بعمله ، بل يعتمد على جود ربه وفضله .

قال ابن جماعة : ويغلط كثير من الناس فيحجون بيت الله طالبين لرحمته ، بما قد يكون جالبا لنقمته ، فيصرون على ارتكاب السيئات ، ويبالغون في التباهي

بالمحرمات ، والتزين بالمكروهات ، حتى ألبسوا الجمال الحرير والذهب ، ونحو هذا من المنكرات ، وما هكذا أمر الله أن يحج بيته الكريم ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ النور : ٦٣ .

✪ **ولقد خرج بعض الصالحين** في عصرنا من مصرنا إلى الحج مع القافلة ، فلما وصل إلى البركة - اسم الموضع - وهي المرحلة ، رجع لما رأى من الأمور المنكرة ، والأفعال المزخرفة ، والأحوال المزورة ، ولعمري إنه لمعذور في هذا الباب لقوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ الأنفال : ٢٥ .

● **حكاية هارون الرشيد مع بهلول وهو في سفره إلى الحج** وعن عبدالله بن مهران قال : حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً ثم أمر بالرحيل فخرج الناس ، وخرج بهلول المجنون فيمن خرج ، فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به ، إذ أقبلت هوادج هارون فكفَّ الصبيان عن الولوع به ، فلما جاء هارون ناداه بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين : فكشف هارون السجاف بيده وقال : لبيك يا بهلول ، فقال : يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قُدامة بن عبدالله العامري قال : «رأيت النبي ﷺ يمضي على جمل ، وتحته رَحْلٌ رثٌّ» فلم يكن ضربٌ ولا طرد ولا إليك إليك ، وتواضعك في سفرك هذا ياأمير المؤمنين خيرٌ لك من تكبرك ، فبكى هارون حتى سقطت الدموع على الأرض وقال : يا بهلول زدنا يرحمك الله ، فقال :

هبْ أنك قد ملكت الأرض طرّاً	وأن لك العبادَ فكان ماذا ؟
أليس غداً مصيرك جوف قبرٍ	ويحثو التُّربَ هذا ثم هذا ؟

● فبكى هارون ثم قال : أحسنت يا بهلول ، ثم أمر له بجائزة ، فقال : أردد الجائزة إلى من أخذتها منه ، فلا حاجة لي فيها ، قال : يا بهلول : إن يكن عليك دين قضيناه ، قال : يا أمير المؤمنين لا يُقضى دين بدين ، أردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك ، قال : يا بهلول فنجري عليك ما يكفيك ، فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال : يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله تعالى ، فمحال أن يذكرك وينساني ، فأسبل هارون السجاف ومضى .

والمقصود من هذه الحكاية بيان استماع هارون الحق وقبوله ، وذلك لأنه كان كالمكان الزاكي ، وقلبه كان حياً بالحياة الطيبة فلذا لم يخرج منه إلا الأخلاق

الحميده . (ذكره في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٥٤٦) حققه الشيخ محمد علي الصابوني .

وذكر الهروي رحمه الله : ومن أهم ما يهتم به : إخلاصه لله تعالى وحده في جميع أمره ، فعنه ﷺ أنه قال : «إذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه ، نادى منادٍ : من كان أشرك أحدا في عمل عمله لله ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله تعالي أغنى الشركاء عن الشرك» رواه أحمد ٤ / ٢١٥ والترمذي رقم : ٣١٥٤ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ... اهـ

ومن أتم ما يجب التحرز عنه في أمره : النفقة ، بأن تكون من الحلال الخالص من الشبهة ، بقدر الوسع والطاقة . ففي صحيح مسلم رقم : ١٠١٥ :

✪« ... أنه ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب يا رب ! ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذّي بالحرام ، فأنّى يستجاب لذلك ... » الحديث .

● وما أشد خسارة من بذل نفسه وماله ، وبدّل حاله وجماله ، فيرجع بالحرمان وغضب الرحمان وفي الحديث : «إذا حج الرجل بالمال الحرام ، فقال لبيك اللهم لبيك ، قال الله : لا لبيك ولا سعديك ، حتى ترد ما في يديك» ذكره ابن جماعة تبعا للغزالي لكن سكت عنه العراقي . وأخرجه ابن عدي في الكامل والديلمي في الفردوس رقم : ١١٧٢ ورمز السيوطي في الجامع لضعفه .

وفي رواية : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك» ذكره الهروي في «أنوار الحُجج في أسرار الحِجج» ص ٥٣ .

ثم قال الهروي رحمه الله : ونسب إلى أحمد بن حنبل أنه قال :

إذا حججت بمال أصله سحت ... فما حججت ولكن حجّت العير
لا يقبل الله إلا كل طيبة ... ما كل من حج بيت الله مبرور

● وينبغي للحاج أن يأخذ نفسه بالرحمة ، ولا يؤذي الناس بالزحمة ، لا سيما في ضيق الطريق وموارد الماء ، ولا يكسر قلوب الفقراء ، ولا ينهر في وجوه الضعفاء ، وليُبرّ بهم ولو بالقليل ، أو يصرفهم بالرد الجميل .

والحاصل : أن السالك في هذه المسالك ، ينبغي أن يكون متصفا بالشكر وبالصبر ، ولا يتأثر فيه ضيق الصدر ، وما يتعلق به من الضجر ، فقد قال بعض أهل الشعر :

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

● وعن بعض الأولياء : العجب ممن يقطع المفاوز في البيداء ، ليصل إلى بيت الله وحرمه ، ويرى آثار النبوة وأنوار جوده وكرمه ، كيف لا يقطع نفسه وهواه في حبه ، ليصل إلى حضور قلبه ، فيرى آثار أنوار ربه ، وأزهار أسرار لبه .
فينبغي كون سير الظاهر إلى بيت ربه ، وسير الباطن إلى تصفية قلبه ، وتزكية حبه ، فإنه هو المقصود والموجود - فيا للأسف هذا مفقود فينا ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● واعلم أيها الحاج ! «إن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان وفي مثله قيل :

يقولون لي دار الأحبة قد دنت	وأنت كئيب إنّ ذا لعجيب
فقلت وما تغني ديار قريبة	إذا لم يكن بين القلوب قريب
فكم من بعيد الدار نال مراده	وآخر جار الجنب مات كئيب

● وذكر الهروي في رسالته «أنوار الحجج ص ٦٦ : ويروى أن رجلا قال للفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى : إني أريد الخروج إلى مكة فأوصني ؟ فقال له : شمّر إزارك في الطلب ، وانظر إلى أين تذهب؟ وإلى من تذهب ؟ فخر الفضيل مغشيا .

✪ **ثم قال : وليتذكر الحاج بوصوله إلى الميقات** : أن الله تعالى قد أهلّه للقدوم عليه ، والقرب إليه ، والوقوف لديه ، فليلزم الأدب معه ، ليصلح لإقباله وإدراك نواله .

✪ **وليتذكر عند تجرده للمخيط للإحرام** : تجريده لغسل الموت حال الاختتام .
ولينو عند تجرده عن محظورات الإحرام : أنه تجرد عن جميع المحرمات في أحكام الإسلام ، وعند غسله أنه اغتسل : من الخطايا والآثام .

✪ وقد قال بعض المشايخ الأخيار : موتوا قبل أن تموتوا . أي موتوا بالاختيار قبل أن تموتوا بالاضطرار .

✪ **وليتذكر عند لبس إزاره وردائه لفه في أكفانه حال فنائه** ، وعند تطيبه حال حنوطه ، وعن صلاة سنة الإحرام الصلاة عليه في فرض المقام .

✪ **وليتذكر حال التلبية** بعد تصحيح نيته وتزيين طويته : أنه يجيب الباري في دعوته إلى بيته ، الذي هو مهبط أنوار نبيه ﷺ ، ومعدن أسرار وحي صفيّه صلى

الله عليه وآله وسلم وهو واقف بين الرد والقبول في مقام الحصول . فإن التلبية بداء الأمر ، وموضع الخطر ، فإن أقبل على الله بقلبه ، أقبل عليه الرب بفضله ، وإن أعرض أعرض عنه بمقتضى عدله - وقد قال تعالى : ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ هود : ٢٨ - .

● وقد روى مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن مالك أنه قال : اختلفت إلى جعفر بن محمد ، وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصلٍّ ، وإما صائم ، وإما يقرأ القرآن ، وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا على طهارة ، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله جلت عظمته . ✪ ولقد حججتُ معه سنة ، فلما أتى الشجرة وأراد أن يهلّ كاد يغشى عليه ، فكلمته في ذلك ، وكان يكرمني وينبسط إليَّ ، فقال : يا ابن أبي عامر ، إني أخشى أن أقول : لبيك اللهم لبيك ، فيقول : لا لبيك ولا سعديك . قال مالك : ولقد أحرم جده علي بن الحسين ، فلما أراد أن يقول : لبيك اللهم لبيك ، أو قالها غُشي عليه وسقط عن ناقته . فهشم وجهه رضي الله عنه .

● وقال أحمد بن أبي الحواري - هو الذي قال أبو داؤد فيه : ما رأيت أحدا بأعلم بأخبار النساك منه - : كنت مع أبي سليمان الداراني حين أراد أن يحرم فلم يلبِّ حتى سرنا ميلا ، ثم غُشي عليه فأفاق ، وقال : يا أحمد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : «مُر ظلمة بني إسرائيل أن لا يذكروني ، فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة » ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حلال ثم لبى قال الله : (لا لبيك ولا سعديك) فما نأمن أن يقال لنا ذلك .اهـ ماذكره الهروي رحمه الله في أنوار الحجج .

✪ ثم قال الهروي رحمه الله : **وليتذكر** عند انتشار المحرمين رافعي أصواتهم بالتلبية حال القيام من القبور ، وإجابتهم عند النفخة ﴿يوم يدع الداع إلى شيء نكر ◯ خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ◯ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ القمر : ٦-٧ .

● ثم اعلم بأنه لما كان المقصود من لبس إزاره وردائه استمطار سحب آلاء الله ونعمائه ، والتذلل في الوقوف بكريم فنائه ، ألزم فيه العبد المخالفة في هيئة المعروفة ، وأمر بجانبة الرفاهية ، ومباينة الملاذ المألوفة ، ونظر إلى أشرف أعضائه وألطف أجزائه ، فخوطب بامتهانه وكشفه ، ليعد إلى باب الله طالبا للطفه ، ومن

تعرى لله في الدنيا يكسى الحلل في العقبى .

ويروى أن امرأة عابدة حجّت ، فلما دخلت مكة وجعلت تقول : أين بيت ربي ؟ أين بيت ربى ؟ فقيل لها : هذا بيت ربك ، فاشتدت نحوه تسعى ، حيث ألصقت جبينها بحائط البيت ، فما رفعت إلا ميّتة .

✪ **ثم انـــو عـــنـــد استـلام الحجـــر** أنكَ بايعت الله على لزوم طاعته ، ودوام الوفاء ببيعته ، فإنه عليه الصلاة والسلام قال : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه» .

وفي هامش «أنوار الحجج» ص ٧٤ : أورده السيوطي في الجامع الصغير ونسبه في تاريخ بغداد ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ورمز السيوطي لضعفه .

كما أورده في كشف الخفا ١ /٤١٧ شطره الأول وقال ... ورواه القضاعي أيضاً عن ابن عباس موقوفاً عليه ، لكنه صحيح ومثله مما لا مجال للرأي فيه ، وله شواهد فالحديث حسن وإن كان ضعيفا بحسب أصله اهـ . وينظر «المطالب العالية» لابن حجر أيضاً : ١ / ٣٣٩ قال فيه : هذا موقوف جيد اهـ .

وأورد بعض شواهده وقال : ومعناه كما قال المحب الطبري : «أن كل ملك إذا قُدم عليه قُبّلت يمينه ، ولما كان الحاج والمعتمر يسن لهما تقبيله نُزِّل منزلةَ يمين الملك على سبيل التمثيل ، ولله المثل الأعلى ، ولذلك من صافحه كان له عندالله عهد كما أن الملك يعطي العهد بالمصافحة اهـ .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «يأتي الركنُ يوم القيامة أعظم من أبي قُبَيس - اسم جبل بمكة - له لسان وشفتان يتكلم عمن استلمه بالنية ، وهو يمين الله يصافح به خلقه» صحيح ابن خزيمه ٤ / ٢٢١ . والمستدرك ١ /٤٥٧ .

ضَع فمك موضع فم رسول الله ﷺ بيقين

● ومما زاده شرفاً وفخراً فوق ذلك كله تقبيلُ رسول الله ﷺ له - أي الحجر الأسود - وذلك حين طاف بالبيت العتيق مستلماً له .

● «وإن في تقبيل المسلمين واستلامهم للحجر الأسود نقطة دقيقة ، وهي أن تقع أفواههم موضع فم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفمِ الأنبياء الذين قبله عليهم الصلاة والسلام ، وأن تلمس أيديهم ما لمسته أيديهم الشريفة من هذا الحجر

المكرم ، وأي مسلم خطرت بباله هذه النقطة لا يبادر بتقبيله واستلامه ؟!» ينظر «التاريخ القويم» للكردري ٣ / ٢٩٩ .

● **وقبّل حجرا مكرّماً نزل من الجنة** قال الإمام الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» ٤ / ٤٢ : «وقبِّل حجراً مكرماً نزل من الجنة ، وضَعْ فمك لاثما مكانا قبّله سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم بيقين فهنّأك الله بما أعطاك ، فما فوق ذلك مفخر ، ولو ظَفرنا بالمِحْجن الذي أشار به رسول الله ﷺ إلى الحجر ، ثم قبّل محجنه ، لَحُقَّ لنا أنَ نزدحمَ على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل ، ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونَعله ﷺ

✪ وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها ويقول : يدٌ مسَّت يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فنقول نحن إذا فاتنا ذلك : حجرٌ معظم بمنزلة يمين الله في الأرض ، مسّته شفتا نبينا ﷺ لاثما له ، فإذا فاتك الحج ، وتلقَّيتَ الوفد ، فالتزم الحاج وقبِّل فمه ، وقل : فَمٌ مسّ بالتقبيل حجراً قبّله خليلي ﷺ » اهـ .

✪ وقال الإمام عز الدين بن جماعة - رحمه الله - في «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك» ٢ / ٨٢١ :

● **«وإذا أراد الإنسان** أن يقبّل الموضع الذي قبله رسول الله ﷺ بيقين ، فليَستوعب الحجر بالتقبيل إن أمكنه ، وقد استوعبتُه مرّات بفضل الله» اهـ .

✪ ففي تقبيل الحجر الأسود صلةٌ وسندٌ عالٍ متصلٌ بسيدنا رسول الله ﷺ بدون واسطة ، مُسلسلٌ بتقبيل هذا الحجر المكرم ، ومتصل بالأنبياء الكرام والصحابة العظام ، ومن تبعهم من العلماء والصالحين ، ووفد الله وضيوفه من الحجاج والعمار ، ونسأل الله تعالى أن يُكرمنا بما هو أهله .اهـ ذكره سائد بكداش في مؤلفه «فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم ﷺ» ص ٤٣ .

✪ وقال الإمام الهروي في «أنوار الحجج» ص ٧٤ : **وإذا رملتَ في الطواف فانو :** أنك هارب من ذنوبك ، وإذا مشيتَ فترجَّ من ربك الأمن من عذاب ما هربتَ منه بقبول توبتك . وتذكر عند تعلُّقكَ بالأستار : تشبث الجناة بأذيال الكرام الأبرار .

✪ **وليحذر من الإساءة حال طوافه** ، ووقت اعتكافه ، وليحفظ جميع جوارحه تأدباً مع ربه في مقام قربه .

✪ فقد روي أن رجلا طاف بالبيت ، فبرق له ساعد امرأة ، فوضع ساعده على

ساعدها ، يتلذذ به ، فلصق ساعداهما ، فقال له بعض الصالحين : ارجع إلى المكان الذي فعلت فيه تلك المعصية ، وعاهد رب البيت أن لا تعود إلى مثل تلك القضية بالإخلاص وصدق النية ، ففعل فتخلص عن البلية .

● وعن بعض السلف أنه دخل الحِجر في الليل وصلى تحت الميزاب ، وأنه سمع وهو ساجد كلاماً بين أستار الكعبة والحجارة وهو يشكو إلى الله تعالى: ما يفعل هؤلاء الطائفون حولي من إساءتهم ، قال : فأولتُ أن البيت تشكى .

✪ ويروى عن أبي يعقوب النهرجورى قال : رأيت في الطواف رجلا له عين واحدة ، وهو يقول في طوافه : أعوذ بك منك ، فقلت له : ما هذا الدعاء ؟ فقال : إني مجاور منذ خمسين سنة ، فنظرت إلى شخص يوما فاستحسنته فإذا لطمة وقعت على عيني . فسالت عيني على خدي ، فقلت : آه ، فقال قائل : هبناك لطمة بنظرة ، ولو زدت زدناك . اهـ ما ذكره الهروي رحمه الله .

✪ وذكر ابن قدامة المقدسي رحمه الله في كتاب التوابين ص ٢٥٢ : بينما إمرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول : يارب ! ذهبت اللذات ، وبقيت التبعات ، يارب ! سبحانك ، وعزتك إنك أرحم الراحمين ، يارب ! ما لَكَ عقوبة إلا النار ، فقالت صاحبة لها كانت معها : أخيّة ! دخلت بيت ربّك اليوم ؟ فقالت : والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربي ، فكيف أراهما أهلا أطأ بهما بيت ربي وقد علمتُ حيث مشتا وأين مشتا ؟ اهـ

قصة عجيبة لشاب وهو يطوف حول الكعبة

● وذكر ابن قدامة المقدسي في «كتاب التوابين» ص ٢٣٧ - ٢٤١ : .... عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : بينا أنا أطوف مع أبي - علي بن أبي طالب رضي الله عنه - حول البيت في ليلة ظلماء ، وقد رقدت العيون ، وهدأت الأصوات إذ سمع أبي هاتفاً يهتف بصوت حزين شجيّ وهو يقول :

يا من يجيب دعا المضطرّ في الظلَمِ	يا كاشف الضّر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا	وأنت عينُك يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن جُرمي	يا من إليه أشار الخلقُ في الحرم
إن كان عفوك لا يدركه ذو سرف	فمن يجود على العاصين بالكرم

● قال : فقال أبي : يا بنيّ ! أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه ؟ الحقه فلعلّ أن تأتيني به ، فخرجت أسعى حول البيت أطلبه ، فلم أجده حتى انتهيت إلى المقام ، وإذا هو قائم يصلي ، فقلت : أجبْ ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأوجزَ في صلاته واتبعَني ، فأتيتُ أبي ، فقلت : هذا الرجل يا أبت ؟ فقال له أبي : ممن الرجل ؟ قال : من العرب ، قال : وما اسمك ؟ قال : مُنازل بن لاحق ، قال : وما شأنك وما قصتك ؟ قال : وما قصة من خذلته ذنوبه وأوبقته عيوبه فهو مرتظم في بحر الخطايا ، فقال له أبي : عليّ ذلك ، فاشرح لي خبرك .

قال : كنت شاباً على اللهو والطرب لا أفيق عنه ، وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول : يابنيّ ! احذر هفوات الشباب وعثراته ، فإن لله سطوات ونقمات ماهي من الظالمين ببعيد ، وكان إذا ألحّ عليّ بالموعظة ألحت عليه بالضرب ، فلما كان يوم من الأيام ألح عليّ بالموعظة ، فأوجعته ضرباً ، فحلف بالله مجتهداً ليأتينَّ بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة ويدعو عليّ ، فخرج حتى انتهى إلى البيت فتعلق بأستار الكعبة ، وأنشأ يقول :

يا مَن إليه أتى الحجاجُ قد قطعوا	عرض المهامة مِن قربٍ ومن بُعدِ
أني أتيتك يا من لا يخيّبُ مَنْ	يدعوه مبتهلاً بالواحدِ الصمدِ
هذا منازل لا يرتد عن عققي	فخذ بحقي يا رحمان من ولدي
وشل منه بحول منك جانبه	يا من تقدس لم يولد ولم يلدِ

● قال : فوالله ما استتمّ كلامه حتى نزل بي ما ترى ، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس ، قال : فلم أزل أترضاه وأخضع له وأسأله العفو عني ، إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذي دعا علّي ، قال : فحملته على ناقة عشراء ، وخرجت أقفو أثره ، حتى إذا صرنا بوادي الأراك - قرب مكة - طار طائر من شجرة ، فنفرت الناقة ، فرمت به بين أحجار ، فرضخت رأسه - كسر الرأس - فمات ، فدفنته هناك وأقبلت آيسا ، وأعظم ما بي ما ألقاه من التعبير أني لا أعرفَ إلا بالمأخوذ بعقوق والديه ، فقال له أبي : أبشر فقد أتاك الغوث ، فصلى ركعتين ، ثم أمره فكشف عن شقه بيده ، ودعا له مرات يرددهن ، فعاد صحيحا كما كان ، وقال له أبي : لو لا أنه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك ، قال الحسن - ابن علي رضي الله عنه - : وكان أبي يقول لنا : احذروا دعاء الوالدين ! فإن في دعائهما النماء - البركة - والإنجبار والاستئصال والبوار - الهلاك - وذلك بعقوقهما وإيذائهما وعدم الإحسان إليهما . اهـ

● وذكر الهروي في «أنوار الحجج» ص ٨٠ : وقال الشيخ ابن الموفق : طفت بالبيت ليلة وصليت ركعتين بالحجر ، واستندت إلى جوار الحجر أبكي ، وأقول : كم أحضر هذا البيت الشريف ولا أزداد في نفسي خيراً ، فبينا أنا بين النائم واليقظان ، إذ هتف بي هاتف ، ياعلي : سمعنا مقالتك ، أو تدعو أنت إلى بيتك من لا تحبه !

✪ **وإذا سعيت فتذكر** تردد العبد في فناء دار السيد إظهاراً لمحبته ، وإشعاراً لخدمته ، ورجاء ملاحظته بعين جوده ورحمته . وكن كمن دخل دار ملك وحرمه ، وخرج منها مع خدمه وحشمه ، ولم يعلم هل قبله المولى أم لا ، فهو تردد في فنائها مرة بعد أخرى ، طمعاً في القبول ، ورجاء إلي الوصول .

✪ ومثّل الصفا والمروة بكفتي الميزان ، ناظراً إلى الرجحان والنقصان ، متردداً بين الخوف والنيران ، ورجاء الغفران .

✪ **وإذا وقفت بعرفة** ، فتذكر حال وقوفك بين يدي الله سبحانه يوم القيامة مع سائر الأمة ، وما هم فيه من شدائد الأهوال ، ومشقات الأحوال ، منتظرين ما يقضى عليهم من دار جنة أو نار . فكذلك أهل عرفة منتظرون ما قُسم لهم من قبول مع الأبرار ، أو رد مع الفجار .اهـ ما ذكره صاحب «أنوار الحجج» .

البشارة الكبرى العامة لأهل عرفة يوم عرفة

● عن عباس بن مرداس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب أني قد غفرت لهم ما خلا المظالم ، فإني آخذ للمظلوم منه ، قال : أي رب ! إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة ، وغفرت للظالم ، فلم يجب عشيته ، فلما أصبح بالمزدلفة ، أعاد الدعاء ، فأجيب إلى ما سأل ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو قال تبسم ، فقال له أبو بكر وعمر : بأبي أنت وأمي ! إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها ، فما الذي أضحكك أضحك الله سنّك ، قال : إن عدو الله إبليس لما علم أن الله عز وجل قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور ، فأضحكني ما رأيت من جزعه» . رواه ابن ماجه وروى البيهقي في كتاب البعث والنشور كما في المشكاة كتاب المناسك «باب الدفع من عرفة والمزدلفة» .

✪ قال الراقم : وأورده القرطبي في تفسيره : ٢ / ٢٧٨ تحت قوله تعالى : ﴿فإذا

أفضتم من عرفات ... ﴾ البقرة : ١٩٨ : وقال : ذكر الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول » ... عباس بن مرداس ... الحديث . اهـ .

✪ قال في اللمعات : اعلم أنهم قالوا : المراد من الأمة هم الواقفون بعرفة ، ومن ههنا قيل : إن الحج يكفر حقوق العباد أيضاً ، وقيل : هو محمول على مظالم الذي تاب وعجز عن وفاء الحقوق . اهـ

✪ وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكةَ فيقول : انظروا إلى عبادي أتوني شُعثاً غُبراً ضاجّين من كل فج عميق ، أشهدكم أني غفرتُ لهم ، فيقول الملائكة يا رب ! فلان كان يُرهّق - أي يتهم بسوء وينسب إلى غشيان المحارم - وفلان وفلانة ، قال : يقول الله عز وجل : قد غفرت لهم ، قال رسول الله ﷺ : «فما من يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة» رواه في شرح السنة كما في المشكاة (كتاب المناسك) «باب الدفع من العرفة والمزدلفة» .وأورده الترمذي الحكيم في نوادر الأصول كما ذكره القرطبي في تفسيره ٢ / ٢٧٨ .

✪ وذكر القرطبي في تفسيره ٢ / ٢٧٨ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم عرفة غفر الله للحجاج الخالص ، وإذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للتجار ، وإذا كان يوم منى غفر الله للجمالين ، وإذا كان يوم جمرة العقبة غفر الله للسُّؤال ، ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن قال : «لا إله إلا الله» إلا غفر له». قال أبو عمر : هذا حديث غريب من حديث مالك ، وليس محفوظاً عنه إلا من هذا الوجه ؛ وأبو عبدالغني لا أعرفه ، وأهل العلم ما زالوا يسامحون أنفسهم في روايات الرغائب والفضائل عن كل أحد ، وإنما كانوا يتشدّدون في أحاديث الأحكام . اهـ من التفسير القرطبي .

● **عرفة وما أدراك ما عرفة؟ :** قال بعضهم : فهناك تسكب العبرات ، وتقال العثرات ، وتفاض الرحمات ، ويتجلّى الله على العباد ، وتفتح أبواب السماء ، ويستجاب الدعاء ، وتضج الأصوات بمختلف الأماني اللغات ، وإذا الروح الأمين ينزل بالتحفة العظمى ، والنعمة الكبرى على سيد من حج ولبى واعتمر وطاف بالبيت العتيق وقبّل الحجر .

✪ عرفة وطأها أقدام الأنبياء وسيد الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - والأولياء ، والأصفياء والشهداء والصالحين .

✪ وعرفة ميدان قد بشر الله سبحانه هناك نبيه وأمته صلى الله عليه وآله وسلم

بإكمال دينه الحبيب ونعيمه وأعلن به قائلا : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ المائدة : ٣ ، أى أعلمتكم برضاى به لكم ديناً .

✪ ونزلت هذه الآية في يوم جمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف بعَرَفَة على ناقته العضْباء ، فكاد عضُد الناقة يَنْقدّ من ثقلها فبركت قاله القرطبي رحمه الله .

✪ وهناك أعلن بإكمال الدين الذي قال فيه رب العالمين : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ آل عمران : ١٩ .

✪ وقال فيه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران : ٨٥ .

وقال فيه : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ الزمر: ٢٢ .

✪ فهناك - أي عرفة - يزيد الإيمان ، ويُقسم السرور والحبور والنور من النور القائل : ﴿ الله نور السموات والأرض ... ﴾ فهو نور على نور ، ينال الحضور - فيها - أي في عرفة - وذلك لمن خشي ربه .

✪ وهناك تذوق الأرواح حلاوة الرضا ، وتسكن ببرد الصدق والإخلاص ، وهناك الرسول صلوات الله وسلامه عليه يأمر بلالا قائلا : « استنصت الناس ، ثم قال : «أيها الناس إربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعا بصيرا :

فكم خاضع كم خاشع متذلل ... وكم سائل مدت إلى الله كفاه
وكم حامد كم ذاكر ومسبح ... وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه
ورب دعانا ناظراً لخضوعنا ... خبيراً عليماً بالذي قد أردناه
ولما رأى تلك الدموع التي جرت ... وطول خشوع في خضوع خضعناه
تجلى علينا بالمتاب وبالرضى ... وباهى بنا الأملاك حين وقفناه
وقال انظروا شعثاً وغبرا جسومهم ... وقد وفدوا فالكل يطلب مولاه
وقد هجروا أوطانهم وتراثهم ... وبلادهم والكل يرفع شكواه
● ألا فاشهدوا إني غفرت ذنوبهم ... ألا فانسخوا ما كان عنهم نسخناه
فيا صاحبي من مثلنا في مقامنا ... ومَن ذا الذي قد نال ما نحن نلناه
على عرفات قد وقفنا بموقف ... به الذنب مغفور وفيه محوناه
● وقد أقبل الباري علينا بوجهه ... وقال ابشروا فالعفو فيكم نشرناه

● عليَّ الجزا منّي المثوبة والرضا ثوابكم يوم الجزا أتولاه

● فطيبوا سروراً وافرحوا وتباشروا وتيهوا فهذا بابنا قد فتحناه

● وقال الهروي في «أنوار الحجج» ص ٨٢ :

✪ **وتذكر اختلاف** أحوال الناس في موقف عرفة : وهم بين راكب من أهل القوة والثروة ، وماش وعاجز في القدرة ، حالهم يوم القيامة : فمنهم من يحشر راكباً على النجائب ، ومنهم من يحشر ماشياً ، ومنهم من يحشر على وجهه ، على قدر المناقب والمناصب والمتاعب . وكن بين الخوف والرجاء في جميع المراتب .

✪ **وتذكر بانتظار غروب الشمس** ، وإفاضة الخلق : انتظار أهل المحشر فصل القضاء ، بشفاعة سيد الأنبياء عليه التحية والثناء .

✪ وروي أنه قيل ليونس بن عبيد المتوفى سنة ١٣٩ هـ وقد انصرف من عرفات : كيف كان الناس ؟ فقال : لم أشك في الرحمة ، لو لا أني كنت معهم ، يقول : لعلهم حرموا بسببي .

✪ وقال بعض السلف : كنت بالمزدلفة وأنا أحي الليلة ، فإذا بامرأة تصلي حتى الصباح ومعها شيخ ، فسمعت وهو يقول : اللهم إنا جئنا من حيث تعلم مكاننا ، وحججنا كما أمرتنا ، ووقفنا كما دللتنا ، وقد رأينا أهل الدنيا : إذا شاب مملوك في خدمتهم تذمموا أن يبيعوه ، وقد شبنا في ملكك ، فارحمنا بلطفك ، وأعتقنا بجودك .

فهذا طريق العلماء الأبرار ، والمشايخ الأخيار ، في اجتنابهم من الآثام والأوزار ، خوف المحاسبة في دار القرار ، والمعاقبة بالنار في دار البوار .

✪ **وقيل** : إن من أعظم الذنوب : أن يحضر عرفات ، ويظن أن الله تعالى لم يغفر له ، وذلك لأنه لا يأسٌ من رحمته ، وقنوط من مغفرته ، وسوء ظن بربه في حالته .

✪ وهذا لا ينافي كونه بين الخوف من غضبه ، والرجاء في لطفه وكرمه ، لأن المدار على خاتمة أمره ، ويقينه في آخر عمره ، فينبغي أن يداوم على الدعاء ، ويواظب على ثبوت القدم في مقام الرجاء ويواظب على كثرة الحمد والثناء في السراء والضراء ، ويرضى بما قدر الله عليه في عالم القضاء ، قائلا : اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، وأدخلنا الجنة آمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . اهـ ما ذكره الهروي رحمه الله في «أنوار الحجج ...» .

الفصل الرابع

روح الحج لمن أراد الحج

● ففي نهاية هذا الباب أود أن أكتب قصة الشبلي مع بعض أصحابه متضمنة لاعتبارات أعمال الحج من أولها إلى الآخر ، وذلك إتماماً للفائدة لمن أراد الحج ، وقد قال تعالى : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ الأعراف : ١٧٦ .

وقال : ﴿لقد كان في قَصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ يوسف : ١١٠ .

✪ ولا شك أن مطالعته قبل الحج بحرارة وشوق وبنية الإخلاص توقظ في الإنسان ذوق الحج المخلصين إن شاء الله .

✪ **وهذه القصة الغريبة** ذكرها صاحب «اتحاف السادة المتقين» ٤ / ٤٥٨

وقال : قال صاحب الشبلي :

✪ قال لي الشبلي : عقدتَ الحج ؟ فقلتُ : نعم ، فقال لي : فسخت بعقدك كل عقد عقدته منذ خلقت مما يضاد ذلك العقد؟ فقلت : لا ، فقال لي : ما عقدت .

✪ نزعتَ ثيابك ؟ قلتُ : نعم ، فقال لي : تجردت من كل شيء ؟ فقلت : لا ، فقال : لي ما نزعت .

✪ تطهّرت ؟ قلت : نعم ، قال : زال عنك كل علة بطهرك ؟ قلت : لا ، قال : ما تطهرت .

✪ لبّيتَ ؟ قلت : نعم ، قال : وجدت جواب التلبية بتلبيتك مثله ؟ قلت : لا ، فقال : ما لبيت .

✪ دخلتَ الحرم ؟ قلت : نعم ، قال : اعتقدت في دخولك الحرم ترك كل محرم ؟ قلت : لا ، قال : ما دخلت الحرم .

✪ قال : أشرفت على مكة ؟ قلت : نعم ، قال : أشرف عليك حال من الحق لإشرافك مكة ؟ قلت : لا ، فقال : ما أشرفت على مكة .

✪ دخلتَ المسجد ؟ قلت : نعم ، فقال : دخلت في قربه من حيث علمت ؟ قلت : لا ، قال : ما دخلت المسجد .

✪ قال : رأيت الكعبة ؟ قلت : نعم ، قال : رأيت ما قصدت له ؟ فقلت : لا ، قال :

ما رأيت الكعبة .

✪ قال : رملتَ ثلاثا ، ومشيت أربعاً ؟ فقلت : نعم ، فقال لي : هربتَ من الدنيا هرباً علمتَ أنك فاصلتَها وانقطعت عنها ، ووجدت بمشيك الأربع أمناً مما هربت منه فازددت لله شكراً لذلك ؟ قلت : لا ، قال : ما رملتَ .

✪ صافحت الحجر وقبّلتَه ؟ قلت : نعم ، فزعق زعقة وقال : ويحك إنه قد قيل : «إن من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه ، ومن صافح الحق فهو في محل الأمن ، أظَهر عليك أثر الأمن ؟ قلت : لا ، قال : ما صافحت .

✪ وقفتَ الوقفة بين يدي الله عز وجل خلف المقام وصليتَ ركعتين ؟ قلت : نعم ، قال وقفت على مكانتك من ربك فأديت قصدك ؟ قلت : لا ، فقال : ما صليتَ .

✪ خرجتَ إلى الصفا ووقفت بها ؟ قلت : نعم ، قال : ايش عملت ؟ قلت : كبَّرتُ سبعاً ، وذكرت الحج ، وسألت الله القبول ، فقال لي : كبرتَ بتكبيرك الملائكة ؟ ووجدت حقيقة تكبيرك في ذلك المكان ؟ قلت : لا ، قال : ما كبرت .

✪ نزلتَ من الصفا ؟ قلت : نعم ، قال : زال عنك كل علة حتى صفيت؟ قلت : لا ، قال : ما صعدت ، ولا نزلتَ .

✪ هرولتَ (بين الصفا والمروة) ؟ قلت : نعم ، قال : ففررت إليه ، وبرئت من فرارك ووصلت إلى وجودك ؟ قلت : لا ، قال : ما هرولت .(كأن الشيخ أشار إلى إلى قصة سيدنا موسى ﷺ كما في قوله تعالى :﴿ ففَرَرتُ منكم لمّا خفتُكُم﴾ الشعراء : ٢١ ، أو إلى قوله تعالى : ﴿ ففروا إلى الله ﴾ الذاريات : ٥ ، أيَ فروا من أنفسكم إلى ربكم ، قاله القرطبي) .

✪ وصلتَ إلى المروة ؟ قلت : نعم ، قال : رأيتَ السكينة على المروة ؟ فأخذتها إذ نزلتْ عليك ؟ قلت : لا ، قال : ما وصلت إلى المروة .

✪ خرجت إلى منى ؟ قلت : نعم ، قال : تمنّيتَ على الله غير الحال الذي عصيته فيها ؟ قلت : لا ، قال : ما خرجتَ إلى منى .

✪ دخلتَ مسجد الخيف ؟ (الذي في منى) ، قلت : نعم ، قال : خفتَ الله في دخولك وخروجك ؟ ووجدت من الخوف ما لا تجده إلا فيه ؟ قلت : لا ، قال : ما دخلت مسجد الخيف .

✪ دخلتَ إلى عرفات ؟ قلت : نعم ، قال : وقفت بها ؟ قلت : نعم ، قال : عرفت الحال التي خلقت من أجلها والحال التي تريدها ، والحال التي تصير إليها ، وعرفت المعرِّف لك هذه الأحوال ؟ قلت : لا ، قال : وما وقفت بعرفات .

✪ نفرتَ إلى المزدلفة ؟ قلت : نعم ، قال : رأيت المشعر الحرام ؟ قلت : نعم، قال :

ذكرتَ اللهَ ذكراً أنساك ذكر ما سواه ؟ (كما أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ البقرة : ١٩٨) ، قلت : لا ، قال : ما وقفت بالمزدلفة ، (وفي تفسير القرطبي : المزدلفة : سميت بفعل أهلها ؛ لأنهم يزدلفون إلى الله ، أي يتقربون بالوقوف فيها ... وقال : والدعاء عنده من شعائر الحج ، ووصف بالحرام لحرمته) اهـ

✪ دخلتَ منىٰ ؟ فقلت : نعم ، قال : ذبحت ؟ قلت : نعم ، قال : نفسك ؟ قلت : لا ، قال : ما ذبحت . (**قلت** : والمراد بذبح النفس - والله أعلم - هو إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ فإن الجنة هي المأوىٰ ﴾ ، لأن الإنسان في مجموعه محبوس الهوىٰ ، وبعيد عن الهدىٰ - إلا ما رحم ربي - وقال الشاعر :

إن تسألوني عن الهوىٰ فأنا الهوىٰ ... وابن الهوىٰ وأخو الهوىٰ وأبوه

● وقال في تنوير الأذهان ٣ / ١٦ : وأفضل القربان (الذبح) بذل المجهود وتطهير القلب لتجليات الرب المعبود ، **قال مالك بن دينار** : خرجت إلى مكة فرأيت في الطريق شاباً إذا جنّ عليه الليل رفع وجهه نحو السماء ، وقال : يا من تسره الطاعات ! ولا تضره المعاصي ، هب لي ما يسرك ، واغفرلي ما لا يضرك ، فلما أحرم الناس ولبوا ، قلت له : ألا تلبي ؟ فقال : يا شيخ ! وما تغني التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرائم المكتوبة ، أخشى أن أقول لبيك فيقال لي : لا لبيك ولا سعديك ، ثم مضى ، فما رأيته إلا بمنىٰ وهو يقول : «اللهم اغفرلي ، إن الناس قد ذبحوا وتقربوا إليك ، وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي ، فتقبلها مني ، ثم شهق شهقة وخرّ ميتاً » اهـ

✪ رميتَ ؟ قلت : نعم ، قال : رميت جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك ؟ قلت : لا ، قال : ما رميت .

✪ زرتَ ؟ قلت : نعم ، قال : كوشفت بشيء من الحقائق ورأيت زيادات الكرامات عليك للزيارة ؟ فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «الحاج والعمار زوّار الله ، وحق على المزور أن يكرم زواره» قلت : لا ، قال : ما زرت .

✪ أحللتَ ؟ قلت : نعم ، قال : عزمت على أكل الحلال ؟ قلت : لا ، قال : ما أحللت .

✪ ودّعتَ ؟ قلت : نعم ، قال : خرجت من نفسك وروحك بالكلية ؟ قلت : لا ، قال : ما ودعت ، وعليك العود ، فانظر كيف تحج بعد هذا ، وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك . اهـ ما ذكره الزبيدي في «أتحاف السادة المتقين» .

إزالة شبهة

● وهنا أحببت أن أرفع شبهة ربما تخطر في بال أحد فيقول : كيف قال الشبلي لمن حج وأحرم : ما أحرمتَ ، وما رملتَ ، وما طفت ، وما هرولت ، وما رميت ، وما ودعت وإلى غير ذلك من أفعال الحج وقد فعله الحاج ، حتى قال له في الأخير : «وعليك العود ، فانظر كيف تحج بعد هذا فقد عرفت ؟ وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك» .

✪ قال الزبيدي بعد ذكر هذه الحكاية : إنما سقنا هذه الحكاية تنبيها وتذكرة وإعلاما أن طريق أهل الله على هذا مضى حالهم فيه ، والشبلي هكذا كان إدراكه في حجه ، فإنه ما سأل إلا عن ذوقه ، هل أدركه غيره أم لا ؟ وغيره قد يدرك ما هو أعلى منه ، وأدْوَن منه ، فما منهم إلا من له مقام معلوم ، والأذواق تتفاوت بحسب ما تكون عناية الله بالعبد في ذلك . اهـ

✪ **قال أبو طلحة** : وهو كما قال رحمه الله ، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى «رجلا - المسيء صلاته هو خلاد بن رافع رضي الله عنه - دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في ناحية المسجد فصلى ثم جاء فسلم عليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «وعليك السلام ارجع فصل ، فإنك لم تصلِ ، فرجع فصلى ، ثم جاء فسلم ، فقال : «وعليك السلام ، ارجع فصل فإنك لم تصل» فقال في الثالثة أو في التي بعدها : علمني يارسول الله ... » الحديث متفق عليه كما في المشكاة «باب صفة الصلاة»

● واعلم أن الصلاة فرض من فرائض الإسلام كما أن الحج فرض من فرائضه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً لم يصل صلاة كاملة مراعياً الأركان والواجبات ، ويحتمل أن يكون فعله هذا ناسيا أو غافلا أو بأنه لم يعلمه كما كان حقه فيتذكر فيفعله - قاله العلماء - ليكون صلاته أحسن وأعلى وأولى وأحلى وأجمل وأبلغ من التي صلاها ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم مرتين أو ثلاثاً : «إرجع فصلّ فإنك لم تصلّ» مع أنه صلى الصلاة مرتين أو ثلاثا أمامه صلى الله عليه

وآله وسلم ، فأمره بإعادة الصلاة مرة بعد أخرى لتكون صلاته والخشوع فيها كما هو مأمور ومطلوب من الله جلت عظمته .

✪ وهناك أحاديث أخرى في الصلاة تفيدنا بأن الأذواق تتفاوت بحسب ما تكون عناية الله بالعبد في أدائها ، وأن الثواب والأجر يترتب على قدر الاهتمام بالسنن والآداب وعلى قدر الخشوع في الصلاة ، حتى إن البعض يكتب له العشر فقط ، والبعض ينال نصف الأجر ، كما يكتب للبعض أقل العشر أو زائدا على النصف ، والبعض يعود خاليا اليد من الأجر ، وهؤلاء يصدق عليهم حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «يأتي على الناس زمان يصلّون ولا يصلّون» رواه الإمام أحمد في رسالته «الصلاة وما يلزمها» .

✪ حتى بعض الناس لا تنفعهم الصلاة ، كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعاذ من صلاة لا تنفع وقال : «اللهم إني أعوذ بك من صلاة لا تنفع» رواه أبو داود كما في جمع الفوائد رقم الحديث (٩٥٠٣) .

✪ وكما أن بعض المصلين لا أجر لهم فيها قط بل الصلاة تدعو عليهم كما ورد في الحديث : « ... ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ، ولم يتم لها خشوعها ، ولا ركوعها ولا سجودها ، خرجت وهي سوداء مظلمة ، تقول : ضيّعك الله كما ضيّعتني ، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفّت كما يلف الثوب الخَلِق ثم ضُرب بها وجهه» رواه الطبراني في الأوسط كذا في الترغيب والدر المنثور ، وعزاه في المنتخب إلى البيهقي ، وفيه أيضا برواية عبادة بمعناه ، وعزا في الجامع الصغير حديث عبادة إلى الطيالسي وقال : صحيح اهـ .

✪ والأحاديث في هذا الباب كثيرة أكتفي بذكر بعضها : فعن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «إن الرجل لينصرف ، وما كُتب له إلا عشر صلاته ، تُسعها ، ثُمنها ، سُدسها ، خُمسها ، رُبعها ، ثُلثها ، نصفُها» أورده أبو داود في سننه «باب ماجاء في نقصان الصلاة» .

✪ وقال قائل في هؤلاء الذين يصلون ولا يصلون :

وكم من مصل ما له من صلاته
سوى رؤية المحراب والكد والعنا

✪ وعن أبي اليسر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «منكم من يصلي الصلاة كاملة ، ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع ، حتى بلغ العشر» . أورده السيوطي في الدر ٥ / ٤ ، وقال : أخرجه أحمد عن أبي اليسر مرفوعا .

وفي رواية : «يوشك أن تدخل مسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا» أخرجه ابن

ماجه بإسناد صحيح الألباني ٢ / ٣٧٧ .

✪ **هـذا ما ذكرنـاه** في باب الصلاة من أحوال الناس وأذواقهم عند أدائها ، وهناك قول آخر المشهور - في أداء جميع العبادات والناس فيه أيضا مختلفون كما سنبينه في الفقرة الآتية- وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سأله جبريل عن الإحسان في حضرة بعض أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم فقال في جوابه :

« ... أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... » الحديث متفق عليه كما في المشكاة «كتاب الإيمان» .

✪ قوله ﷺ : «**أن تعبدالله**» قال في المرقاة ١ / ٥٩ - ٦٠ : أي توحده وتطيعه في أوامره وزواجره ، ... وقال بعض المحققين : وهي الغاية القصوى من ابداع الخلق وإرسال الرسل ، وكلما ازداد العبد معرفة ازداد عبودية ، ولذا خص الأنبياء وأولو العزم بخصائص في العبادة ، ولا ينفك العبد عنها مادام حيا ... » الخ .

✪ ثم قال مبينا لأحوال العباد وكيفيتهم عند أداء العبادة : «إن العبادة حفظ الحدود ، والوفاء بالعهود ، وقطع العلائق والشركاء عن الشرك ، والفناء عن مشاهدتك في مشاهدة الحق ، وله ثلاث مراتب :

✪ إما أن يعبده رهبة من العقاب ، ورغبة في الثواب ، وهو المسمى بالعبادة ، وهذه لمن له علم اليقين .

✪ أو يعبده تشوفاً بعبادته ، وقبول تكاليفه ، وتسمى بالعبودية ، وهذه لمن له عين اليقين

✪ أو يعبده لكونه إلهاً ، وكونه عبداً ، والإلهية توجب العبودية ، وتسمى بالعبودة ، وهذه لمن له حق اليقين ، والشرك : رؤية ضر أو نفع مما سواه ، وإثبات وجود غير الله ذاتا أو صفة أو فعلا .

✪ وقال في قوله ﷺ : «كأنك تراه» مفعول مطلق أي عبادة شبيهة بعبادتك حين تراه ، أو حال من الفاعل : أي حال كونك مشبهاً بمن ينظر إلى الله خوفا منه وحياء وخضوعا وخشوعا وأدبا وصفاء ووفاء .

✪ وهذا من جوامع الكلم فإن العبد إذا قام بين يدي مولاه لم يترك شيئاً مما قدر عليه من إحسان العمل ، ولا يلتفت إلى ما سواه ، وهذا المعنى موجود في عبادة العبد مع عدم رؤيته ، فينبغي أن يعمل بمقتضاه ، إذ لا يخفى أن من يرى من يعمل له العمل ، يعمل له أحسن ما يمكن عمله ، ولا شك أن ذلك التحسين لرؤية المعمول له العامل ، حتى لو كان العامل يعلم أن المعمول له ينظر إليه من حيث لا يراه يجتهد في إحسانه العمل أيضاً .

✪ ولذا قال : «فإن لم تكن تراه» أي تعامله معاملة من تراه «فإنه يراك» أي فعامل

معاملة من يراك ، أو فأحسن في عملك فإنه يراك .
✪ وفي رواية : «فإن لم تره» أي بأن غفلت عن تلك المشاهدة المحصلة لغاية الكمال فلا تغفل عما يجعل لك أصل الكمال ، فإن ما لا يدرك كله ، لا يترك كله ، بل استمر على إحسان العبادة مهما أمكن فإنه يراك ، أي دائما فاستحضر ذلك لتستحيي منه حتى لا تغفل عن مراقبته ، ولا تقصر في إحسان طاعته .
ثم قال : وحاصل جميع الأقوال : الحث على الإخلاص في الأعمال ، ومراقبة العبد ربه في جميع الأحوال . اهـ من المرقاة شرح المشكاة لعلي القاري رحمه الله .
✪ **هذا هو قصدنا بإيراد قصة الشبلي مع صاحبه** الذي حج وسأله عن ذوقه في الحج لعل الله ينفع بها بعض الحجاج ، فإن من لا يدرك كل معارف الحج وأسرا ره ، لا يترك كلها ، فمن الممكن أن يدركها الحاج كلها .
✪ **ولا يبعد ذلك** ، فمن جد وجد ، وقد قال تعالى : ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾ أي محبوسا وممنوعاً . ثم قال تعالى : ﴿أنظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض﴾ في الرزق والعمل ، فمن مُقلٍّ ومكثِر ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ الإسرا : ٢١-٢٢ . القرطبي ١٠ / ١٥٤ ومراقبة الحاج ربه في جميع أفعال الحج وأحواله كما حرض على ذلك الشبلي صاحبه ، تورثه فضيلة هذا الحج الذي أرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلا : «من حج لله ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه كما في المشكاة (كتاب المناسك) . (ومن ملاحظة الشيخ ناصر حفظه الله : واعلم أن الشبلي ما اكتسب هذا الذوق في الحج إلا بهدي المصطفي ﷺ في الحج) .
✪ قال الطيبي : «أي مشابها في البراءة عن الذنوب لنفسه في يوم ولدته أمه فيه» وهذا لا يمكن إلا إذا كان جميع أفعال الحج مليئة من الإخلاص والإحسان الذي بيناه في معنى قوله ﷺ : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

● هذا آخر ما في هذا الباب وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب ، ولا ريب في أنه يؤتي من يشاء ما يشاء وهو على كل شيء قدير .
رزقنا الله أشواق الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأذاقنا أحوالهم وأخلاقهم ، وأحيانا على طريقهم ، وأماتنا على محبتهم ، وحشرنا في زمرتهم حتى نشرب معهم من لبن لم يتغير طعمه ، آمين . وما ذلك على الله بعزيز .

• • •

الفصل الخامس

آداب الزيارة وكيفية الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله عنهما

● ذكر الشيخ ابن تيمية ، قال ابن وهب فيما يرويه عن مالك : إذا سلّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويدعو ولا يمس القبر بيده اهـ . من «اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٩٦) .

وفي الفتاوى لابن تيمية ٢٧ / ١١٦ : «اتفق الأئمة على أنه يسلم عليه عند زيارته ﷺ وعلى صاحبيه لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ما مِن أحدٍ يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام» وقال ابن تيمية : حديث جيد . اهـ

وقال الألباني : حديث حسن . راجع «صحيح سنن أبي داود كتاب المناسك» .

✪ وقال ابن تيمية في الفتاوى ٢٧ / ٢٦ : «وقد كان الصحابة كابن عمر وأنس وغيرهما يسلمون عليه ﷺ وعلى صاحبيه . اهـ

✪ قال الخفاجي في شرح الشفا ٣ / ٣٩٨ : قال السبكي صرح أصحابنا بأنه يستحب أن يأتي القبر ويستقبله ، ويستدبر القبلة ، ثم يسلم على النبي ﷺ ، ثم على الشيخين ، ثم يرجع إلى موقفه الأول ويقف فيدعو . اهـ

✪ وقد ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله في قصيدته المعروفة بالنونية كيف تكون الزيارة ؟ وما هي الآداب عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو واقف أمام المواجهة الشريفة فقال :

فإذا أتينا المسجد النبوي صليـ	ـنا التحية أولا ثنتان
بتمام أركان لها وخشوعها	وحضور قلب فعل ذي الإحسان
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ	ـقبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع	متذلل في السر والإعلان
فكأنه في القبر حيّ ناطق	فالواقفون نواكس الأذقان

...

ملكتهم تلك المهابة فاعترت	تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها	ولطالما غاضت على الأزمان
وأتى المسلم بالسلام بهيبة	ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه	كلا ولم يسجد على الأذقان
كلا ولم ير طائفا بالقبر أسـ	ـبوعا كأن القبر بيت ثان
ثم انثنى بدعائه متوجها	لله نحو البيت ذي الأركان
هذي زيارة من غدا متمسكا	بشريعة الإسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا	رة وهي يوم الحشر في الميزان

انظر النونية المشهورة لابن القيم رحمه الله

● قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم ٩ / ١٠٦ : إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي . اهـ

✪ وذكر الشيخ عطية محمد سالم في رسالته «آداب زيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله ﷺ» ص ٢٥ :

✪ للجميع من مقيم وقادم أنه إذا مرّ من المواجهة في طريقه إلى الصلاة أو خروجه من المسجد ، أن كل من مر من هناك فإنه يسلّم عند مروره ، ولو لم يقف في المواجهة .

● والأصل في ذلك هو فعل ابن عمر رضي الله عنهما ، كان إذا أراد سفراً أو قدم من سفر جاء فوقف في المواجهة وسلّم .

✪ وكذلك نقل عن مالك في شرح «العتبيّة» لابن رشد أنه سئل عن المار بقبر النبي ﷺ أترى أن يسلم كلما مر ؟ قال : نعم ، أرى ذلك عليه أن يسلم كلما مر به ، وقد أكثر الناس من ذلك ، فإذا لم يمر به فلا أرى ذلك اهـ .

✪ وفي ضوء الآية الشريفة : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ...﴾ قال ابن تيمة رحمه الله : وإذا قال في سلامه : «السلام عليك يارسول الله ، يانبي الله ، ياخيرة الله من خلقه ، يا أكرم الخلق على ربه ، يا إمام المتقين» فهذا كله من صفاته ﷺ بأبي هو وأمي ، وكذلك إذا صلى عليه مع السلام عليه ، فهذا مما أمر الله به» مجموع فتاوى لابن تيمية ٢٦ / ١٤٦ .

● وروي عن عبدالله بن دينار أنه قال : رأيت عبدالله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر . (موطأ مالك باب ماجاء في الصلاة على النبي ﷺ) .

✪ وروي عن نافع قال : كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر ، يجيء إلى القبر فيقول : «السلام على النبي ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي ، ثم ينصرف» الشفاء للقاضي عياض ٢ / ٦٧١ .

✪ وإن وصاه أحد بتبليغ سلامه لرسول الله ﷺ فليسلم عنه ويقول : «السلام عليك يارسول الله ﷺ من فلان بن فلان ، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد كان عمر بن عبدالعزيز يوصي بذلك . ذكره النووي رحمه الله في «شرح المهذب ٨/ ٢٨٤» .

✪ قال أبو طلحة : ومن أراد أن يسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الزيارة فعليه أن يزيّن ذهنه ويحضر فيه كمال حسنه وجمال صورته ﷺ ، وذلك لحصول التوجه التام وزيادة في السرور والحبور في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فالعامل على هذا يحس الفرق واضحًا بين هذه الزيارة والتي قبلها إن شاء الله . وهذا مجرب .

وذكر في طبقات ابن سلام ص ١٨٠ : وكان أبو زبيد الطائي - وقد استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صدقات قومه - إذا مرّ بقبر صاحبه كان ينشد في هجرانه :

يا صاحب القبر السلام على
من حال دون لقائه القبر
يا هاجري إذ جئتُ زائره
ما كان من عاداك الهجر

...

سماعه ﷺ لمن صلى عليه بها عند قبره ورد السلام على من يسلم عليه بجواره ﷺ

● نعمت المزية لأهل المدينة ولغيرهم من الزائرين ، فهل هناك نعمة أعظم من هذه لمسلم يصلّي عليه ﷺ فيرد النبي ﷺ السلام - بنفسه الشريفة ومن غير واسطة - على من يسلم عليه ﷺ عند قبره الشريف ، والاستفادة بهذه المنقبة الشريفة لأهل الحرم أسهل وأيسر وأوفر وأحلى وأولى وأعلى وأسنى وأبقى ، وذلك لمن يرغب فيه ويوفقه سبحانه ، ومن جدّ وجد ، وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم ، وهنيئا لمن يوفق لهذه المزية والعطية من المسلمين .

وأما من سلّم وصلّى عليه صلى الله عليه وآله وسلم من مشارق الأرض ومغاربها ، بلغته الملائكة الكرام ذلك ، ولا ريب أن فيه منقبة أيضا وهو التبليغ والرد .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه : عن رسول الله ﷺ قال : «ما من أحد يُسلّم عليّ إلا رد الله علـيَّ روحي حتى أرد عليه السلام» . رواه أحمد في مسنده ٢ / ٥٢٧ ، وأبو داؤد في سننه «كتاب المناسك» رقم : ٢٠٤١ ، وقال - وصححه النووي - وقال الحافظ : رواته ثقات ، وحسنه ملا علي القاري . (فضائل المدينة لملا خاطر ٢ / ٨٩) .

✪ وروى البيهقي في الشعب والأصبهاني في الترغيب : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلّى عليّ عند قبري سمعتُه ، ومن صلّى عليّ نائياً بلّغته » كما في هامش «فضائل المدينة» للصالحي الشامي ص ١٢٦ .

قال أبو طلحة : وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح في «كتاب حديث الأنبياء» حيث قال : وأخرجه أبو الشيخ في «كتابِ الثواب» بسند جيد بلفظ : «من صلّى عليّ عند قبري سمعته ، ومن صلى عليّ نائياً بلغته» اهـ .

✪ وذكر الدكتور ملا خاطر في «فضائل المدينة» ٢ / ٨٩ رواية عن الإمام أحمد أيضاً بزيادة «عند قبري» ثم قال : «فإن صح وجود هذه الزيادة «عند قبري» يكون الحديث خاصا بمن يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وهذه منقبة كريمة فاضلة ، حيث يسمع صلى الله عليه وآله وسلم ويردُّ بنفسه الشريفة على المسلّم . وهذا ما جنح إليه الإمام أبو عبدالرحمن عبدالله بن زيد المقبري : أحد أكابر شيوخ البخاري رحمهم الله تعالى حيث قال في قوله صلى الله عليه وآله

وسلم : «ما من أحد يسلّم عليَّ ...» الحديث : هذا في الزيارة ، إذ زارني ، فسلّم عليّ ، رد الله عليّ روحي حتى أردّ عليه اهـ .

✪ وقال الدكتور أيضا ٢ / ١٠٣ : «وإذا كان الأموات يسمعون السلام ويردون ، ويأنسون ، ويفرحون ، وهذا كله عام ، لكن ذلك من قرب . فالأنبياء من باب أولى أن يكونوا كذلك . والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى أن يكون كذلك . لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزيد على ذلك بأمرين : تبليغ الملائكة سلامَ وصلاةَ من يسلّم ويصلي عليه ﷺ من بُعد ، وهذا من خصائصه ﷺ .

✪ وكما أنه صلى الله عليه وآله وسلم يردُّ السلامَ على المسلّمين عليه ، سواء بغير واسطة - وهم الذين يسلّمون عليه صلى الله عليه وآله وسلم عن قرب ، فيسمعهم ويرد عليهم - أو بواسطة - وهم الذين يسّلمون ويصلّون عليه صلى الله عليه وآله وسلم من بُعد ، فتنقل سلامَهم الملائكة المختصون بذلك . والله أعلم . اهـ

✪ وقد ذكر القرطبي في تفسيره الجزء ١٤ / / ١٥٢ : عن محمد بن عبدالرحمن أن رسول الله ﷺ قال : «ما منكم من أحد يسلّم عليّ إذا متُّ إلا جاءني سلامه مع جبريل ، يقول : يا محمد ! هذا فلان ابن فلان يقرأ عليك السلام ، فأقول : وعليه السلام ورحمته وبركاته» اهـ .

✪ وقال القاضي في الشفاء ٢ / ٧٩ : وذكر بعضهم أن العبد إذا صلّى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه . اهـ .

✪ وذكر أيضاً في ٢ / ٨٠ : عن سليمان بن سُحيم : رأيت النبي ﷺ في النوم ، فقلت : يارسول الله ! هؤلاء الذين يأتونك فيسلّمون عليك أتفقهُ سلامَهم ؟ قال : «نعم وأردُّ عليهم» اهـ . (والمعروف أن الرؤيا والأحلام ليست مصادر شرعية انتبه)

✪ **وذكر ابن تيمية رحمه الله** في معرض كلامه عن اتخاذ القبر مسجداً أو وثناً يُعبد ... ثم قال : ولا يدخل في هذا الباب ما يروى أن قوماً سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين ، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك اهـ . راجع «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٣٧٣ .

ما أجود هذه الأمنية

● ما أجود هذه الأمنية وذلك لمن أحب زيادة السلامة والبركة من تسليمه صلى الله عليه وآله وسلم عليه .

✪ (١) فعن أنس أو غيره أن رسول الله ﷺ استأذن على سعد بن عبادة فقال : «السلام عليكم ورحمة الله» فقال سعد : وعليكم السلام ورحمة الله ، ولم يسمع

- من الاسماع - النبي ﷺ حتى سلّم ثلاثا ، ردّ عليه سعد ثلاثا ، ولم يسمعه ، فرجع النبي ﷺ فاتبعه سعد فقال : يارسول الله ! بأبي أنت وأمي ! ما سلّمتَ تسليمة إلا وهي بأذنيَّ - أي في مسموعي - ولقد رددت عليك ولم أسمعك ، أحببتُ أن استكثر من سلامك ومن البركة ... » الحديث . رواه في « شرح السنة » كما في المشكاة « باب الضيافة » .

✪ (٢) وعن أبي حاتم ... عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : « ... قال - ﷺ - : « مروا بنا إلي منزل ابن التيهان أبي الهيثم الأنصاري » قال : فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أيدينا فسلّم واستأذن ثلاث مرات ، وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام ، تريد أن يزيدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السلام ، فلما أراد أن ينصرف ، خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم ، فقالت : يارسول الله ! قد والله سمعتُ تسليمك ، ولكن أردتُ أن تزيدني من سلامك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خير » ... » الحديث . من التفسير لابن كثير رحمه الله تعالى : ٤ / ٥٤٦ .

✪ (٣) وعن قيس بن سعد - بن عبادة - قال : زارنا رسولُ الله ﷺ في منزلنا فقال : « السلام عليكم ورحمة الله » قال : فرد سعد رداً خفياً ، فقال قيس فقلت : - أي لأبيه - : ألا تأذن لرسول الله ﷺ ؟ فقال : ذره يكثر علينا من السلام ، فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « السلام عليكم ورحمة الله » فرد سعد رداً خفياً ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « السلام عليكم ورحمة الله » ثم رجع رسول الله ﷺ واتبعه سعد ، فقال : يارسول الله ! إني كنتُ أسمع تسليمك وأرد عليك ردا خفيا لتكثر علينا من السلام ، قال : فانصرف معه رسول الله ﷺ ... ثم رفع رسول الله ﷺ يديه وهويقول : « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة ... » الحديث . رواه أبو داؤد في سننه « كتاب الآداب » « باب كم مرة يسلم الرجل في الإستيذان ؟ » .

هنا أقول يا إخوتي في الله

● إن التحية والسلام من جهة المسلّم هو دعاء لأخيه المسلَّم عليه بالسلامة والرحمة والبركة ، وكذلك المسلَّم عليه إذا ردّ عليه السلام بأحسن منه أو نفسه ، هو أيضاً دعاؤه لأخيه المسلم ، وللدعاء الذي يدعو به لغيره تأثير ودرجات بعضها فوق بعض

✪ فبين دعاء الرجل الصالح والطالح فرق ، وكذلك في دعاء العالم والجاهل فرق ،

ودعاء آكل الحرام شيء ، ودعاء آكل الحلال شيء آخر ، وكذلك لا بد من الفرق بين دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعا لأحد من أمته ، وبين دعاء أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم لغيرهم .

✪ فكما أن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم ملك الكلام ، كذلك دعواته صلى الله عليه وآله وسلم سيدة الدعوات ، فمن دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته فهو خير له من الدنيا وما فيها .

✪ فكان أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال والنساء يشتاقون إلى دعواته ﷺ لأنفسهم ولأولادهم ، وكان ﷺ يدعو لهم بالبركة والسلامة والمغفرة وبخيرى الدنيا والآخرة كما يعرفه أهل العلم .

✪ **فهذه السيدة عائشة** رضي الله عنها تقول : لما رأيت من النبي ﷺ طيّب نفس قلت : يارسول الله ! أدع الله لي ، قال : «اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، وما أسرت وما أعلنت» فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال رسول الله ﷺ : «أيسرُّك دعائي ؟» فقالت : وما لي لا يسرُّني دعاؤك ؟ فقال : «والله ! إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة» أخرجه البزار ، وقال الهيثمي ٩ / ٢٤٤ : رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة اهـ

✪ **وهذا عبدالله بن مسعود** رضي الله عنه قال : «ياليتني كنتُ صاحب الحفرة» حينما «نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبر عبدالله المزني رضي الله عنه وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يدليانه إليه - ﷺ - وكان رسول الله ﷺ يقول لهما : «أدنيا إلّي أخاكما» ، ولما هيئه لشقه قال عليه الصلاة والسلام : «اللهم إني قد أمسيتُ راضياً عنه ، فارض عنه» قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «يا ليتني كنتُ صاحب الحفرة» ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢ / ٣٣٨ .

✪ **وهذا سعد بن عبادة وامرأة أبي الهيثم** رضي الله عنهما أختارت طريقة أخرى في طلب الدعاء منه ﷺ والإستكثار من سلامه وبركته - كما مر - متمنياً بذلك بأن يخرج من لسانه المبارك في حقنا : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» مرة بعد أخرى ، فنعمة الأمنية هذه والطلب والكسب لمن أحب ذلك وناله .

أحبابي وأصحابي ! هذه الأمنية وطلب الدعاء منه ﷺ بالسلامة والرحمة والبركة بعين هذه الطريقة لا يمكن حصولها لنا بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم .

● **ولكن هناك طريقة أخرى** للحصول على هذا الدعاء نفسه منه صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك بالحضور عند بيته

وحجرته وقبره صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم بقراءة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم لأنه صلى الله عليه وآله وسلم يسمع لمن صلى عليه بها عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم ويردُّ السلام بنفسه الشريفة - ومن غير واسطة - على من يسلّم عليه صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت ذلك في الأحاديث السابقة - ولا ينكر ذلك أحد من أهل العلم - وإن لم نستطع أن نسمع منه صلى الله عليه وآله وسلم رد السلام ، ولا يبعد ذلك السماع وهو في قبره صلى الله عليه وآله وسلم كما قال ذلك ابن تيمية وابن كثير رحمهما الله تعالى :

● **فذكر ابن تيمية** في معرض كلامه عن اتخاذ القبر مسجدا أو وثنا يعبد ثم قال : ولا يدخل في هذا الباب ما يُروى من أن قوماً سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين ، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرّة ونحو ذلك اهـ كما في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٣٧٣ لابن تيمية .

● **وقال ابن كثير** ٣ / ٤٤٠ مفسرا لقوله تعالى ﴿إنك لا تُسمع الموتى . . .﴾ :

● وقد شرع السلام على الموتى ، والسلام على من لم يشعر ولا يعلم بالمسلم محال وقد علّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته إذا رأو القبور أن يقولوا : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية» فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلّم الرد . والله أعلم . انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى .

✪ وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ليهبطنّ عيسى ابن مريم حكما إماماً مقسطاً ، وليسلكن فجاء - اسم موضع - حاجاً أو معتمراً ، وليأتين قبري حتى يسلّم عليّ ولأردّنّ عليه» كما في «الجامع الصغير» ٢ / ١٤٠ وقال : صحيح ، ورواه أبو يعلى برجال الصحيح والحاكم في «المستدرك» كما ذكره صاحب «مجمع الزوائد» .

✪ فإذا ثبت هذا بأنه ﷺ يسمع سلام من يسلّم عليه عند قبره ويرد السلام على المسلّم بنفسه الشريفة ومن غير واسطة ، ورد السلام منه صلى الله عليه وآله وسلم هذا : هو كلامه المبارك الذي وفقه الله تعالى لأدائه بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم وذلك مايليق بشأنه في عالم البرزخ .

فمن هذا المنطلق نقول : إن حرمة كلامه وسلامه ﷺ ميتاً كحرمته حياً .

✪ **وقد ذكر القرطبي** في تفسيره الجزء ١٦ / ٢٠٢ وقال : «وحرمة النبي ﷺ ميّتا كحرمته حياً ، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثالُ كلامه المسموع من لفظه فإذا قرىء كلامه ، وجب على كل حاضر ألاّ يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به . وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى : ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ الأعراف : ٢٠٤ . وكلامه صلى الله عليه وسلم من الوحي ، وله من الحكمة مثل ما للقرآن ، إلا معاني مستثناة ، بيانها في كتب الفقه» قاله القاضي أبو بكر بن العربي اهـ .

● **فمن أراد أن يستفيد من هذه المنقبة الشريفة** ، وأحب الإستكثار في السلام والبركة منه صلى الله عليه وآله وسلم كما أحب ذلك سيدنا سعد بن عبادة وامرأة أبي الهيثم رضي الله عنهما ، فليحضر مسجده ثم يحضر قبره ويصلي عليه ويسلم (وكذلك يكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ حيثما كان) ، فينال بذلك من سلامه وبركته ﷺ ، ومن رحمته سبحانه وتعالى إن شاء الله . وأنشد بعضهم :

زُرْ مَن هويتَ وإنْ شطَّتْ بك الدار ... وحال من دونه حُجُب وأستار

لا يمنعنّك بعْدٌ عن زيارته ... إنّ المحبَّ لمن يهواه زوّارُ

والأحاديث في الحث على الإكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة ، وأقتصر على ذكر حديث واحد فقط وهو كالآتي :

✪ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلّ علّي واحدة صلى الله عليه عشراً» رواه مسلم في صحيحه برقم : ٧٠ .

وأن من صلى على النبي ﷺ صلى الله عليه بها عشر مرات ، إضافة إلى الحسنات ورفع الدرجات ، ويضاف إلى هذا أن المكثر من الصلاة على النبي ﷺ يغفر له ذنبه ويُكفى همه ، فما ذا يريد عبدالله بعد ذلك ؟وما أحسن قول القائل :

أدمِ الصلاة على النبي محمد ... فقبولها حتم بدون تردد
أعمالنا بين القبول وردّها ... إلا الصلاة على النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم

سلام من الرحمن نحو جنابه ... لأن سلامي لا يليق ببابه

صل اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين

قصة غريبة للملك عبدالعزيز آل سعود مع عالم هندي رحمهما الله

قال تعالى : ﴿ ونَكتُبُ ما قدَّمُوا وآثارَهُم ﴾

● حكى لي أحد شيوخ المدينة النبوية أن والد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله ، أقام مؤتمراً عالمياً إسلامياً في عهده ، وأرسل الرسائل أو البرقيات إلى الراسخين في العلم للحضور في هذا المؤتمر العالمي الإسلامي ، وطلب من كل دولة اثنين أو ثلاثة من العلماء الكبار ، فأرسل من ضمنهم البرقية إلى علماء الهند منهم الشيخ أبو الكلام آزاد ، وكان الشيخ في هذه الأيام في سجن الحكومة الإنجليزية في الهند ، لأنه كان يحرّض المسلمين على إخراج الإنجليز من أقليم الهند فمسكوه وسجنوه .

✪ فلما وصلت البرقية إلى الشيخ بواسطة أحد أقربائه وهو في السجن قال له عند تقديم البرقية : أن الشيخ الفلاني من الهند ذو حظ عظيم ، وما أعظم شأنه وقد جعل الله في نصيبه زيارة الحرمين الشريفين مع حضوره في المؤتمر ، وها أنت مسجون ومحروم من هذه الزيارة المباركة والمؤتمر ، فأنشد الشيخ على البديهة في اللغة الأردوية وقال :

بے مایہ سہی لیکن شاید وہ بُلا بھیجیں
بھیجی ہیں دُرودوں کی ہم نے بھی تو سوغاتیں

● معناه والله أعلم : لم أجد شيئاً من المال ولا الأسباب المؤدية إلى الحرمين الشريفين ولكنني أرجو من الله سبحانه أن يهيء لي من الأسباب المؤدية إلى الأرض المقدسة ، وذلك ببركة الشيء الغريب العجيب الذي أرسله دائماً إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الإكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم اهـ .

✪ ثم كتب الشيخ جواب البرقية وبيّن فيه عذره بأنه مسجون في هذه الأيام ، فلا يستطيع الحضور في المؤتمر ، ودعا له بخير .

✪ فلما وصل الجواب إلى الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله ، وعلم أن الشيخ أبا الكلام آزاد في السجن ، وذلك بسبب حرصه على الصدع بالحق وإعلاء كلمة الله ، فظهرت وفاضت الرحمة والمودة والشفقة من صدر هذا الملك المؤمن للمؤمن التي أخبر عنها سيد الأنبياء صلوات الله عليه قائلا :

«ترى المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم وتَعاطُفهم كمثل الجسد - الواحد - إذا اشتكى - منه - عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» متفق عليه . كما في المشكاة «باب الشفقة والرحمة على الخلق» .

✪ فكتب الملك المعظم إلى زعيم الهند ما كتب ، وطلب منه فكاك هذا الشيخ المذكور وحضوره في المؤتمر الإسلامي ، وأرسل طيارة خاصة من السعودية إلى الهند وذلك إهتماماً لهذا العالم الكبير ليحضر المؤتمر ولكي ينتفع المسلمون من علمه وفكره في أمورهم الإسلامية .

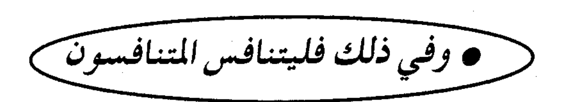
فلما وصل رسول الملك إلى عظيم الهند وقرأ رسالته الخاصة ، أخرجه من السجن في نفس اليوم ، فحضر الشيخ في المؤتمر بطيارة خاصة وذلك قبل يوم واحد من بدء هذا المؤتمر .

✪ خرج الشيخ من السجن ، واستجاب الله دعاءه ، وزار الحرمين الشريفين ، وذهبت همومه وغمومه بأسرها ، فكذلك يفعل الله مع أحبائه وأحباء حبيبه ﷺ الذين يهتمون بالإكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

✪ وصدق النبي الأنور صلى الله عليه وآله وسلم لصاحبه أبيّ بن كعب رضي الله عنه حينما سأله عن الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم قائلا : « ... أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : إذا تُكفى همَّك ، ويُغفرُ ذنبُك» . رواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ١٣٦ ، ورواه الترمذي وصححه .

وقال في «القول البديع» ص ١٤٤ : «فقد علمتَ أنك إن جعلت الصلاة على نبيك ﷺ معظم عبادتك : كفاك الله همّ دنياك وآخرتك» . اهـ .

✪ وذكر القرطبي في تفسيره الجزء ١٤ / ١٥١ : وقال سهل بن عبدالله : «الصلاة على محمد - ﷺ - أفضل العبادات ، لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ، ثم أمر بها المؤمنين ، وسائر العبادات ليس كذلك» . اهـ



الفصل السادس

واجب الزائرين نحو الحرمين الشريفين

على المسلمين واجباتٌ جليلةٌ عظيمة تجاه الحرمين الشريفين ، بما جعل الله سبحانه وتعالى فيهما من المزايا ، سواء كانوا من أهل الحرمين الشريفين أعني القاطنين فيهما ، أم البعيدين عنهما ولا يصلون إليهما إلا بسفر ، وقد بيّنا في هذا المؤلف من البشائر والآداب والواجبات تجاه الحرمين الشريفين لأهلهما ، فأسرد في هذا المسرد وأكتفي على بيان بعض واجبات الزائرين نحو الحرمين الشريفين فقط ، وإن كان أهلهما يشتركون مع الزائرين فيها في أكثر ما سأذكره ، ومن ذلك :

١ - العمل على تحقيق معنى الأمن الذي ورد في النص «حَرَمٌ آمن» والمحافظ عليه ، وقد تعدد معنى الأمن في هذا الزمان ، كما تعددت صورة : الأمن الصناعي ، الأمن الاجتماعي ، الأمن القومي ... لذا جاءت اللفظة نكرةً ، لتشمل كلَّ أنواع الأمن ، وكلّ جزئياته وصوره .

وهذا الحفاظُ على الأمن في الحرم مطلوب من القادمين والمقيمين ، إذ الإخلالُ فيه انتهاكٌ لحرمة الحرم التي تُغضب الله تعالى ، وما أصيب أحد الحرمين بابتلاء ؛ إلا انعكس ذلك على العالَم بالويلات والابتلاءات ، والله تعالى هو الحافظ .

٢ -على القادمين عدمُ الانشغال بما لا يعنيهم ، وعليهم العملُ بما قدموا من أجله ، حيث صرفوا الأموال الطائلة في سبيل الوصول إلي الحرمين الشريفين ، ولعلَ أحدَهم لا يُكتب له العود مرة ثانية ، لذا يلزمه الإنشغالُ بما ينفع ، ويملأ الوقتَ بالطاعة ، ولا يضيعه سدى .

ففي ميزان التجار وأهل الدنيا : لو قُسّم الزمن الذي سيُقضى في الحرمين على ما أنفقه القادمَ من مال ، سيكون اليوم الواحدُ بمبلغ معين ، فهل ما يكسبه من طاعة وعبادة ... يقابل ما أَنفقه ؟ فإن كان لا ، فهو خاسر في الأمرين ، وإن كان نعم فهو الرابح في الأمرين ، وإن تساويا فهو خاسرٌ أيضاً ، لأن الإنسان قدم لأداء شعائر لا

تقدر بثمن ، فلم يقض ما يلزمه .

٣ - تعظيم حرمة الحرم ، بكل ما يعني التحريم من معنى ، فلا رفع صوت ، ولا صخب ، ولا رفث ، ولا فسوق ... لذا يلزمه معرفةُ ما يجب تجاه الحرمين ، ليقوم بذلك حين وصوله .

وكم رأيتُ - ورأى غيري - من مخالفات شرعية يندى لها الجبين ، ويتألم المسلم حسرة ، ويتقطع أسى وألما على واقع المسلمين .

٤ - عدم انتهاك حرمات الله تعالى في الحرم ، فإن الله تعالى يغار على انتهاك حرماته ، وتحريمُ الحرمين من حرماته ، فإذا انتهك ، فإن الله تعالى سيغضب على المنتهك ، وقد تشمل العقوبةُ غيرَه ، كما قال تعالى : ﴿واتقوا فتنة لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾ الأنفال : ٢٥ .

والجيش الذي سيغزو الحرمين فينتهك حرمةَ الأول - وهو المدينة - ثم يتجه إلي الثاني ، فما إن يتعدى حدودَ الحرمِ الأولِ - وهو المدينة - ثم يتجه إلى الثاني ، فما إن يتعدى حدودَ الحرم الأول حتى يُخسفَ به ، فيخسف بالوسط ، حتى يتراءى أوله آخره ، ثم يخسف بهم جميعاً ، علماً بأن الطريق جمّاع ، كما مر سابقاً ، والله تعالى أعلم .

فيخسف بهم ، لأنهم ينتهكون حرمات الله ، ويخسف بمن معهم ، لأنهم كانوا يجاورونهم ، وقد يكون معهم من ليس منهم ، ولا على نيتهم ، فيخسف به معهم ، ويحشر على نيته . والله أعلم .

فليحذر المسلم من انتهاك حرمات الله ؛ حتى لا ينالَ غضب الله عز وجل . وقد تعالى : ﴿ءأمِنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ الملك : ١٦ قال ابن عباس رضي الله عنهما : أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه . ذكره القرطبي رحمه الله .

وقال تعالي : ﴿أم أمِنتُم من في السماء أن يُرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾ الملك : ١٧ . أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل . وقيل : ريح فيها حجارة وحصباء . ذكره القرطبي .

٥ - إذا كان الحَرمان هما مركز الدائرة للعالم الإسلامي ، وقبلةَ القلوب والوجوه - وعلى جميع المسلمين المحافظة على الدين فيهما - وفي غيرهما أيضاً - لكن فيهما لأنهما نقطة الارتكاز ، ومحورُ الدائرة ، وقطب الرحى بالنسبة للعالم الإسلامي - : لذا لا يصح توريدُ الأفكار الخبيثة ، والآراء الفاسدة ، والمعتقدات الباطلة إليهما أو لأحد منهما . لأن في ذلك محاربةً لدين الله تعالى ، وإبطالاً

لمعتقداته ، وتخريباً للقاعدة الأصلية في العالم الإسلامي .

٦ - ومن الواجب على المسلمين القادمين : إكرامُ أهل الحرمين ، والغضُّ عما يصدر منهم ، والصبرُ على ما يلاقونه من سوء معاملة ... وذلك لأن الله تعالي أختارهم ليكونوا جيرانَ نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيته العتيق .

٧ - أن يبقىٰ لاعجُ الشوق متقداً ، والخوف من ارتكاب المخالفات والمعاصي سائقاً ، وعدم التهاون في أمور الشرع رائداً ، والرغبة في التطبيق الدقيق قاعداً والعملُ على أن يعود إلى بلده وهو خير مما تقدم نتيجة ، وأن يرغب في حط رحل الذنوب والمعاصي ، والاغتسال من الآثام والمخالفات ، وخلع رداء الباطل ، فيعود نقياً كيوم ولدته أمه ، ويتخلى عن كل ما يحول دون الوصول إلى ذلك ، ويبتعد عنه ويهرب من ملاقاته . والله أعلم .

٨ - العمل على عدم إيذاء أهل المدينة - سواء كان حاضراً معهم ، أم كان غائباً عنهم - لأن في ذلك خطورة على الموذي ، وقد ورد - كما سبق بيانه - اللعنُ من الله وملائكته والناس أجمعين ، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً ، وقد آذىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فله عذاب شديد - كما مر - لذا على المسلم أن يتقي الله تعالى في أهل المدينة ، لأنهم جيران رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٩ - كما على المسلمين القادمين أن يتعلموا الآداب اللائقةَ بالنسبة للمدينة ، وقُلْ كذلك أيضاً بالنسبة لمكة ، فكم من شخصٍ يرتكب المخالفات ، وكم من امرأة تفعل المحرمات . كم شارب للدخان في الحرم ، ويُنبّه فيعتذر ، وكم من امرأة تعلي صوتَها بالزغاريد في الحرم ، وكم من امرأة حاسرة ... عدا عن المخالفات في العبادات ... والمعاملات ... والأخلاق ... نسأل الله تعالى التوفيق والسداد .

أسأل الله تعالي أن يجعلنا مثالَ الأدب ، وأن يجعلنا أهلاً لهذه المجاورة ، ويجعل ذلك في ذرياتنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

١١ - التزامُ غاية الأدب عند زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والسلام عليه وعلى صاحبيه رضي الله عنهما . فلا ركضَ ، ولا صُراخ ، ولا رفعَ صوت كما هو منصوص عليه في آداب الزيارة ، ولكن ما يراه المسلمون عند فتح باب الحرم - خاصة عند الأذان الأول قبل الفجر - وترى ركضَ المصلين ليستبقوا إلى الروضة الشريفة ، أو الصف الأول ، والزحام الشديد يوم العيد ، والإجازات ، وما ينتج عن ذلك من إساءة الأدب ، فلا أدري أيثاب هؤلاء أم يلامون أم يعاقبون ؟ وإن كان هذا ليس جديداً ، فقد ذكر مثل ذلك السمهودي رحمه الله في زمانه ، والمشتكى إلى

الله تعالى . فمتى يراعي المسلمون حرمة نبيهم ؟ وحرمته واحدة حياً وميتاً . صلوات الله وسلامه عليه . هذا كله من «فضائل المدينة المنورة» لخليل ملا خاطر - حفظه الغافر -بحذف وتصرف يسير .

قال أبو طلحة : وهذا أحد الشعراء يذكّرنا وينصحنا في اللغة الأردية ويبين بعض آداب الحرم النبوي الشريف ، ويحرضنا في أبياته الشعرية على اختيار أخلاق هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيقول :

چھوڑ کر دیوانہ پَن اے دل ذرا ہوشیار ہو
اَبْ دھڑکنا بھی ادبْ سے ہے یہ کوئے مصطفےٰ ﷺ
حد سے زائد کھا چکے ہیں دَر بَدر کی ٹھوکریں
کاش اپنالے مسلماں اب بھی خوئے مصطفےٰ ﷺ

● يخاطب الشاعرنفسه و قلبه ويقول : دع الجنون (جنون الغفلة والمنكرات)

يا قلبي ! فقم وانتبه ! وكن متيقظاً ومتنبهاً ومتأدباً في أحيانك هذه ، وعليك أن تحرك بهدوء وأدب لأنك الآن وصلت إلي زقاق الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه (من أزقة مدينته ﷺ) - وهذا كما قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في ذلك : «واعلم أن من دخل المدينة فليخطر على قلبه أنها المدينة التي اختارها الله تعالى لنبيه ﷺ ، ليتخيل تردده ﷺ فيها ، ومشيه في بقاعها ، فكلها شريفة وإن خصت منها مواضع» . اهـ- ثم يحرض الشاعر جميع المسلمين على الإقتداء بسنن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فيقول من قرارة قلبه ما معناه والله تعالى أعلم : قد ذاق كثير من المسلمين طعم المعصية والغفلة عن الدين ، وتعبوا تعباً شديداً باستقبالهم الدفعات العنيفة والطرود القبيحة من جميع البلاد والدور على وجه الأرض وأهلها ، وذلك بإعراضهم عن العادات المصطفوية والأخلاق النبوية السنية على صاحبها الصلاة والتحية ، فياليت يرجع المسلم إلى ربه ، ويعمل بسنن المصطفى ﷺ ويزيّن بها حياته ، ويجعلها مباركة طيبة ، قبل فوات الأوان ، وذهاب الكيان ، واستقبال الهوان مرة بعد أخرى . وقد قال الله تعالى : ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحيِيَنّه حياة طيِّبة ولنَجْزِيَنَّهُم أجرَهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ النحل : ٩٧ . اهـ .

وهــــذا آخر ما أوردناه في هذا الكتاب ، وقد استراح القلم بحمدالله وتوفيقه من تأليف كتابنا : «**أعَــرفْــتَ أنــك في الحــرميــن الشــريفيــن ؟**» في أوائل شهر ذي الحجة عام ١٤١٧ هـ بالمدينة المنورة .

وما توفيقي إلا بالله ، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ ، أعوذ بك من شر ما صنعتُ ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفرلي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

اللهم اجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهك الكريم واجعله لي أجراً وذخراً بعد ما يأتيني اليقين ، وينقطع عمل العاملين آمين .

اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين ، وكثر الأنين ، وبكىٰ علينا الحبيب ، ويئس منا الطبيب ، **اللهــم ارحــمنا** إذا وارانا التراب ، وودعنا الأحباب ، وفارقنا النعيم ، وانقطع النسيم ، **اللهــم ارحمنــا** إذ نُسي اسمنا ، وبُلي جسمنا ، واندرس قبرنا ، وانطوى ذكرنا ، **اللهــم ارحــمنا** يوم تبلىٰ السرائر ، وتبدىٰ الضمائر ، وتنشر الدواوين ، وتحشر الموازين ، **اللهــم** يا حي يا قيوم ، يا رحمن يا رحيم ، برحمتك نستعين ، أمين يارب العالمين .

ونســأل الله تعــالى أن يمن علينا برضاه ، ويقبلنا على ما فينا من عوج وتقصير ، ويغفرلنا ذنوبنا ، ويستر عيوبنا ، ويعطينا سؤلنا ، ويحفظنا في أهلنا وأولادنا وأزواجنا ، وأحبابنا وأنفسنا ، إنه نعم المولى والقادر عليه ، ولا يخرجنا من بلد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ويجعل حشرنا منها ، مع سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، حتى نشرب معه في الجنة من كأس كان دهاقاً ، ومن لبن لم يتغير طعمه ﴿على سُررٍ موضونة ، متَّكئين عليها متقابلين ـ واجعلنا ممن ـ يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريقَ وكأس من معين ، لا يُصدّعون عنها ولا يُنزفون ، وفاكهة ممّا يتخيَّرون ، ولحم طيرٍ مما يشتهونَ ، وحورٌ عينٌ ، كأمثال اللؤلؤ المكنونِ ، جزاء بما كانوا يعملون﴾ آمين يا رب العالمين .

والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

أبـو طلحة
محـمـد يونس عبدالستار

فهرس الكتاب

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٠٧٨	٢٣	طـه : ٢٥	طـه : ١٢٥
١٣٣	٨	أذيق السجون	أضيق السجون
١٤٦	٨	بغيـر الدين	بغيـر الـذي

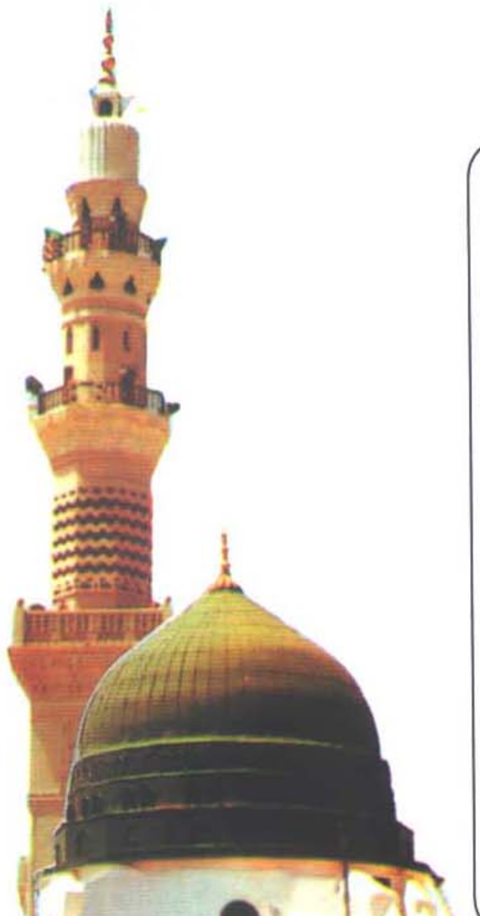
قال أبو طلحة

الإنسان مركب من الخطأ والنسيان فما وقع في كتابنا هذا من خطأ فهـو مني ومن الشيطان الرجيـم ، والذي أرجوه من القراء الكرام أن يقدموا بواجبهم بالنصح حتى نستدرك ما وقعنا فيه ونتعلم منهم فليس المرء يولد عالماً ، ﴿وفـوق كل ذي علـم علـيم﴾



المـدينـة المنـورة ت: ٨٣٦٨٣٨٢





كلمة عن التأليف لفضيلة الشيخ محمد علي موزه حفظه الله

فإن كتاب : «أعرفت أنك في الحرمين الشريفين ؟» لمؤلفه محمد يونس عبدالستار كتاب قيم ، غزير المادة ، عظيم الفائدة بذل فيه المؤلف جهوداً كبيرة ، وحشد فيه نقولاً نفيسه في حياة النبي ﷺ وتربيته لأصحابه وأمته ، وفي عظيم قدره ورحمته وسمو منهاجه في الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن ... وفي حياة أصحابه وما بذلوه في سبيل هذا الدين وتبليغه للناس أجمعين ، وما كانوا عليه من الصدق والتجرد وكمال الغيرة على هذا الدين العظيم ، وكمال حبهم لله ورسوله ﷺ ، وكمال أخلاقهم ...

وقد أوعب فيه المؤلف كثيراً من أقوال أهل العلم من السلف والخلف ... وصاغ خطابه لأهل الحرمين بعبارات مؤثرة ، وعظات بليغة ، تحرك مكامن القلوب ، وتهيج إلى مكارم الأخلاق ، وميادين التضحيات ، وتظهر الفارق البعيد ما بين الحاضرين والغابرين من سلف هذه الأمة ، دون أن تبعث في النفس يأساً أو فتوراً ، بل تبعث الأمل ، وتغرس الثقة ، وتقرب البعيد ، وتبعث الأمل ....

والكتاب جليل الفائدة ، عميق الأثر في النفس ... يدل على صفاء نفس مؤلفه ، وإحساسه بمواضع أدواء الناس ، وحاجتهم إلى الطبيب المداوي ، وقد استطاع في ثنايا خطابه أن يقدم النصح سائغاً عذباً فراتاً ، يجلو صدأ القلوب ، ويروي غليل الظامئين ...

محمد علي موزه

١٦/٥/١٤١٨هـ

وفي هذا الكتاب

باب هام جداً للحجاج والمعتمرين

رقم الإيداع : ١٨/١٦٢٠
ردمك : ٨ - ٥١ - ٧٠٠ - ٩٩٦٠